NRLS

دراسات استراتيجية

مركز روج آفا للدراسات الإستراتيجية

مجلة فصلية تصدر من مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية - العددان 8-7 شتاء وربيع 2022

- إيران واستراتيجية الحرب الهجينة
- داعش ومحاولة الانبعاث مجدداً
- نوروز ومعاني الثورة
- هل الكرد ضيوف طارئون حقاً

رئيس التحرير : طـه خليل

المحررون:

د.أحمد سينو - نذير صالح - منذر محمد

التصميم: آزاد محمد - احمد ملا

تتم كافة المراسلات باسم رئاسة التحرير على البريد الالكتروني التالي:

nrls@nrlsrojava.com

لزيارة الموقع الالكتروني:

www.nrls.net

منشورات مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية NRLS

حقوق الطبع والنشر محفوظة

العددان 7-8 شتاء وربيع 2022

كلمة العدد

لا يزال العالم يتخبط في حروبه العبثية، فتقام حروب بالوكالة هنا وهناك، من ليبيا وسوريا حتى حرب أوكرابينا وروسيا والتي عمليا تشترك فيها العديد من الأطراف الدولية، من خلال تقديم الأسلحة وأحيانا المشاركة المباشرة مع اوكرابينا ضد الروس (ومن خلال أسلوب الحرب الهجينة)

هذه الحرب خلطت أوراق التفاهمات والاتفاقات من جديد، لا سيما ما يتعلق بالوضع السوري، وللأسف تصب معظم هذه الاوراق في صالح دولة الاحتلال التركي، التي تلعب على مثل هذه التناقضات بين الدول المعنية بتلك الحروب والنزاعات

لهذا حاولنا في عددنا هذا أن نتطرق الى هذا الموضوع لا سيما ان موضوع الحرب الهجينة التي بدأت تستخدمها العديد من الدول، وتعتبرهي الأخطر منذ الحرب العالمية الثانية، وبالطبع فان هذا الشكل من الحرب انما تتقنه ابران ودولة الاحتلال التركي، حيث تشترى الذمم من مرتزقة سوريين وأجانب من كل اصقاع الأرض، كمقاتلين تحت الطلب، مقابل أموال تغدق عليهم من قبل الدولتين المذكورتين..

من هنا فاننا نجد لزاما علينا ان نبين العديد من القضايا التي تمس جوهر القضية الكردية وشعوب الشرق كافة، فالمنطقة مقبلة على تغييرات متسارعة، ومشاريع عنصرية تقوم على منهج التغيير الديموغرافي والتطهير العرقي او بالأحرى (التوسيخ العرقي) في المناطق الكردية وشمال شرق سوريا عامة (عفرين سرى كانيه، تل ابيض، أدلب جرابلس الباب.. وغيرها من الأراضي التي تحتلها دولة الاحتلال التركي ومرتزقتها)

من جهة أخرى أخذ وضع المرأة حيزا هنا، وكان الاقتصاد محورا مهما في عددنا المزدوج هذا، لا سيما ما يتعلق بموضوع الضريبة والتي لم تأخذها حقها من البحث والتحليل، كرديا وعربيا، وتبدو للمواطن كما لو ان الضرائب هي نوع من تحايل الدول على مواطنيها، وسلب أموالهم.

ودوما نود ان نعتذر لقرائنا الأعزاء على تأخر عددنا المزدوج هذا أيضا من دراسات استراتيجية، نتيجة للظروف القاهرة التي نعيشها جميعا.

رئيس التحرير

.

إيران واستراتيجية الحرب الهجينة

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

لا شكّ أن الحروب المعاصرة تختلف بشكل كبير عن الحروب الكلاسيكية، حيث تطورت العديد من المفاهيم العسكرية بالتزامن مع تطور المصطلحات السياسية المستخدمة في سياق العلاقات الدولية، حيث لم تعد عملية حشد القوات العسكرية بكامل أسلحتها وعتادها على حدود دولة ما ومن ثم مهاجمتها بغرض اجتياحها أو تدميرها ضروريا كالسابق خاصة مع تطور القدرات والتكنولوجيا العسكرية والإيديولوجيات المقاومة للخضوع للهيمنة، وانطلاقاً من مبدأ "أسقاط القلعة من الداخل" طوّر الخبراء العسكريون في العديد من الدول مفاهيم الحرب المعاصرة، والتي كان أحد ثمارها مفهوم الحرب الهجينة لذلك أصبحت الكثير من الدول الساعية وراء الهيمنة تتجه إلى خوض هذه الحرب ضد خصومها الذين بدورهم قد يخوضون حرباً مماثلة ضد تلك الدول، يلاحظ ذلك من خلال النشاط العسكري الإيراني في الشرق الأوسط، يبدو أنها تحولت إلى سمة مميزة للحروب في تاريخنا المعاصر. ومن أبرز الدول التي تهتم بهذا النوع من الحروب في الشرق الأوسط تركيا وإيران، والأخيرة بدرجة أكبر التي أدرجتها في صلب عقيدتها العسكرية للعب دور مؤثر في المشهد، الأمني والعسكري، الإقليمي عبر اتباعها لأساليب الحرب الهجينة في خضم الأزمات التي يشهدها العالم في محاولة منها للتحول إلى قوة إقليمية مؤثرة في السياسية الدولية، لا شك أن لها أسبابها ودوافعها وأساليبها الخاصة في هذا الأمر، ويبدو أنها تمتلك قائمة من الأعداء المفترضين في المنطقة، على الرغم من ذلك لا تزال إيران تواجه خطر تعرضها لحرب مباشرة بسبب حربها الهجينة، أو تضطر إلى خوض حرب مباشرة مع دولة أخرى قد لا تكون الحرب الهجينة كافية لتحقيق أهدافها.

العقيدة العسكرية الإيرانية ومفهوم الحرب الهجينة.

يبدو أن إيران مقتنعة في عقيدتها العسكرية الحالية بضرورة إيجاد قوة ردع عسكرية مع خصومها الإقليميين والدوليين بالاستناد على كل من قاعدة (الهجوم خير وسيلة للدفاع)، وخلق ما يسمى بتوازن الرعب مع هؤلاء الخصوم عبر تطوير برنامجها النووي وصناعة الصواريخ البالستية وحيازة تكنولوجيا صناعة مختلف أنواع الأسلحة وتطويرها كصناعة وطنية، وذلك لمواكبة التطورات التكنولوجية والمتغيرات الجيوسياسية والداخلية.

لدى رصد النشاطات العسكرية الخارجية لإيران يلاحظ أنها تحاول خوض حرب غير متماثلة[1] مع خصومها ترتكز على تأسيس مجموعات قتالية متعصبة لإيديولوجية ولاية الفقيه في

[1] للمزيد عن هذه الحرب راجع:

المناطق المتوترة وذات الأهمية الاستراتيجية مستفيدةً من الانقسامات السياسية الطائفية بين السنة والشيعة، وأدلجة عقيدة القتال لدى الشيعة وتأجيجها تحت عنوان الجهاد المقدس وبما يتوافق مع عقيدتها العسكرية. وبالتالي يمكن الجزم بأن إيران تعتمد في استراتيجيتها الدفاعية على امتلاك أسلحة الدمار الشامل بينما تعتمد في استراتيجيتها الهجومية على خوض حرب هجينة مع خصومها في مناطق نفوذهم.

وتعتبر الحرب الهجينة من المصطلحات الجديدة نسبياً في مفهوم الحرب الحديثة، ويعود إدراج هذا المصطلح في عالم السياسة إلى منظر الجيش الأمريكي فرانك هوفمان الذي وصف الحرب التي دارت بين إسرائيل وحزب الله عام 2006م كضرب من ضروب الحرب الهجينة، وكذلك إلى تحليل قامت به قوات سلاح البحرية الامريكية بحكم تجاربهم السابقة في كل من العراق وأفغانستان وذكر في التحليل المقدم من جانبهم بأن الخصوم غير النظاميين يسعون إلى استغلال الأفضلية التكتيكية في الوقت والمكان الذي يختارونه بدلاً من المواجهة المباشرة ومهاجمة قواعدنا وتدميرها([2]), إذ يحاولون مراكمة جهودهم التكتيكية من خلال تضخيمها في الإعلام تحت عنوان المقاومة ضد الوجود الأمريكي لإضعاف العزم الأمريكي من خلال اعتماد وسائل حربية مختلفة وهذا ما يسمى بالحرب الهجينة.

استناداً على ذلك يمكن وصف الحرب الهجينة بأنها خليط من الوسائل التقليدية وغير النظامية في سبيل تحقيق أغراض سياسية وليست بالضرورة أن تكون إجراءات عسكرية بحتة، بل تشمل أيضاً الحرب السيبرانية، والدعاية، والحرب بالوكالة- أي استخدام طرف ثالث، أو جهات فاعلة غير حكومية في القتال- والحرب النفسية...إلخ، وهذا النوع من الحرب ليست حكراً على الدول بل قد تتبع التنظيمات والكيانات السياسية المختلفة لمثل هذه الاستراتيجية، وبحسب الباحثين الأمريكيين فإن روسيا قد اتبعت هذا الأسلوب من الحرب في بعض دول بحر البلطيق (ليتوانيا ولاتفيا واستونيا) من أجل التأثير على السياسة الداخلية في البلدان المستهدفة لصالحها، وتتبعها في المناطق التي تهدد مصالحها في سوريا وليبيا وأوكرانيا ومالي وغيرها.

تكمن قوة هذه الحرب في الغموض والقدرة على إنكارها، وتهدف إلى القيام بأنشطة يصعب وصفها بأنها حرب، وتكون دائماً مصممة لتبقى دون الحد المثير للهجوم المضاد أو الصراع المفتوح، من أجل تقليل المعارضة العامة والدولية لهذه الأنشطة والهجمات المدبرة.

الدوافع الكامنة وراء أتباع أساليب الحرب الهجينة.

تبدو إيران بحاجة للجوء إلى هكذا نوع من الحرب والتي لا يمكن ربطها بها مباشرة كونه لا توجد دلائل تحمّلها المسؤولية عنها، وبالتالي لن تكون مضطرة إلى شن حرب رئيسية بل ستكتفي بهجمات متقطعة ومنخفضة المستوى، والتي لا تستفز ولا تستوجب بالضرورة رد فعل أميركي أو

روجينا خليل الشختورة؛ «الحرب غير المتماثلة» سلاح الأضعف قد يستخدمه الأقوياء أيضًا؛ منشورات مجلة الجيش (اللبناني)/ أبحاث عسكرية- **العدد 348 - حزيران 2014؛**

[2] احمد كريم صالح، الحروب الهجينة: ماهيتها, أدواتها ونماذجها التطبيقية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تاريخ النشر 05-02-2018م،

عربي مباشر الذي قد يكلفها الكثير من الخسائر ويعرضها لدمار كبير كونها تعاني بالأساس من أزمة اقتصادية حادة بسبب العقوبات الغربية عليها، كما وليس لديها القدرة على مواجهة معظم الضربات القاسية التي قد تتلقاها جراء أعمالها، وهذا ما تم ملاحظته غداة عملية اغتيال قاسم سليماني والمهندس من قبل القوات الأمريكية في كانون الثاني عام 2020م، وكذلك اغتيال العالم النووي الإيراني محسن فخري زاده في تشرين الثاني عام 2020م من قبل الاستخبارات الإسرائيلية، حيث اكتفت إيران برد محدود لحفظ ماء الوجه وإرضاء الشارع الإيراني الذي كان يطالب بالانتقام لهم، فهي لا تثق بقوتها كثيراً لذا تضطر إلى الاعتماد على استراتيجية الحرب الهجينة.

الأسلوب الإيراني في إدارة الحرب الهجينة.

كغيرها من القوى اللاهثة لتعزيز هيمنتها ونفوذها في المنطقة، تطمح إيران لتطوير عقيدتها العسكرية بشكل يمكنها من مواجهة المخاطر وتحمل تكاليف مواجهة الصراع على الساحة الإقليمية والدولية، لذا تتبع إيران هذا الأسلوب من الحرب وبإدارة مؤسسة الحرس الثوري ضد أعدائها وخصومها الألداء في المنطقة المتمثلة بأمريكا وإسرائيل والدول الخليجية وبالأخص السعودية التي تعد خصمها الإيديولوجي ومنافستها القوية في تمثيل العالم الإسلامي، فمثلاً تقوم إيران وعن طريق الميليشيات العسكرية العراقية التابعة لها في مختلف المناطق بزرع الألغام أمام القوات الأمريكية وقصف قواعدها العسكرية عن طريق الطائرات المسيرة وقذائف الهاون وغيرها، إلى جانب قيامها بحرب إعلامية كبيرة ضد القوات المذكورة عبر وصفها بالقوات المحتلة والإمبريالية والعاجزة عن تحقيق الاستقرار بغرض تأجيج المجتمعات المحلية ضدها بالتوازي مع وصف نفسها بقوات محور المقاومة. تحاول في هذا السياق أيضاً تعزيز قوة هجماتها السيبرانية، فمثلاً بين عامي 2013-2012م([3]) تعرضت بعض المؤسسات المالية الأمريكية لهجمات سيبرانية أطلق منفذوها عليها "عملية أبابيل" وأشارت أصابع الاتهام إلى وقوف النظام الإيراني خلفها؛ والذي يحاول أيضاً فرض إرادته في الحياة السياسية للعديد من البلدان كعرقلة الحل السياسي المتوافق مع الحل الأمريكي في العراق عبر دعم بعض التيارات والأحزاب الموالية لسياستها وتهديد الشخصيات والتيارات التي توصف بالوطنية أو الموالية لأمريكا.

أما بالنسبة لصراعها مع إسرائيل، قامت إيران بالتركيز على دعم بعض التنظيمات كأفضل خيار للمواجهة على ثلاثة محاور؛ المحور الأول دعم التنظيمات الفلسطينية بتكنولوجيا صناعة القذائف والصواريخ قصيرة المدى كحركة الجهاد الإسلامي وحماس التي تدخل في مواجهات مسلحة مع القوات الإسرائيلية بين الفينة والأخرى، أما المحور الثاني فتدعم حزب الله الذي استطاع تطوير عقيدتيه السياسية- حيث بات عاملاً فاعلاً في المعادلة السياسية اللبنانية- والعسكرية عبر امتلاك مخزونٍ كبيرٍ من الصواريخ بعيدة المدى التي يمكن أن تؤثر بشكل كبير على أية مواجهة مع إسرائيل على الرغم من عدم امتلاكها الدقة في إصابة الأهداف، حيث تم ملاحظة هذا التأثير في

[3] ميكا لوديرميلك، الأزمة الإيرانية تنتقل إلى الفضاء السيبراني، معهد واشنطن، المرصد السياسي 3151، تاريخ النشر ٩ تموز ٢٠١٩م،

المعارك التي اندلعت بين الطرفين في وقت سابق وتركيز الكثير من المحللين العسكريين على هذه المسألة. أما المحور الثالث والذي يؤرق إسرائيل بشكل أكبر فهي محاولات إيران إنشاء بنية تحتية عسكرية تسهل فتح جبهة جديدة انطلاقاً من الأراضي السورية والوصول إلى أماكن باستطاعتها ضرب العمق الاستراتيجي لها، وبالتالي التمكن من محاصرة إسرائيل نسبياً عبر ميليشياتها وبنفس الوقت ابتزاز الدول التي تعهدت بضمان أمن إسرائيل.

بمعزل عن التكتيكات المرتكزة على الميليشيات تقوم إيران أيضاً بتطوير قدراتها النووية وصواريخها البالستية التي تنظر إليها إسرائيل كتهديد وجودي لها وعائق لها في خوض أية حرب مستقبلية معها، كما وتحاول تكثيف الهجمات السيبرانية على المؤسسات السياسية والعسكرية والخدمية الإسرائيلية وغيرها من الوسائل المختلفة، هذا الأمور وغيرها يتم استثمارها إعلامياً لإظهار إيران بأنها الدولة الوحيدة التي تناضل من أجل الشعب الفلسطيني ومقدسات المسلمين في الأراضي المحتلة.

ويبدو أنها تسعى إلى خلق توازن مع الأنظمة السنية في المنطقة، فبنفس الأسلوب الموجه ضد الدولتين المذكورتين تهدف إيران إلى فرض طوق ناري على الدول الخليجية وخاصة السعودية والإمارات وذلك من خلال دعم الحوثيين الموالين لها الذين قاموا باستهدافات متعددة داخل العمق السعودي لعل أبرزها سلسلة الهجمات ضد منشآت أرامكو التي تعتبر الشريان الاقتصادي الحيوي للدولة السعودية، واستهداف مطار أبو ظبي في دولة الإمارات. كما ويسعى النظام السياسي الإيراني إلى تحريض الشيعة في أرجاء المنطقة للتحرك ضد سلطاتهم، وتغذية وإثارة النزاعات الطائفية، وإظهار نفسها للشيعة بأنها حاميتهم، ومن أبرز المؤشرات على ذلك محاولة إسقاط النظام البحريني والمشاكل التي أثارها بعض الحجيج الشيعة في موسم الحج لاستبيان ضعف الدولة السعودية في تنظيم موسم الحج وبنفس الوقت إظهار العداوة الطائفية معها، وكذلك حالة عدم الاستقرار التي تشهدها لبنان واليمن والعراق، وإضعاف الهوية الوطنية عبر توجيه أنظار المسلمين الشيعة إلى الأماكن الدينية المقدسة في إيران والعراق، ولا تزال تحاول إيجاد العديد من الأدوات والأساليب الهادفة إلى ضرب استقرار الدول الخليجية. لم تكتفي إيران بهذا النوع من الحرب في البر والجو بل انتقلت به إلى البحر أيضاً، وذلك عبر استهداف واعتراض ناقلات النفط ضمن مضيق هرمز لعل أخرها كان استهداف ناقلة "ميرسر ستريت" التي تديرها شركة إسرائيلية قبالة ساحل عمان في تموز عام 2021م([4]).

الحرب الهجينة ضد قسد.

بالنسبة لشمال وشرق سوريا يعتبر النظام الإيراني كلاً من قوات سوريا الديمقراطية والإدارة الذاتية نمطاً آخر من الأعداء ويعيق محاولاتها لفرض ايديولوجيتها ونفوذها في المنطقة وبنفس الوقت تعد قوة موازنة لمواجهة التطرف الداعشي والتمدد التركي في المنطقة، إلا أن دعم إيران لميليشيات تعمل سراً تحت مسمى (المقاومة الشعبية لتحرير المنطقة الشرقية) في مناطق شمال

[4] موقع الحرة واشنطن، الجيش الأميركي يثبت بالصور أن إيران استهدفت الناقلة "ميرسر ستريت"، تاريخ النشر آب 2021م،

وشرق سوريا وتقديم الدعم الإعلامي لها ما هي إلا نوع من أنواع الحرب الهجينة ضد الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب، كما ويندرج في هذا السياق أيضاً تنفيذ عمليات اغتيال لشخصيات عشائرية ذات ثقل واتهام قسد والإدارة بها، بهدف إثارة البلبلة والفتن وتهيئة بيئة أمنية هشة تسهل تغلغلها في المنطقة خاصة في مناطق التماس كريف دير الزور والرقة اللذان يشهدان حضور مكثف لميليشياتها وخلاياها النائمة التي تنشط في المنطقة، إلى جانب تنظيم مؤتمرات عشائرية تحت مظلة النظام السوري وبتوجيه من الاستخبارات الإيرانية وحضّها على عدم التعامل مع قوات سوريا الديمقراطية، بالإضافة إلى نشر معلومات مضللة باسم الإدارة الذاتية وغيرها من أساليب الحرب النفسية.

بالمقابل يقوم الأعداء المفترضين لإيران بضرب أدوات حربها الهجينة من خلال التحريض الإعلامي ضدها وفرض عقوبات اقتصادية، واستهداف الشخصيات الفاعلة في نظام الحكم من علماء وعسكريين ورجال دين، إلى جانب ضرب ميليشياتها المنتشرة في المنطقة ودعم المعارضة الإيرانية بمختلف تياراتها من أحوازيين وبلوش ومجاهدي خلق وغيرهم، وتحريض المجتمعات المحلية في سوريا والعراق ولبنان واليمن وغيرها ضدها عبر تأجيج النزعة الطائفية والقومية وتحميلها مسؤولية الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها تلك البلدان، وهذا يندرج أيضاً ضمن الحرب الهجينة الموجهة ضد إيران بدليل عدم قدرتها على الرد المباشر لحماية حلفائها.

هل يمكن أن تكون الحرب الهجينة مقدمة لحرب مباشرة؟.

يمكن أن تتطور الحرب الهجينة إلى حرب مباشرة بين الطرفين المتصارعين في حال تطور الصراع بينهما بشكل دراماتيكي، ورغبة القوى المهيمنة بأجراء تغييرات في الخارطة السياسية العالمية وإضعاف منافسيها؛ فمثلاً القتال العنيف الذي يدور رحاه بين القوات الروسية والأوكرانية في نهاية شهر شباط من عام 2022م ينحدر أحد عوامله من تصاعد الحرب الهجينة بينهما، فروسيا كانت تقوم بتدريبات خاطفة من خلال الكوماندوس السريين ودعم نشاطات مؤسسة فاغنر التابعة للكرملين عبر أحداث فوضى وبروبغندا ضد الحكومة الأوكرانية وكذلك القيام بحملات منسقة من العنف وذلك من خلال الانفصاليين في دونتسيك ولوغانسك المدعومين من موسكو بهدف زعزعة استقرار أوكرانيا التي قابلتهم بالمثل وذلك من خلال حصر الانفصاليين في الجمهوريتين المذكورتين وارتكاب انتهاكات ضد الموالين لموسكو، وتأجيج الشعب الأوكراني ضد الإقليميين لتبرير عنفهم، إلى جانب تلويح حكومة زيلينسكي بورقة الناتو التي أثارت عدوانية الروس ومخاوفهم لتنتهي الحرب الهجينة بينهم إلى صراع مباشر وغزو روسي لأوكرانيا.

وقد تؤدي الحرب الهجينة الدائرة بين كل من إسرائيل وإيران إلى حالة صراع مباشر بغض النظر عن حجم العمليات العسكرية التي قد تدور بينهما، كون هذه الأطراف على عداء كبير وصراع مستمر فمثلاً في الحالة الأولى قد يتطور الصراع بين كل من إسرائيل وإيران إلى حرب مباشرة كون الأخيرة تحاول تطوير عقيدتها العسكرية عبر امتلاك سلاح نووي وتغيير موازين القوى في المنطقة ومحاصرة إسرائيل عبر دعم وكلائها وفتح ثلاث جبهات استراتيجية ضدها(لبنان وسوريا وغزة) الأمر الذي يقلق إسرائيل ويولد لديها مخاوف كبيرة على أمنها القومي في حال

حصول إيران على قنبلة نووية وازدياد تموضع وكلائها بالقرب من حدودها وقصف الداخل الإسرائيلي، لذا تقوم الأخيرة بالتكثيف من هجماتها على المراكز ذات الطبيعة العسكرية وقوافل الأسلحة، وهناك نبرة تصعيدية في تصريحات القادة الإسرائيليين السياسيين والعسكريين الرافضة للتواجد الإيراني ووكلائها لعل أبرزها تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت"نعمل على حشد العالم، ولكن في موازاة ذلك نعلم أيضا كيف نعمل بمفردنا، لافتا إلى أن "إيران تعلم ما هو الثمن الذي نجبيه عندما يهدد أحد أمننا"[5] ، لذا من غير المستغرب أن تقوم إسرائيل بعمليات برية هجومية رداً على الاستفزازات الإيرانية وحربها الهجينة الممارس ضدها، أو حتى قيامها بضرب المنشآت النووية الإيرانية وتعطيلها لعدة سنوات بتوافق أمريكي عبر تزويد إسرائيل بأسلحة دقيقة قادرة على استهداف هذه المنشآت. كما يمكن أن تتطور المواجهة بين إيران والسعودية إلى حرب مباشرة خاصة بعض توارد أخبار عن نية المملكة لشراء صواريخ بالستية صينية الصنع أو شراء قنبلة نووية جاهزة من باكستان خاصة بعد التحسن الملحوظ للعلاقات بين الدولتين في الآونة الأخيرة، أو قد تلجأ إلى تعزيز دفاعاتها الجوية بالحصول على منظومة الدفاع الصاروخي الأمريكي "ثاد".

إن الإحاطة بمفهوم الحرب الهجينة يساعد على فهم الصراعات الحالية التي تجمع بين التخويف الاستراتيجي بأسلحة الدمار الشامل وما يسمى استراتيجية حافة الحرب أو الهاوية[6]، والعمليات المشتركة التي تنفذها وحدات خاصة ومرتزقة، ومناورات تضليل واسعة النطاق يسعى من خلالها الطرف الممارس إلى تحقيق أهدافه السياسية والعسكرية والاقتصادية...إلخ، ويتم فيها استغلال كل الأبعاد الجديدة في هذه الحروب، للتغلب على التفوق الذي تمتلكه الدول الأخرى من دون اللجوء إلى حرب واسعة وشاملة، وبالتالي فإن الحرب الهجينة تركز على تحقيق أهدافاً استراتيجية تدعم سياسة الدولة التي تخوضها أكثر من تركيزها على تحقيق انتصار عسكري حاسم وفق المفهوم التقليدي للحرب، لذا يقع على عاتق المؤسسة العسكرية في شمال وشرق سوريا تطوير مفهومها لهذه الحرب حتى تكون قادرة على مواجهة التهديدات المختلفة وتحصين البيئة الأمنية للمنطقة ودعم دبلوماسية الإدارة الذاتية بفاعلية أكبر.

[5] بوابة الأهرام، رئيس الوزراء الإسرائيلي يوجه رسالة إلى إيران ويتهمها بإشعال التوترات في الشرق الأوسط، تاريخ النشر آب 2021م،

[6] تعبير سياسي يُقصد بها تحقيق مكاسب معيّنة عن طريق تصعيد أزمة دولية ما، ودفعها إلى حافة الحرب النووية، ويعد وزير الخارجية الأمريكي السابق جون فوستر دالاس أول من استخدم هذا المصطلح.

داعش ومحاولة الانبعاث مجدداً

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

المرتزقة لا يبنون أوطاناً، وهذا لسان حال تنظيم داعش الذي جمع الآلاف من أنصاره المتطرفين حول العالم في ميزوبوتاميا، وحاول إقامة دولة تجمعهم تحت مسمى دولة (الخلافة الإسلامية) واتخذت في سبيل تحقيقها الإرهاب والترويع تجاه المجتمعات المحلية والارتزاق لصالح بعض أنظمة الحكم الإقليمية على قاعدة إبادة الثقافات المحلية العريقة، العربية والكردية والسريانية وغيرها، بصهرها في قوالب أيديولوجيتهم المتزمتة، وأقاموا بذلك نظاماً ثيوقراطياً استبدادياً لم تمنحها استراتيجية الارتزاق والإرهاب والترويع عوامل الديمومة، فالمجتمعات المحلية في كل من سوريا والعراق استلموا زمام المبادرة الهجومية واستطاعوا من خلال تشكيل قوات سوريا الديمقراطية (قسد) وقوات الحشد الشعبي وبدعم من التحالف الدولي والجيش العراقي من دحر التنظيم في البلدين، ولتتمكن قسد في نهاية المطاف من إلحاق هزيمة ساحقة به في الباغوز في آذار من عام 2019م، واستسلام غالبية مقاتليه وفرار آخرين. يبدو أن التنظيم لم يقتنع بعد بوهم أيديولوجيته وباستحالة تطويع شعوب المنطقة الذين تعرضوا لحملات عسكرية أشد على مدار آلاف السنين، ويبرز ذلك من استمرار نشاط الخلايا النائمة للتنظيم واستغلال أية فرصة ممكنة لإطلاق العنان لاستراتيجيته الفاشلة المتمثلة بالارتزاق والإرهاب والترويع في محاولة لإعادة انبعاثه مجدداً، فالتنظيم مصرٌّ على أن يلدغ من نفس الجحر لأكثر من مرة على الرغم من وجود جغرافيات أخرى قد تكون فيها حظوظه أكبر لإنشاء كيانه الخاص كأفغانستان أو وسط إفريقيا على سبيل المثال، يبدو أن رهانه على بروز ظروف سياسية وأمنية مضطربة لصالحه بفعل السياسة العدوانية لكل من تركيا وإيران والنظام السوري تجاه سكان المنطقة سيكون مستمراً، وما يشير إلى هذا الأمر استمرار نشاط خلاياه النائمة وتنفيذ عمليات عدوانية تجاه العاملين في المؤسسات الخدمية والأمنية والعسكرية والتخطيط لهجمات تجاه المراكز التي تحتجز عناصره أو تأوي عوائل أتباعه لتهريبهم إلى أماكن تبدو أنه لا يدرك تماماً مدى فعاليتها كمعقل جديد له.

سنحاول خلال هذا البحث تقديم قراءة تحليلية عن المشهد الأمني المحلي المتعلق بجزء من نشاطات مرتزقة داعش لإعادة إحياء تنظيمهم مجدداً على الأرض، وذلك من خلال الاستناد على اللقاء مع بعض الشهود وتحليل التقارير والتصريحات والسياسات والاعترافات ذات الصلة بالوضع الأمني المحلي، حيث سيتم التطرق إلى العقيدة الأمنية الجديدة للتنظيم وتحديد الدوافع والتداعيات والعوامل الذاتية والموضوعية بخصوص الهجوم على سجن الصناعة في غويران ومحاولة تنفيذ عمليات في مخيم الهول، ومن ثم تقييم السياسة الإقليمية والمحلية تجاه محاولات الانبعاث، وفي النهاية سيتم تسليط الضوء على بعض التدابير والملاحظات المتعلقة بالبيئة الأمنية المحلية.

مستجدات العقيدة الأمنية الداعشية.

يعتبر الكثير من الخبراء العسكريين بأن الضجيج الذي يشتت التركيز الدفاعي للخصم ويُلهي الحلفاء يعدُّ من أفضل الفرص التي توفر شروط النجاح لإعداد الكمائن أو شن عمليات هجومية خاطفة وهو تكتيك يلاحظ في عالم المفترسات أيضاً. يضج العالم بتداعيات الأزمة الروسية- الأوكرانية وآثارها على تأزم كل من العلاقات الدولية والاقتصاد العالمي التي يبدو أنها أثرت سلباً في استجابة المجتمع الدولي للمناشدات المتكررة من قبل كل من قوات سوريا الديمقراطية (قسد) ومجلس سوريا الديمقراطية (مسد) والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا بخصوص الخطر الكبير الذي يمكن أن ينبعث من مخيم الهول إثر فشل هجوم التنظيم على سجن غويران في بداية هذا العام.

يعمل التنظيم وداعميه على تسخير حالة انشغال العالم بالحرب الروسية- الأوكرانية وضعف الحس الوطني لدى بعض الأفراد من أبناء المجتمعات المحلية بفعل النشاطات الاستخباراتية والحرب النفسية الخاصة بكل من تركيا وروسيا وإيران والنظام السوري المكرسة لتمكين سيطرتها على المنطقة، ويبذل محاولات لاستغلال أية ثغرة أمنية لإعادة رصّ صفوفه واستلام زمام المبادرة الهجومية حيث يعاني من ضعف في هذه العمليات التي لا تتعدى سوى عمليات اغتيال واستهداف سيارات عسكرية دون القدرة على شن عمليات عسكرية ناجحة ضد القواعد العسكرية التابعة للتحالف وقسد والقوات العراقية أو تحقيق سيطرة فعلية على مناطق معينة من عموم الجغرافية السورية والعراقية؛ وكل فشل يُمنى به التنظيم يزيد من ألم جرحه الناجم عن انهزامه في الباغوز لذا لا يكف عن محاولات إعادة انبعاثه مجدداً ولا يزال متمسكا بأوهامه المتمثلة بإمكانية إقامة دولة خلافة إسلامية في سوريا والعراق على الرغم من فشل مشروعه ونفور المجتمعات المحلية من نشاطاته بعد أن تحول إلى مصدر للشر، فمظاهر قطع الرؤوس والأعضاء والتعذيب والإعدام الجماعي والتهجير والفقر والفساد والمعارك المستمرة والتعرض للضربات الجوية لا يمكن عزلها عن نشاطات التنظيم في ذاكرة هذه المجتمعات.

يبدو أن قادة داعش حزموا أمرهم لإعادة انبعاث تنظيمهم مجدداً في عام 2022م، مستفيدين من عدم تجانس البيئة الأمنية المحلية والدولية بسبب التنازع الاستخباراتي بين عدد من القوى الدولية والإقليمية والمحلية وشنِّ حروبٍ نفسية متبادلة بغرض تمكين السيطرة على المنطقة وإضعاف الخصوم. ولدى رصد نشاط التنظيم في سوريا نجد أن خلاياه تنشط في ثلاثة بيئات أمنية مختلفة، وهي المناطق الواقعة تحت الاحتلال التركي أو الخاضعة لهيمنته حيث سمحت الاستخبارات التركية لعناصر التنظيم بالانخراط في الفصائل العسكرية التابعة لها في تلك المناطق علماً أن قائدي التنظيم أبو بكر البغدادي وأبو إبراهيم القرشي تمت تصفيتهما في هذه البيئة، والبيئة الثانية هي المناطق التي ينشط فيها التنظيم بشكل سري وهي مناطق الإدارة الذاتية والمناطق الخاضعة لسلطة النظام السوري، والبيئة الثالثة يبدو أن النظام قام بخلقها من خلال عمليات التسوية الأمنية لأوضاع السوريين الذين كانوا قد انخرطوا في صفوف التنظيم حيث سيحتفظون بأيديولوجيتهم وفقاً لمبدأ التقية مع عدم الانخراط في أية عمليات ضد قوات النظام السوري وهذا ما

سيلغي تصنيف النظام في البيئة الثانية. يحاول التنظيم الحفاظ على كيانه من خلال التفاعل بين عناصره داخل هذه البيئات.

في شمال وشرق سوريا يُلاحظ أن التنظيم يفضل أن ينشط في الأرياف خاصة جنوبي مقاطعة الحسكة والريف الشرقي لدير الزور نظراً لوجود عدة عوامل فاعلة في تلك المناطق تدعم استغلاله الديماغوجي للأزمة الطائفية والمعيشية التي تشهدها المنطقة التي تبرز فيها أيضاً النشاط الأيديولوجي لكل من حزب البعث بشقيه العراقي والسوري، وجماعة الإخوان المسلمين حيث يوجد العشرات من أبناء المنطقة ضمن صفوف الميليشيات المرتزقة لتركيا والمتبنية للفكر الإخواني في المناطق المحتلة، وهناك حملة تشيُّع وفقاً لأيديولوجية الحرس الثوري الإيراني تتنامى في هذه المناطق، أي يمكن القول بأنه هناك تعصب أيديولوجي مؤطر بعقلية الكراهية ونزعة الانتقام، فحتى لو لم يكن الشخص داعشياً فإن تبنيه لمعتقد أيديولوجي مخالف لبراديغما الطرف الذي يعاديه قد يدفعه لتقديم الدعم للتنظيم ضد مخالفيه وفقاً لمبدأ "عدو عدوي صديقي" أو بغرض اختراق التنظيم لصالح أيديولوجيته أو لمنفعة شخصية؛ إلى جانب ضعف الثقة بين شرائح من السكان والإدارات المحلية (المناطقية) بسبب انعدام الشعور بالأمن الإنساني بتأثير من حالة الفقر المرتبطة بكل من الأزمة التي يشهدها عموم البلاد والجفاف والتصحُّر، وضعف الخدمات، وسيادة العقلية العشائرية المحافظة، ومعايشة سنوات من عدم الأمان إلى جانب نجاح التنظيم في غرس الخوف والهلع من بطشه بين المجتمعات المحلية ويفضل العديد من المواطنين النأي بالنفس في مواجهته لتفادي شره، تبين ذلك بشكل واضح في عدم مقاومة بعض العائلات لعناصر التنظيم الفارين من سجن الصناعة بعد تهديدهم بالذبح والانتقام بحسب ما أفاد به بعض الشهود العيان، بالإضافة إلى وجود متعاطفين مع التنظيمات الجهادية خاصة بعد تدفق العشرات من المتشددين عبر هذه المنطقة إلى العراق لقتال القوات التي أطاحت بالنظام العراقي السابق عام 2003م؛ من ناحية أخرى هناك انعدام الحاكمية الأمنية بسبب الفساد، وقلة الخبرة في مجال التوعية وإعادة التأهيل، وضعف الإمكانيات التقنية الاستخباراتية وقلة الموارد وإحجام بعض الدول عن التعاون الاستخباراتي مع كل من الإدارة الذاتية وقسد؛ كما ويلاحظ أن التنظيم يستغل براغماتيا مسألة حماية السُّنة في العراق وسوريا وتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يتناسب مع أيديولوجيته، ومؤشر البراغماتية الوضع السيء الذي تعيشه الشرائح التي أيدت التنظيم والضحايا الذين وقعوا جراء استراتيجيته في سبيل تمكين سلطته، أي أنه لم يجلب أي أمن وأمان للمجتمعات السنية في المنطقة بدليل وجود سُنة يحاربونه بعد ما لاقوا من أذى ومعاناة بسببه.

يستغل التنظيم الصراع الإقليمي في دبلوماسيته الخارجية أي الاستفادة من حالة الصراع والخصام التي تبديها بعض الدول الإقليمية تجاه بعضها البعض وتجاه شعوب المنطقة، فالدولة التركية تمارس عملية إبادة جماعية بحق الكرد والأقليات الدينية، وإيران تخوض صراعاً للهيمنة مع الغرب، وتركيا وروسيا والبعثيين والنظام يحاولون تبييض انتهاكاتهم بجرائم المعارضة؛ لذلك فالتنظيم مستعد لمحاربة الشعب الكردي لعقد صفقة مع تركيا، ومستعد لمحاربة فصائل المعارضة الأخرى والإدارة الذاتية لعقد صفقة مع النظام، ومستعد لمحاربة التحالف الدولي لعقد صفقة مع إيران، كل هذه الأمور قواسم مشتركة في معادلة دعم أيديولوجية التنظيم وإقامة سلطته الثيوقراطية

الاستبدادية. وهذا ما يفسر التحول الكبير في نشاط التنظيم بعد هزيمته وانهيار سلطته، خاصة في مطلع العام 2022م.

تبرز أولى محاولات التنظيم في هذا المسعى بهجومه على سجن الصناعة في حي غويران بمدينة الحسكة في حملة أطلق عليها (هدم الأسوار) والتي باءت بالفشل، ويبدو أن تركيزه العملياتي بات متجهاً نحو مخيم الهول كجزء استراتيجي من هذه الحملة، وقد يكون له خيارات أخرى في المناطق المحتلة أو تلك التي تخضع لسلطة النظام السوري أو في العراق وهذا ما يحتاج إلى تحليلات أعمق ومعلومات أكثر دقة قد يصعب تأمينها في الوقت الحاضر، لذا من المفيد تسليط الضوء على خططه الخاصة في كلٍّ من سجن غويران ومخيم الهول والسياسات الخاصة بكل منها بغرض الوصول إلى قراءة تحليلية موضوعية للمشهد الأمني المحلي.

سجن غويران وافتتاح حملة هدم الأسوار.

بعد فشل الخلايا النائمة لتنظيم داعش في شنّ هجوم على سجن الصناعة في حي غويران بمدينة الحسكة في شهر تشرين الثاني من العام المنصرم، والذي يضم حوالي 5000 سجين من أخطر مقاتلي التنظيم ومن جنسيات مختلفة؛ باشرت المؤسسات الأمنية التابعة لكل من قسد والإدارة الذاتية بعملية ملاحقة وتقصي عن تلك الخلية، وبالفعل نجحت في 26 من شهر كانون الأول من نفس العام باعتقال زعيمها المدعو (محمد عبد العواد) الملقب باسم (رشيد)([1]) مع مجموعة من عناصره والذي كان يتحضر مع خليته مرة أخرى لتنفيذ هجوم على السجن وذلك بتفجير سيارتين مفخختين أمام الباب الرئيسي للسجن وإحداث ثغرة في الجدران المحيطة بغرض اقتحامه من قبل أربعةَ عشرَ عنصراً انتحارياً، ونقل أكبر كمية ممكنة من الأسلحة الخفيفة والذخيرة إلى الداخل لتحويل المعتقلين من عناصر التنظيم إلى مقاتلين، والقيام بهجوم واسع للسيطرة على مدينة الحسكة واستقطاب جميع خلايا التنظيم النائمة ومقاتليه المنخرطين في عمليات الارتزاق لصالح جيش الاحتلال التركي في محاولة لإعادة أحيائه، إلا أن هذا لم يتم كما كان مخططاً بحسب ما أدعى به هذا القيادي وتم مصادرة السيارات المفخخة ومعظم الأسلحة التي كانت بحوزتهم. بتاريخ 20 كانون الثاني من عام 2022م وفي يوم الخميس الذي شهد تساقطاً كثيفاً للثلج والذي يسبق يوم الجمعة الذي يعتبر عطلة رسمية في شمال وشرق سوريا، هاجمت خلايا التنظيم وبنفس الخطة التي أوردها القيادي الداعشي المعتقل على سجن الصناعة، وبمؤازرة حوالي 200 عنصر نظموا أنفسهم وتعششوا في المنطقة منذ قرابة ستة أشهر- يطلق التنظيم عليهم اسم الإنغماسيين- وبتنسيق مع قادة التنظيم المتواجدين في المناطق المحتلة من قبل الدولة التركية في شمال البلاد بحسب ما أورده بيان صادر عن المركز الإعلامي لقسد([2]).

[1] يمكن الاطلاع على اعترافات المدعو (محمد عبد العواد) الملقب باسم (رشيد) على الرابط:
https://youtu.be/Izg-7EHZZz0

[2] للاطلاع على البيانات التي أصدرتها قسد من المفيد مرجعة الموقع الرسمي للمركز الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية على الرابط:
https://sdf-press.com/?p=36022

إنّ الضعف الذي يعانيه تنظيم داعش بعد هزيمته في الباغوز لا يؤهله للقيام بعملية كبيرة بهذه الدقة والقوة التنظيمية، وهذا ما يشير إلى تواطؤ قوى إقليمية ودولية تحاول استثمار استراتيجية " الفوضى الخلاقة " بغرض تمكين هيمنتها على المنطقة، أو تصفية حسابات فيما بينها، أو شنّ عمليات إبادة جديدة ضد الكرد والمسيحيين؛ إنّ ما يطرح هذه التكهنات التزامن النسبي لهجوم التنظيم مع سلسلة من الأحداث السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية ضد مناطق شمال وشرق سوريا خاصة في شهري تشرين الثاني وكانون الأول وبداية كانون الثاني الذي شهد هذه الهجوم الإجرامي، فقد شهدت هذه الأشهر العديد من الأحداث المتواترة لعل أبرزها حملة التسويات الأمنية التي أطلقها النظام في أرياف الرقة ودير الزور والتي بدأت في 14تشرين الثاني من عام 2021م بإشراف كل من المخابرات العامة وحزب البعث، ليسارع العشرات من المحسوبين على التنظيم بتسوية أوضاعهم، وحاول النظام عبر عملائه من وجهاء بعض العشائر زعزعة استقرار الأمن في مدينة الطبقة إلا أنها لم تستطع الاستمرار بسبب عدم تجاوب السكان معهم، إلى جانب تعاطف وسائل الإعلام التابعة للنظام مع بعض العمليات العسكرية التي تنفذها عصابات ما تسمى ب " المقاومة الشعبية لتحرير المنطقة الشرقية " والتي تشكلت إثر تحرير الرقة من قبضة تنظيم داعش، ويتبين من خلال تكتيكاتها القتالية المطابقة لتكتيكات تنظيم داعش وتعاطف إعلام النظام معها وجود تفاهم بين استخبارات النظام والخلايا النائمة للتنظيم على قاعدة محاربة العدو المشترك لهما وهما قوات التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب والإدارة الذاتية بالاستناد على الخبرات وتاريخ العلاقات المشتركة التي اكتسبت في فترة دعم استخبارات النظام السوري لخلايا تنظيم القاعدة في قتال قوات التحالف الدولي التي أسقطت النظام العراقي، حيث كان يعبر العشرات ممن يطلقون على أنفسهم المجاهدين الحدود من سوريا إلى العراق بالإضافة إلى عمليات نقل كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة، يبدو أن حزب البعث السوري يسير على خطى شقيقه العراقي عبر استقطاب الجهاديين حيث يخلو تاريخ الحزب من عمليات قتالية ثورية ولا يمتلك عناصره عقيدة قتال قوية مقارنة بخبرة الحزب السلطوية. وما يلفت النظر تزامن هجوم التنظيم على السجن حشدَ النظامُ وحلفاؤه لقواتهم على الضفة الغربية من نهر الفرات، وتصريحات وزير خارجية النظام المسيئة لعمليات مقاومة إرهاب التنظيم في مدينة الحسكة والتي وصفها بـ "جرائم حرب."

من ناحية أخرى بدت تركيا كمشرف مباشر على هذا الهجوم الإرهابي، فمعظم المهاجمين تلقوا تدريباتهم في المناطق المحتلة من قبلها بحسب ما أفاد به بعض المقاتلين الذين استسلموا، علماً أنها تقدم الحماية للعشرات من عناصر التنظيم وسمحت لهم بالانخراط في صفوف الميليشيات المرتزقة التابعة لها في المناطق المحتلة، وقد تزامن هجوم التنظيم بقصف مكثف على مناطق تل تمر وعين عيسى وحاولت الفصائل المرتزقة التقدم للسيطرة على بعض المناطق إلا أن مقاتلي قسد استطاعوا دحرهم بحرفية قتالية جيدة، وبحسب بيان صادر عن المركز الإعلامي لقسد كان من المفروض أن تقوم الدولة التركية باجتياح المنطقة من تل تمر وعبر جبل عبد العزيز/ جبل كزوان حتى الحسكة وذلك بالتسلل عبر المعارك التي كان من المفروض أن يخوضها التنظيم، ومن ثم التدخل بذريعة محاربة الإرهاب واحتلال المنطقة ظناً منها أن قسد لن تستطيع الصمود وافتراضها بعدم تعاون المجتمعات المحلية معها بعد أن فرضت حصاراً اقتصادياً بالتنسيق مع كل من النظام السوري الذي كان قد أغلق معبر الطبقة وسلطة الحزب الديمقراطي الكردستاني- العراق الذي كان قد أغلق

معبري سيمالكا والوليد/سحيلة مع مناطق الإدارة الذاتية في 16 كانون الأول عام 2021م بذرائع غير مقنعة، وتحريض عملائها من تجار السوق السوداء باحتكار أكبر كمية ممكنة من المواد، وتصعيد الحرب النفسية ضد سكان المنطقة بالتركيز على الدعاية السوداء، بالتزامن مع قيام القنوات المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين والتنظيمات الإرهابية والمجلس الوطني الكردي ENKS بتحريض إعلامي مكثف ضد قسد وتقديم كل ما يلزم لرفع معنويات مقاتلي التنظيم، وتحريض المجتمعات المحلية للتمرد على الإدارة الذاتية؛ إلا أن حساباتهم بدت غير دقيقة حيث استطاعت قسد الصمود وقاومت بشجاعة وكفاءة بحسب تصريحات صدرت عن التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب، وازداد تعاطف السكان مع قسد بدرجة أكبر بدليل تمكن قسد من إلقاء القبض على العشرات من الخلايا النائمة والعناصر الفارين، وتجاوبْ المواطنين مع تعليمات القيادة العامة للآسايش، وهذا ما عزّز القناعة بكون داعش ومثيلاتها لا يشكلون أي مصدر للأمن والأمان بالنسبة لسكان المنطقة.

بدا من خلال الهجوم الذي نفذه التنظيم مدى التنسيق الاستخباراتي بين النظامين السوري والتركي وبمباركة أصدقائهما من الروس والإيرانيين لضرب حالة الأمان والاستقرار النسبي في مناطق الإدارة الذاتية، ويصعب نفي صلتها بالتفاهمات التي تمت خلف الكواليس في اجتماع آستانا الأخير في جولته السابعة عشرة والتي عقدت في آستانا/ كازاخستان بتاريخ 22 كانون الأول 2021م، وما تم الإشارة إليه من موقفي النظامين السوري والتركي من الهجوم الإرهابي الأخير على مدينة الحسكة يشير إلى تنسيق أمني عميق بين الطرفين، ومن المتوقع بروز أحداثٍ أخرى مشابهة في المستقبل القريب، إلا أن استهانتهما بكل من الدعم الشعبي المقدم إلى كل من الإدارة الذاتية وقسد والاستهتار بعقيدة القتال لدى المجتمعات المحلية ستكون نقطة الضعف دائمة التأثير في مخططاتهما، وقد ينعكس فشل هذا الهجوم الإرهابي عليهما وستزداد قناعة الرأي العام والمجتمع الدولي بوقوف كلا النظامين وراء الأزمات التي تعيشها المنطقة وتنامي قوة التنظيمات الإرهابية المتطرفة.

عوامل القوة والضعف في الهجوم على سجن الصناعة.

نجح التنظيم بعد سلسلة من المحاولات في اقتحام السجن وأسر عدد من الموظفين وعناصر الحراسة في حملة أطلق عليها اسم هدم الأسوار، وتحويل بعضٍ من أحياء الحسكة إلى ساحة قتال، ويبدو أنه زجَّ بخيرة مقاتليه في القتال؛ اتبع التنظيم استراتيجية الصدمة والترويع[3] ضد العناصر

[3] استراتيجية الصدمة والترويع (Shock and Awe strategy) مصطلح لاستراتيجية عسكرية تقوم على تحقيق هيمنة سريعة على الخصم من خلال الفرض الأولي للقوة الساحقة والقوة النارية. تمت صياغة هذا المفهوم من قبل المحللين الاستراتيجيين الأمريكيين هارلان ك.أولمان وجيمس ب.واد في وثيقة إحاطة للبنتاغون عام 1996م، وبرزت على نطاق واسع خلال الحملة في العراق عام 2003م...

Oxford Reference; overview: shock and awe; Link:
https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/oi/authority.20110803100502693

للمزيد عن استراتيجية الصدمة والترويع من المفيد مراجعة:

Harlan K. Ullman and James P. Wade; Shock and Awe Achieving Rapid Dominance; Prepared by Defense Group Inc. for The National Defense University; Link: http://www.dodccrp.org/files/Ullman_Shock.pdf

المكلفة بحماية السجن والمنطقة المحيطة بهدف تحقيق هيمنة سريعة عليها، وذلك من خلال تنفيذ تفجيرات في مرآب سادكوب (شركة المحروقات) الواقع جنوب السجن، والهجوم على أحد مراكز قوات واجب الدفاع الذاتي القريبة، ونشر القناصة والمقاتلين في حيي غويران والزهور (حوش الباعر) مع التركيز الناري على بوابة السجن وتفجير سيارتين مفخختين بهما، مستفيداً من عنصر المفاجئة وعدم الخبرة الكافية لعناصر الحراسة والموظفين في التعامل مع الأحداث الأمنية الطارئة، مقارنة بالعدد الكبير وخبرة المقاتلين المحتجزين داخل السجن الذين بمجرد وصول السلاح والذخيرة إليهم سيضاعفون من أعداد المهاجمين بشكل يمكنهم من تحقيق سيطرة سريعة على السجن ومحيطه وتوسيع دائرة السيطرة بمجرد وصول المزيد من الدعم إليهم، ما ساهم في تعزيز هذا الافتراض لدى التنظيم انشغال قسد بمواجهة هجمات جيش الاحتلال التركي ومرتزقتها في جبهات التماس والاحتفاظ بقوات قليلة داخل المدينة، إلى جانب انشغال الأسايش بملاحقة العصابات والخلايا النائمة التابعة لكل من النظام السوري وداعش في العديد من المناطق.

توجد العديد من الأسباب الكامنة وراء هذا الهجوم، فهناك محاولات للإضرار بمكانة قسد والإدارة الذاتية كقوة يمكن الاعتماد عليها في محاربة الإرهاب وحماية المجتمعات المحلية وتتقاطع هذه المحاولات مع مصلحة كل من النظامين التركي والسوري؛ إلى جانب السعي لرفع معنويات أتباعه حول العالم وفي المخيمات وغض النظر عن اخفاقاته والمآسي التي جلبها على حاضنته الشعبية وعلى المجتمعات الأخرى؛ بالإضافة إلى محاولة تكرار تجربة صعوده التي تمت في العراق بعد هجومه على عدد من المعتقلات وتحرير أنصاره والانطلاق للسيطرة على المنطقة الواقعة بين جانبي الحدود السورية- العراقية، علماً أن السجن يضم نخبة من قادته ومقاتليه؛ بالإضافة إلى استغلال ظاهرة الغلاء المعيشي التي تشهدها المنطقة بسبب الأزمة التي تعاني منها البلاد والحصار الاقتصادي المفروض عليها، وهذا ما ولّد وهماً يوحي بنقمة شعبية على الإدارة الذاتية وتوقع رفض المجتمعات المحلية تقديم العون لها. حاول التنظيم الصمود لأطول فترة زمنية ممكنة من خلال أسر بعض الموظفين والمقاتلين[4] واتخاذهم مع ممن يُسَمَوْنَ بأشبال الخلافة والذين كانوا متواجدين في مهاجع خاصة لإعادة تأهيلهم كرهائن ودروع بشرية، الأمر الذي جعلهم ورقة ضغط بيد التنظيم في أية مفاوضات محتملة، وإرباك مقاتلي قسد والأسايش بتوجيه تركيزهم على حماية هؤلاء الرهائن، والتسبب في قتلهم قد يؤلب عائلاتهم على قسد وتحميلها مسؤولية عدم انقاذهم، ومقطع الفيديو الذي نشره التنظيم الذي يظهر عدداً من الرهائن من أبناء المنطقة يشير إلى هذه الغاية، كما أن التسبب بقتل السجناء سيدعم من دعاية التنظيم التحريضية وإغواء أتباعه للقيام بردود فعل انتقامية عبر عمليات الذئاب المنفردة. إلا أن تدخل التحالف الدولي وإصداره بيانٍ بخصوص هذا الهجوم واحترام قسد لقوانين حقوق الإنسان أثناء الحروب أجهض هذا المسعى.

كل تلك الأمور وغيرها كانت وراء إصرار التنظيم على تنفيذ مخططه الذي يبدو أنه فشل في مراحله الأولى، خاصة بعد تحوله إلى مطيّة لكل من النظامين السوري والتركي والإخوان المسلمين في تهجمهم على كل من قسد والإدارة الذاتية، ولم يستطع تهيئة مناخٍ يمهد لانبعاثه من

[4] يمكن الاطلاع على عملية تحرير عدد من الأسرى من قبل قسد على الرابط:
https://ne-np.facebook.com/3ajelhasaka/videos/

جديد، أي أن الهجوم ارتد سلباً على التنظيم نفسه، فالعملية التي قام بها والتي يبدو أنها فشلت في تحقيق هدفها الجوهري المتمثل بتحرير قادة التنظيم ونقلهم إلى مناطق يسيطر عليها أو إلى مناطق الاحتلال التركي أو فرض سيطرته على الأحياء الجنوبية من مدينة الحسكة، بل على العكس فقد عرضهم ذلك لخطر القتل والانتقام وهذا ما جاء في بيان التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب الذي اعتبر أن التنظيم أصدر أحكاماً بالإعدام على مقاتليه المحتجزين بعد انخراطهم في القتال([5]) وبالفعل فقد قتل العشرات منهم أو أصيبوا بجروح بليغة؛ ومن ناحية أخرى يبدو أن التنظيم استقدم خيرة مقاتليه إلى المعركة وفشلهم يعني استنزاف ما تبقى من طاقة التنظيم التعبوية وإضعافه بدرجة أكبر، ومن المتوقع تعرض العديد من قادة التنظيم للمسائلة من قبل زعمائهم وقد تحدث عمليات تصفية داخلية وهذا ما تم بعد تصفية زعيم التنظيم في أطمة بريف إدلب([6])، وستتزعزع الثقة بخلايا داعش الحالية كقوة يمكن الاعتماد عليها لإعادة إحياء التنظيم. من ناحية أخرى ستلجأ قيادة قسد لاستراتيجية جديدة للتعامل مع المعتقلين ووضع السجون الأمر الذي سيجعل من أية عمليات مستقبلية مشابهة صعبة للغاية قد تكلف التنظيم خسائر أكبر؛ بالإضافة إلى ذلك تسبب التنظيم بمعاناةٍ كبيرة للمدنيين في المدينة حيث أن معظم من فقدوا حياتهم أو أصيبوا ينتمون إلى عائلات محلية، مما سيزيد من تعاطف المجتمعات المحلية مع قسد والمؤسسات الأمنية التابعة للإدارة الذاتية، كون الثقة بالنظام وداعش ودولة الاحتلال التركية ومرتزقتها من فصائل المعارضة شبه معدومة لدى غالبية المجتمعات المحلية التي عاشت تجارب قاسية مع هذه القوى، وما يشير إلى هذا الأمر تحريضه لما يسمى بالإعلام الجهادي التابع للتنظيم بزيادة وتيرة نشاطه الدعائي التحريضي كونه لم يتلق استجابة لا من قبل المتعاطفين معه ولا من قبل المجتمعات المحلية، وبالتالي بروز قسد كقوة يمكن الاعتماد عليها في حفظ الأمن في المنطقة؛ ويبقى عامل تأمين الموارد المعيشية والخدمية الوحيد الذي سيؤرق العلاقة بين قسد والإدارة الذاتية من ناحية والمجتمعات المحلية من ناحية أخرى علماً أن تلك القوى تعمل على هذا الأمر من خلال فرض الحصار الاقتصادي بإغلاق المعابر مع مناطق شمال وشرق سوريا وإحداث أزمة اقتصادية من الداخل.

- **مخيم الهول في استراتيجية الزعيم الجديد للتنظيم.**

تمر المنطقة بظروف أمنية حساسة، ما يشير إلى ذلك التجارب الفاشلة للتنظيم في إعادة انبعاثه مجدداً والتي كان آخرها هجومه الفاشل على سجن غويران، ووجود العشرات من عناصر التنظيم وعوائله في المحتجزات والمخيمات، والنشاط الفعال لاستخبارات النظامين السوري والتركي وحلفائهما لخلق بيئة غير آمنة في مناطق الإدارة الذاتية، بالتزامن مع شن عمليات عسكرية عدوانية على جبهات التماس مع قسد، تؤثر هذه الأمور على ذهنية قادة التنظيم في إعداد مخططاتهم بمعنى

[5] للاطلاع على هذا التصريح من المفيد مراجعة: موقع عملية العزم الصلب؛ التحالف: الهجمات اليائسة تجعل داعش أضعف؛ تاريخ النشر: 2022/1/24م؛ الرابط:
https://www.inherentresolve.mil/Home/Article/2908319/

[6] تم قتل أبو إبراهيم الهاشمي القرشي بتاريخ 3 شباط 2022 بمنطقة أطمه بريف ادلب بالقرب من الحدود السورية-التركية بينما تم قتل أبو بكر البغدادي في 27 تشرين الأول من عام 2019م بعملية مشابهة (إنزال جوي ودعوات الى الاستسلام وإطلاق نار متبادل وتفجير الزعيمين لنفسهما) في قرية باريشا التي تبعد حوالي 10 كيلو متر عن موقع استهداف القرشي- ينشط في المنطقتين تنظيم حراس الدين التابع للقاعدة والمتخاصم مع جبهة النصرة...

أن هناك بحثاً مستمراً عن مخططات جديدة تلائم الظروف الأمنية المتقلبة في المنطقة، فالهجوم على سجن غويران لم يكن ليتم لولا توفر هذه الظروف؛ فالنشاط الاستخباراتي للنظام السوري والدعاية السوداء ضد قسد والإدارة الذاتية على وسائل إعلامه وحملة التسويات الأمنية لأوضاع عناصر التنظيم السابقين والمتزامنة مع الاعتداءات العسكرية المستمرة للنظام التركي ودعايته السوداء ضد المنطقة والمتكاملة مع جهود إحداث أزمة اقتصادية وغلاء معيشي في المنطقة، وتأمين حرية العمل الأمني لعناصر التنظيم في المناطق المحتلة، وفّر مناخاً ملائماً لحشد خلايا التنظيم النائمة في مقاطعة الحسكة ودفعه لشن هجومه الأخير على سجن غويران بكل ثقة وزجه بخيرة مقاتليه في المعارك بمحيط السجن؛ إلا أن تحليله الاستخباراتي والعسكري كان خاطئاً نسبياً بدليل وقوف داعميه والمتعاطفين معه متفرجين عليه، واستنفار المجتمعات المحلية ضده بالوقوف إلى جانب قسد والأسايش وقوات حماية المجتمع، كما أنه تحاشى اتخاذ تدابير دفاعية لمواجهة قوات التحالف الدولي المتواجدة بالقرب من مكان الهجوم؛ الخطأ الاستراتيجي الآخر للتنظيم هو تواطؤه مع كل من النظامين التركي والسوري ضد الإدارة الذاتية فالنظامان متيقنان بأن القضاء على التنظيم لاحقاً أسهل بكثير من القضاء على قسد والإدارة الذاتية المدعومة من المجتمعات المحلية من ناحية، وضعف الجغرافية العسكرية للمنطقة بالنسبة للتنظيم من ناحية أخرى، وكان من المفروض أن يدرك قادة التنظيم بأن داعميه وحلفائهم لن يسمحوا له بتحقيق انتصار كامل وفرض سيطرة شاملة على المنطقة، حيث كانوا سيتدخلون لاحتلال المنطقة تحت مسمى (محرّرين!) إثر انهيار دفاعات قسد والأسايش وفرار المجتمعات المحلية؛ لتكون النتيجة الفشل المخزي الذي تكلل بمقتل زعيم التنظيم أبو إبراهيم القرشي في منطقة إدلب التي تبدو كتصفية داخلية وكردة فعل على فشل العملية والخسارة البشرية والمعنوية الكبيرة التي مني بها التنظيم، قد يكون الدافع وراء هذا الأمر أيضاً إخفاء تعاونه الأمني مع النظامين السوري والتركي، ومنعه من التحدث لاحقاً بهذا الخصوص مع قادة التنظيم الآخرين في المناطق التي من المفروض أن يلتقي بهم بعد هذه العملية، فتم رفع الغطاء الأمني عنه وإعطاء احداثيات موقعه لقوات التحالف الدولي.

بالنسبة للزعيم الجديد للتنظيم أبو حسن الهاشمي من المتوقع أن يدخل مخيم الهول في صلب استراتيجيته الجديدة بعد فشل استراتيجية سلفه القرشي التي تسببت بانهيار في معنويات الخلايا النائمة وبروز مشاعر عدم الثقة بدليل عجزه عن تنفيذ عمليات نوعية مشابهة. استناداً على التحليل العسكري والاستخباراتي الخاطئ لقادة التنظيم، وتصفية زعيمهم، وخذلانهم من قبل داعميهم، وانهيار معنويات الانغماسيين سيدفع بالزعيم الجديد إلى دراسة خياراته بشكل أكثر دقة وخباثة خاصة أنه يقع على عاتقه إصلاح تداعيات الهجوم الفاشل وتحقيق استراتيجية التنظيم بانبعاثه مجدداً؛ لذا يعد مخيم الهول هدف استراتيجي آخر مناسب له في حفظ ماء وجه الصف الأول من قيادات التنظيم وترميم الصدع الذي برز إثر فشل الهجوم على السجن، علماً أن نجاح هذا الهجوم كان سيرفع معنويات مقاتلي التنظيم والتحصن في مدينة الحسكة وتأجيج عقيدة القتال المتوحشة لدى أنصاره، وبالتالي استلام زمام المبادرة الهجومية.

مخيم الهول أو دويلة الهول أو عاصمة التطرف الجديدة أو أخطر مخيم في العالم أو القنبلة الموقوتة مسميات عديدة تصف مساحة واسعة مسورة بسياج بني على عجل معززاً ببعض

كاميرات المراقبةِ وحرسٍ من قليلي الخبرة –اضطرت قسد للاستعانة بمعظم مقاتليها ذوي الخبرة العسكرية من أجل صد هجمات جيش الاحتلال التركي ومرتزقته في شمال البلاد- في بلدة الهول الواقعة في الريف الجنوبي الشرقي من مقاطعة الحسكة.

يقطن في هذه المساحة حوالي 58000 شخص جلهم من النساء والأطفال يعيشون ظروفاً صعبة من البؤس فرضتها عليهم أيديولوجية التنظيم وهزيمته في آخر معاقله بالباغوز عام2019م في ريف دير الزور الشرقي واستسلام العديد من قادته؛ بعضهم أظهروا ندمهم وخرجوا من المخيم عبر وساطات عشائرية وعادت أعداد منهم مرة أخرى إلى المخيم بسبب عدم توفر متطلبات العيش وعدم وجود أمن وأمان في بعض المناطق التي قصدوها، وبعضهم استطاعوا الفرار من المخيم إلى المناطق المحتلة من قبل تركيا، والأغلبية الباقية لا تزال متشبثة بالمكوث في المخيم ولازالوا متعصبين لأوهام أيديولوجية التنظيم المتلخصة بوجوب ارتكاب أي فعل متوحش ممكن تجاه أي مختلف عنهم كشرط لإثبات الولاء وسعادة الأتباع والفوز برضى الإله وتمكين سلطة الزعماء.

58000 شخصاً لا يزال الكثير منهم متزمتين لأيديولوجية التنظيم ويملكون أمل العودة إلى حالة الخلافة التي خلقتها أوهام زعمائهم في سعيهم لبناء دولتهم الأسطورية لذا يثابرون على حياتهم التنظيمية داخل المخيم من خلال هيئة الحسبة والدورات الشرعية والنقاشات الأيديولوجية التي تحقن النفوس بالمزيد من الضغائن تجاه العالم ومعاقبة كل من يتواصل إيجاباً مع إدارة المخيم أو يقبل إعادة تأهيله أو يرغب بالخروج بعد التعهد بعدم الانضمام مجدداً إلى صفوف التنظيم، إلى جانب زيادة فعالية الخلايا النائمة القتالية المختصة بالاغتيالات والتهريب، وهذا ما يشير إلى وجود جهاز استخباراتي مصغّر داخل المخيم وظيفته القتل ومراقبة المراقبين للمخيم والدراسة المستمرة لأفضل السبل الممكنة للهروب وحفر الأنفاق، وتلقي التعليمات من عناصر التنظيم في خارج المخيم الذين يعملون على رشوة بعض العاملين في المنظمات الإغاثية أو تهديدهم، ودسّ الانغماسيين بين قوات الحرس والموظفين في حال توفر أية فرصة، لذلك يمكن الجزم بوجود ثلاثة خلايا منظمة على الأقل داخل المخيم عناصرها من النساء وأشبال الخلافة والرجال، وهي الخلية الأمنية والخلية المسؤولة عن تمكين أيديولوجية التنظيم والخلية القتالية، يمكن القول بأن هذه الخلايا تعد المسؤولة المباشرة عن تدهور الوضع الأمني في المخيم وعن زيادة القهر والبؤس للقاطنين فيه.

وهنالك عدة عوامل تسهل عمل هذه الخلايا لعل من أبرزها:

- من المنطقي الجزم بتسلل عناصر من استخبارات التنظيم بين الذين تم نقلهم إلى المخيم، وإخفاء هوياتهم، والظهور بمظهر عامة الناس، وإدارة العمليات السرية بحرفية جيدة من الداخل.
- سهولة اختراق المخيم مقارنة بالمحتجزات كونه مفتوح ولا يوجد تقييداً معقداً في حركة الدخول والخروج إليه، فهناك مندوبون لعشرات المنظمات فيه، ولاجئين عراقيين، ومعظم قوات الحماية والحراسة من سكان المنطقة.
- إهمال المجتمع الدولي لوضع المخيم ساهم في عدم قدرة إدارة المخيم على كبح تنامي أيديولوجية التنظيم داخل المخيم، وهناك ضعف في تعريف المتطرفين بوهم أفكارهم.

- استمرار الضغط الاستخباراتي والعسكري والإعلامي لكل من النظامين السوري والتركي والإيراني والحزب الديمقراطي الكردستاني على المؤسسات الأمنية والعسكرية المحلية.

من ناحية أخرى هنالك عدة تساؤلات تطرح نفسها بخصوص موقع المخيم في استراتيجية التنظيم يصعب الإجابة عليها بشكل دقيق وهي، ماهي الخيارات الممكنة أن يتخذها التنظيم، هل من الممكن أن يكرر نفس سيناريو سجن غويران، أم أن هناك خيارات أخرى؟

بالنسبة لتنفيذ هجوم مماثل لعملية السجن يعترضه الكثير من الصعوبات نظراً لعدم وجود مقاتلين خطرين على غرار المحتجزين في السجن، كما أن أي هجوم على المخيم سيتسبب بمقتل العشرات من عوائله، حتى لو استطاع أتباعه الفرار بأعداد كبيرة عبر سياج المخيم أو داخل أنفاق معدة مسبقاً لهذا الغرض فأين سيتمركزون؟ في حقيقة الأمر لن تساعد جغرافية منطقة الهول في هذا الأمر كثيراً مقارنة بمدينة الحسكة المكتظة بالأبنية الاسمنتية والسكان، وجبل شنكال القريب من المنطقة محمي بشكل جيد من قبل قوات حماية شنكال الإيزدية، كما أن المنطقة بعيدة عن المناطق التي تحتلها الدولة التركية، وبعيدة نسبياً عن المناطق التي يسيطر عليها النظام السوري واستغلال خيار الدخول في تسويات أمنية معه كمرحلة أولية لإعادة انبعاث التنظيم مجدداً. وما يزيد من صعوبة هذا الأمر عدم رغبة معظم المجتمعات المحلية باحتضان عناصر التنظيم مجدداً وعودة سلطته والتعرض لتداعيات معارك جديدة، كما أن قوات التحالف الدولي ترصد المخيم باستمرار، وقد زادت المؤسسات الأمنية المحلية وقسد من حسّها الأمني وبالفعل تمكنت من إحباط هجوم على دورية للأساييش من داخل المخيم بتاريخ 28 آذار من عام 2022م وبحسب بيان المركز الإعلامي العام لقوى الأمن الداخلي في شمال وشرق سوريا استخدمت الخلية المهاجمة أسلحة الكلاشينكوف والمسدسات وقذائف RBG حيث تم قتل أحد العناصر وجرح آخرين ونجحت القوات الأمنية في الحفاظ على حياة عدد كبير من المدنيين داخل المخيم بعد أن حاول عناصر الخلية تحويلهم إلى دروع بشرية، وتم فرض طوق أمني حول المخيم وجلب المزيد من التعزيزات، ومن خلال الأخبار المتعلقة بهذا الهجوم تبين أن الهجوم تم قبل منتصف الليل داخل المخيم وكان المرتزقة يرتدون الزي العسكري المشابه لزيّ قسد وقوات حرس المخيم، وتسللوا إلى قطاع الخيم الذي يضمُّ النساء المتشددات وما يسمى بأشبال الخلافة عبر إحدى المنظمات- لم تُعرف هويتها بعد- والهجوم كان عنيفاً تسبب بوقوع بعض المدنيين جرحى وفقدان عدد منهم لحياتهم. على الرغم من أن هذه الحادثة تذكرنا بالهجوم الذي كان ينوي تنفيذه المدعو (محمد عبد العواد) في نهاية العام المنصرم والتي على إثرها شن التنظيم هجومه العنيف على سجن غويران، وعلى الرغم من الافتراض جدلاً بأن قادة التنظيم تعلموا درساً من فشلهم في ذلك الهجوم واستحالة إخراج جميع أتباعه من المخيم وتجميعهم في منطقة حصينة تشكل معقلاً جديداً له، هذا الأمر يشير إلى خطة براغماتية خبيثة أخرى قد يلجأ إليها التنظيم لتحريض عقيدة القتال لدى أتباعه ودفعهم لرصّ صفوفهم وزيادة وتيرة عملياتهم من منطلق انتقامي، هذه الخطة تتمحور حول ارتكاب مذبحة بحق القاطنين في المخيم واتهام قسد والإدارة بالوقوف ورائها ما سيخلق بيئة أمنية خطيرة في المنطقة والعالم وتعزيز الدعاية الديماغوجية السوداء للتنظيم وهذا ما يصب أيضاً في مصلحة النظامين التركي والسوري وحلفائهما المتمحورة حول ضرب قسد وقوات التحالف الدولي، ومن شأنه أن يرمم أيضاً تداعيات الهجوم الفاشل على سجن غويران واغتيال القرشي وتوفير ظروفاً مناسبة لإعادة الانبعاث مجدداً.

في سبيل ذلك قد تتكرر الهجمات على المخيم لتشتيت انتباه قوى الأمن الداخلي وقسد عن هذا الأمر.

وهناك عدة عوامل تدعم هذه الفرضية من أبرزها:

1. لا يمكن فصل ما ينتظر مخيم الهول عن الهجوم الفاشل على سجن غويران.
2. تزداد وضوح الاستراتيجية الأمنية للنظام تجاه داعش وتكاد تكون مشابهة لسياسته التعاونية تجاه القاعدة في العراق بعد سقوط صدام، ونظام التسويات الأمنية لعناصر التنظيم ليست سوى هدنة أو صفقة بين التنظيم والنظام على غرار صفقته مع قوات الاحتلال التركي.
3. استمرار تأثر المرأة الداعشية بسحر أيديولوجية التنظيم والتشبث بالنزعة المازوشية في الرضوخ للذهنية الذكورية حيث المزيد من القيود والتقوقع والدوغمائية.
4. وقوع الضحايا بأعداد كبيرة داخل المخيم كفيلة بإثارة الجرح النرجسي للتنظيم مجدداً، وشحن معنويات الاتباع وخلق قضية جديدة للقيام بأعمال وحشية في سبيلها.
5. لاتزال بعض الدول مقتنعة بسياسة الفوضى الخلاقة لاحتلال المنطقة أو فرض هيمنتها عليها لذلك تعيق أي مسار لتحقيق استقرار خلاق في المنطقة عبر منح شرعية دولية للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا كأساس لإيجاد حل للأزمة التي تعاني منها البلاد منذ عشرة أعوام. فالتطرف الإسلامي يبدو أنه لا يزال يشكل وسيلة مرغوبة وفعالة في خوض الصراعات الدولية الراهنة والمستقبلية في شرقي أوروبا وآسيا وإفريقيا، وهناك بؤر توتر متعطشة للجهاديين؛ فلا تكاد تخلو أية منطقة ذات طبيعة استراتيجية وموقعاً جيوسياسياً مهماً وتضم سكان مسلمين إلا ويوجد تنظيم متطرف، لذلك فإن إبقاء المتطرفين محجوزين في مخيمات وسجون أمرٌ منافي لهذه الاستراتيجية.
6. الأزمات الدولية تخلق فرص مناسبة لأية ضربة متطرفة، بسبب تشتت الانتباه الأمني للمجتمع الدولي، كما أن نداءات الإدارة الذاتية وقسد بخصوص خطورة الوضع في المخيم ليست ذات فعالية في خضم الأزمة الروسية- الأوكرانية، والأزمة الإيرانية- الغربية والإسرائيلية.

السياسة الإقليمية والمحلية تجاه محاولات الانبعاث.

بالنسبة لتركيا والنظام السوري فلهما مصلحة في كل عملية تستهدف القوة المعنوية والمادية لكل من قسد والإدارة الذاتية، وتحاولان استثمار انشغال القوات المدافعة عن شمال وشرق سوريا بأية معارك أخرى لتوسيع مناطق نفوذهما باحتلال مناطق أخرى وإظهار قسد كقوة غير قادرة على استتباب الأمن في المنطقة، من ناحية أخرى يزداد وضوح مساعي النظام السوري في تكرار التجربة العراقية مع القوات الغربية بعد سقوط النظام العراقي حيث تنظم حملة إعلامية مركزة تصور كل عملية عدوانية ضد قوات التحالف والأساييش وقسد والمؤسسات الخدمية كمقاومة تقوم بها الفصائل الشعبية، وليس من المستعبد أن تقدم الفروع الأمنية وعملاؤهم المخفيين وبإشراف روسي أو إيراني على زيادة التواصل مع هذه الخلايا النائمة الداعشية والإخوانية والبعثية والصدامية، وتقديم الدعم لهم بغرضين الأول اختراق شبكاتهم أمنياً لضربهم لاحقاً وثانياً ضرب

الإدارة الذاتية وإرهاب القوات الأمريكية، وبالتالي تذليل بعض العقبات التي تقف أمام إعادة تمكين سيطرتهم على المنطقة. أو على الأقل خلق بيئة غير مستقرة من ناحية الأمن والأمان للتمهيد لأية عمليات عسكرية مستقبلية لإعادة السيطرة على المنطقة أو احتلالها.

من هنا فإن نجاح قسد والإدارة الذاتية في التعامل مع هذه المشكلة سيزيد من مكانتها في المجتمع الدولي كقوة ضامنة نسبياً للأمن والسلم الدوليين، وسيظهر النظامين التركي والسوري عاجزين أمام إرادة سكان المنطقة وبنفس الوقت كقوتين تطرحان تحديات أمام الأمن والسلم الدوليين، هنا سيكون من المفيد تقديم مسد أو الإدارة الذاتية أو مؤسسات المجتمع المدني لشكوى واحتجاج أو تصريح في مؤتمر صحفي موسع بخصوص العدوان الداعشي- التركي- الإخواني المتزامن على المناطق الآمنة من شمال وشرق سوريا أو عقد ندوات أو غير ذلك بشكل يخدم الدبلوماسية الخارجية للإدارة الذاتية؛ أما بالنسبة للدبلوماسية الداخلية سيكون إفشال هذا الهجوم تثبيطاً للعامل الأيديولوجي الموجه ضد الإدارة الذاتية وإفشال عملية إحداث شرخٍ وتعميقه بين الإدارة والمجتمعات المحلية، وستبقى أزمة تأمين المواد الغذائية والخدمية العامل المعكر لهذه العلاقات والتي يمكن حلها مع الزمن، إلا أن هذا الوضع سيؤمن المناخ أو البيئة المناسبة لتنامي تأثير الحرب النفسية على المجتمعات المحلية وهذا ما سيستدعي اتباع كلٍ من قسد والإدارة الذاتية استراتيجية أكثر فعالية للتعامل مع الأزمات التي تعصف بالمنطقة من حين إلى آخر. على العموم فإن نجاح قسد والإدارة الذاتية في استتباب الأمن في مقاطعة الحسكة بشكل خاص والمنطقة بشكل عام، سيشلّ مفعول معظم الحروب النفسية التي شنت على المنطقة في عام 2021م، مما يعني البدء بمخطط لحرب نفسية جديدة، وهذا ما سيدفع بعامة الناس إلى تحاشي الأيدولوجيات والتركيز أكثر على تأمين عوامل الأمن الإنساني بالدرجة الأولى، بمعنى أن هذه الحرب النفسية لن تفقد نسبياً ثقة المجتمعات المحلية بالقوات الأمنية والعسكرية المحلية فحسب وإنما بدعاية القوى الراغبة بالهيمنة على المنطقة أيضاً، وهذا ما سيبقي الصراع في حدود جبهات القتال العسكري. فغالبية المجتمعات المحلية لا ترى في تنظيم داعش مصدر خير واستقرار وأمان، بسبب ممارساته في الدعاية الإرهابية التي اعتمدها منذ بداية انطلاقته، كما أن الممارسات الإجرامية التي تمارسها تركيا ومرتزقتها في المناطق المحتلة من شمال سوريا، وكذلك الإرهاب الأمني الذي يمارسه النظام السوري قد يوفر أرضية مناسبة لبروز التحالف الدولي كقوة حامية للمجتمعات المحلية وضمانة لاستمرار الإدارة الذاتية، وهذا ما يحمل المجتمع الدولي مسؤولية تقديم الدعم لهذه الإدارة والاعتراف الرسمي بها.

تدابير الحفاظ على الأمن والسلم المحلي.

يتوجب على المؤسسات الأمنية والعسكرية في شمال وشرق سوريا القيام بتقييم موضوعي وتحقيق أمني، وتحديد جوانب القصور ونقاط الضعف والأخطاء المرتكبة التي وفرت الظروف المناسبة لقيام داعش بعملياته وثقته الزائدة بنفسه، واتخاذ تدابير جديدة وأكثر فعالية للتعامل مع أحداث مماثلة. واتباع استراتيجية جديدة لإدارة أمن المعتقلات والمخيمات التي تأوي عناصر التنظيم، واستبعاد كل شخص بالاسم مشكوك في تعامله مع أحد أجهزة الاستخبارات ويعمل في إحدى المنظمات والطلب منها استبعاده كشخص غير مرغوب فيه، كما يجب ألا تطغى نشوة

الانتصار في غويران على خطورة الوضع في الهول؛ علماً أن خطر قيام التنظيم بعمليات مماثلة لا تزال قائمة، وقد يقدم كعادته على عمليات إجرامية- انتقامية بتفجير سيارات مفخخة ضد المدنيين للتغطية على فشله أمام المتعاطفين معه.

كما يجب إظهار حقيقة ما يجري ويخطط داخل مخيم الهول والمخيمات الأخرى للرأي العام، والاستعداد إعلامياً ومجتمعياً لامتصاص موجات الهجوم المحتملة، وتقييم مدى تهديد ذلك لأمن المجتمعات المحلية والبلدان المجاورة والعالم، كما ويجب على سكان منطقة الهول إرسال مناشدات إلى هيئة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الدولية وبرلمانات الدول الغربية بخصوص خطورة المخيمات التي تأوي عناصر التنظيم والقيام باعتصامات للتنديد بالصمت الدولي تجاه هذه التهديدات. من ناحية أخرى يتوجب على المنظمات والجمعيات العاملة في المخيم بذل جهوداً أكبر لتأمين الاحتياجات الاساسية للقاطنين، ويقع على عاتقها تقديم الدعم الإنساني لكسب ثقتهم كخطوة أولية في مسار إقناعهم لتقبّل دورات وحملات التوعية وتلقي الدعم الاجتماعي والنفسي وبرامج التعليم.

إنّ التنظيمات المتطرفة تحاول بناء شرعيتها واكتساب الأفضلية على قريناتها بالتأويلات الأيديولوجية واتقان الديماغوجية والتقرب من الناس بتقديم الخدمات والظهور بأفضل مظهر جهادي والتي يمكن مواجهتها بتعزيز الدبلوماسية المجتمعية بين مؤسسات الإدارة الذاتية والمجتمعات المحلية، وزيادة الوعي الأمني والسياسي في مواجهة الحرب النفسية والدعاية السوداء للقوى والتنظيمات المعادية، وزيادة ثقة المجتمعات بمؤسساتها الأمنية والعسكرية لتجاوز قضية مسألة الخوف والهلع من وحشية التنظيم،

من ناحية أخرى قد يكون تركيز التنظيم الحالي على مخيم الهول محاولة لتشتيت الانتباه تجاه مخطّطٍ آخر أكثر خطورة كإعادة احتلاله لمنبج أو الرقة مجدداً أو مهاجمة البلدات التي تقع على جبهات التماس بين قسد وقوات الاحتلال التركي ومرتزقته كتل تمر أو عين عيسى أو ارتكاب مذبحة كبيرة بحق المواطنين على غرار مجزرة كوباني في صيف عام 2015م.

وهناك عدة ملاحظات من المفيد دراستها وتحليلها من قبل النخب السياسية والعسكرية لصياغة سياسة مناسبة للتعامل مع التطورات المستجدة في البيئة الأمنية لشمال وشرق سوريا وهي:

- هناك علاقات براغماتية للقاعدة وداعش مع كل من الاستخبارات التركية والإيرانية والبعثية والقَطَرية على قاعدة محاربة العدو المشترك مقارنة بعلاقة روسيا مع هذه التنظيمات والتي لو تمت ستتم عبر أحد أفرع استخبارات النظام السوري.
- كما ويلاحظ في الأزمة التي تمر بها كل من سوريا والعراق بروز استراتيجية خلق الفوضى الأمنية لتشتيت قوة التركز الدفاعي أو قوة الدفاع الذاتي للمجتمعات المحلية والانحياز إلى مظلة قوة تملك طموحات للهيمنة على المنطقة في سبيل تعزيز الدفاع لمواجهة قوة أخطر ترغب باحتلال المنطقة وإبادة ثقافتها، وهذا ما يندرج في سياق ما يسمى بالفوضى الخلاقة التي يبدو أنها تواجه عائقاً كبيراً متمثلاً باستراتيجية الاستقرار الخلاق التي تحاول القوى الديمقراطية في المنطقة

تطبيقها كوسيلة ناجعة لإنهاء أزمات المنطقة، ويلاحظ أن هذه الاستراتيجية تلاقي عداوة كبيرة في شنكال والعراق وشمال وشرق سوريا.

- من خلال رصد النشاط الهجومي لداعش منذ بروزه في المنطقة يتبين أنه يفضل ظروفاً جوية وسياسية وأمنية معينة لتنفيذ هذا النشاط وهي: سوء الأحوال الجوية من ضباب أو عواصف غبارية أو هطولات ثلجية ومطرية كثيفة- تعرض المنظومة الأمنية المحلية لضغوطات كبيرة من قبل تركيا والنظام بسبب الالتهاء بها وتشتت الحس الأمني، وحتى تنسيق التنظيم معهما في العمليات الهجومية- وجود مراكز ذات هشاشة أمنية إلا أنها ذات طبيعة أمنية حساسة كمخيمي الهول وسجن غويران وغيرهما- تلقي التنظيم لضربات موجعة في مناطق متفرقة من العالم والسعي للانتقام أو تبرير فشله أمام حاضنته- تصادف التوقيت مع الأيام التي كان التنظيم تعرض فيها لنكسات وهزائم مخزية كموقف انتقامي- استشعار أخطارٍ تهدد أيديولوجيته كازدياد مظاهر الديمقراطية والحرية ومشاركة المرأة بفعالية في تأمين مقومات أمنها الإنساني- ازدياد أعداد الخلايا النائمة في منطقة معينة بسبب تنامي الحماس الأيديولوجي- ازدياد الاحتقان الشعبي في منطقة ما ضد السلطات أو الإدارات المحلية لأسباب تتعلق بالفساد أو البيروقراطية أو الغلاء المعيشي أو البطالة.
- بدأ التنظيم يستشعر الخطر من التمركز في المناطق الرخوة أمنياً كأماكن مقتل زعيمي التنظيم، وبادية دير الزور والأنبار، كما أن محاولات التمركز في جبال كردستان بائت بالفشل، ويعترض التمركز في جبال العلويين (الساحل السوري) والإيزديين صعوبات كبيرة، وأحبطت معظم عملياته في المناطق التي تديرها الإدارة الذاتية، لذا تبدو المناطق المحتلة في سري كانييه/رأس العين وكري سبي/ تل أبيض خياراً مطروحاً لتأسيس معقلٍ جديدٍ للتنظيم وتقوية جغرافيتها العسكرية بحفر الأنفاق.
- لا يزال التنظيم يركز على احتلال المنطقة مجدداً وقد يكون ما يدفعه إلى ذلك وجود الآلاف من عناصره في المخيمات والمحتجزات، واستمرار استثمار أمواله من قبل الموالين له خلف واجهة شركات تجارية ومالية يحتمل أن تكون نشطة في مناطق النظام السوري والمناطق المحتلة من قبل تركيا وفي شمال وشرقي سوريا وشمال العراق وتركيا.
- يلاحظ أن تنظيم داعش جزء مهم من عملية الإبادة الثقافية للكرد والسريان وإخضاع العرب لهيمنة بعض القوى الإقليمية ومن ثم إبادتهم لاحقاً لذا يتوجب مواجهته كخطر استراتيجي يهدد الأمن القومي لشعوب المنطقة.
- يوجد داخل مخيم الهول نشاطاً للعديد من الأشخاص المجهولين الذين يحاولون بناء مجتمع مصغر يحمل مواصفات مجتمع التنظيم من خلال فرض الأفكار واللباس الخاص بحياة ومجتمع التنظيم، فهناك لجان سرية تقوم بتنظيم نفسها وتقوم بارتكاب الجرائم وحرق الخيم ومنع القاطنين من إرسال أولادهم إلى المدارس للتعليم، ومنعهم من التعاون أو العمل مع المنظمات والجمعيات الإنسانية، وتعاقب القاطنين في المخيم والهدف من ذلك زرع الخوف وفرض هيبة التنظيم داخل المخيم وبالتالي بناء سلطة له، لذلك فإن أعداد الذين ينشقون عنه ويندمجون في الحياة العامة قليلة نسبياً وهناك كثيرون يرغبون بالخلاص ولكنهم بحاجة إلى الحماية الأمنية والدعم المادي وبناء الثقة.

- ويمكن للمجتمع المحلي أن يلعب دور اً كبيراً في تأقلم المُغرّر بهم من قبل التنظيم في الحياة العامة من خلال تقبل هؤلاء الأشخاص وتقديم المساعدة في سبيل التخلص من تلك الأفكار التي زرعت في عقولهم أثناء انضمامهم إلى التنظيم.

المراجع والمصادر.

1. التواصل مع بعض مقاتلي قسد وسكان حي غويران وعدد من المتعاملين مع المنظمات الإغاثية في مخيم الهول.
2. أجوبة من إدارة مخيم الهول بخصوص بعض استفسارات NRLS حول وضع المخيم وردت بتاريخ 2020/9/24م.
3. اعترافات المدعو (محمد عبد العواد) الملقب باسم (رشيد) على الرابط: https://youtu.be/Izg-7EHZZz0
4. بيان صادر عن المركز الإعلامي لقوات سوريا الديمقراطية على الرابط: https://sdf-press.com/?p=36022
5. Oxford Reference; overview: shock and awe; Link:

https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/oi/authority.20110803100502693

6. Harlan K. Ullman and James P. Wade; Shock and Awe Achieving Rapid Dominance; Prepared by Defense Group Inc. for The National Defense University; Link:

http://www.dodccrp.org/files/Ullman_Shock.pdf

7. عملية تحرير عدد من الأسرى من قبل قسد على الرابط:

https://ne-np.facebook.com/3ajelhasaka/videos

8. موقع عملية العزم الصلب؛ التحالف: الهجمات اليائسة تجعل داعش أضعف؛ تاريخ النشر: 2022/1/24م؛ الرابط:

https://www.inherentresolve.mil/Home/Article/2908319/

نوروز ومعاني الثورة

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

للظواهر ومظاهر الطبيعة أثرٌ كبيرٌ على تفكير الإنسان وسلوكياته وتلعب دوراً كبيراً في بلورة الثقافات وفقاً لمفهوم الجغرافيا الثقافية[1]؛ هناك صلة وثيقة للثقافة الكردية بهذا الأمر إلى درجة يمكننا اعتبار الكرد وأجدادهم عوامل رئيسية في نشوء الجغرافيا الثقافية للهلال الخصيب، ويجسد عيد النوروز الكردي وأسطورته النموذج المؤكد لهذا الأمر فهو يعد من أبرز المصادر التي تؤكد على الوجود التاريخي للكرد في الجزء الشمالي والشرقي من الهلال الخصيب، بالإضافة إلى كونه مناسبة تجسد ثورة اجتماعية وسياسية وثقافية ضد قوى الشرّ والظلام، في سياق ثنائية الخير والشر المتمثلة بصراع الإلهين (آهورامزدا وآهريمان) المتجذرة في الثقافة الكردية العريقة، كما ويعد بمثابة سفر التكوين أو قصة الخلق للشعب الكردي، وقد تحول فيما بعد إلى مناسبة دينية هامة لدى الإيزديين والزرادشتيين؛ حيث أنّ لجوء الشبان إلى جبال كردستان يشير إلى نشوء وعي مشترك لمختلف القبائل التي استوطنت الجبال وشكلت اثنية ذات ثقافة عريقة يطلق عليها الآن اسم الكرد؛ وتبدو طقوس النوروز ورموزه الأسطورية تعود إلى بداية نشوء ملامح القومية الكردية منذ آلاف السنين بعد الانصهار الثقافي والاجتماعي للقبائل الآرية المتمثلة بالميديين والهوريين والميتانيين وغيرهم مع الشعوب القديمة في سلاسل جبال زاغروس وطوروس؛ يبدو أن العدو المشترك والتواصل الجغرافي والتوحد السياسي والعسكري والثقافي لمجتمعات كردستان قد ساهم في نشوء القومية الكردية، وهذا الأمر يقدم تفسيراً يبدو مقنعاً للتمايز الموجود بين الشعب الكردي والشعب الفارسي.

إنَّ الاعتدال الربيعي والجبال والثلوج والنار والأفاعي والحديد وغير ذلك يشكلون عناصر رئيسية في أسطورة كاوى الحداد المقترنة بمناسبة النوروز الكردي، ويبدو أنها وثيقة الصلة مع التطورات الثقافية التي شهدتها المنطقة منذ العصر النيوليثي وحتى العصر الحديدي. بشكل عام هناك خلط بين مفاهيم النوروز الكردية والفارسية بسبب التقارب الثقافي الكبير بينهما، خاصة بعد انقلاب أمراء الفرس وبعض الميديين على ملكهم الميدي (آستياگ) وإنهاء نظام الفدراليات الآرية-

[1] "الجغرافيا الثقافية هي حقل فرعي داخل الجغرافيا البشرية... يرى الجغرافيون الذين يعتمدون على هذا التقليد أن الثقافات والمجتمعات تتطور من مناظرها الطبيعية المحلية ولكنها أيضاً تشكل تلك المناظر الطبيعية. هذا التفاعل بين المناظر الطبيعية والبشر يخلق المشهد الثقافي. يعد هذا الفهم أساساً للجغرافيا الثقافية...". Mimir موسوعة اللغة العربية (إلكترونية)؛ الجغرافيا الثقافية؛ الرابط: https://mimirbook.com/ar/10c623910d2

الميدية، حيث يعدّ ذلك مرحلة مفصلية في هذا السياق؛ وتعد (الشاه نامه) للفردوسي مرجعاً رئيسياً للكثير من المهتمين بالأساطير المتعلقة بعيد النوروز، وتطغى عليها صبغة أسطورية فارسية بعد تحولها إلى مناسبة رسمية من قبل أباطرة الفرس على الرغم من أنها تلامس كينونة الشعب الكردي، الأمر الذي يفرض وجود نوروز فارسي مستقل عن النوروز الكردي، لذلك تبرز حاجة ملحة لتناول جانب من الخصوصية الثقافية الكردية فيها في إطار سيميولوجي وسيمانتيكي([2]) عبر تسليط الضوء على المعاني والرموز والطقوس والشخصيات المتجسدة في اسطورة كاوى الحداد المقترنة بمناسبة النوروز الكردي بالاستناد على بعض الآراء والأبحاث المتنوعة ذات الصلة بها، علماً أنّ المصادر والمراجع التي تناولت النوروز واسطورته وفق منهجية علمية دقيقة ومفصّلة قليلة جداً، الأمر الذي يطرح الكثير من الصعوبات أمام تحليل وتفسير المواضيع المتعلقة بمضمون الدراسة.

هناك حقيقة تفيد بأنَّ النوروز واسطورة كاوى الحداد يشكلان جزءاً مهماً من التراث الشفاهي لأسلاف الشعب الكردي، والذي يمتد من العصر النيوليثي مروراً بالعصر العبودي، إلى انتصار ثورة الميديين في العصر الحديدي ونشوء الملامح القومية للشعب الكردي، وبدون مراعاة تلك الأحداث والظروف لا يمكن الوصول إلى حقيقة النوروز واسطورة كاوى الحداد والطقوس والرموز الأسطورية المقترنة بهذه المناسبة، فهي تتضمن تنظيم النضال والمقاومة للقيام بالثورة على النظام العبودي وقصة خلق الشعب الكردي عبر تأسيس أول جيش كردي، وبداية تشكل خارطة جديدة للجغرافيا السياسية والثقافية في الجزء الشمالي من الهلال الخصيب أي كردستان، حتى أنه هنالك استمرار لتأثيرها على عقيدة القتال المعاصرة للشعب الكردي ومساهمتهم في الدفاع عن الشعوب الأخرى من عرب وسريان وأرمن وتركمان. يسعى هذا البحث، إلى البحث عن جذور الشعب الكردي، وأوجه التقارب بين الملك الظالم وكلٌ من آلهة وملوك الدول التي استعمرت أجزاء من كردستان القديمة واستعبدت أبنائها من ناحية، وبين البطل القومي الأسطوري الكردي كاوى الحداد وقائد الثورة الميدية الملك كياخسار من ناحية أخرى، وكذلك تسليط الضوء على رمزية الثورة والجبال والنار المقدسة في الميثولوجيا الكردية، وتأثير انتصار ثورة الميديين في بلورة الصيغة النهائية للأسطورة، إلى جانب سرد معلومات وأفكار عن النوروز في العصر الحديث.

لمحة مختصرة عن تاريخ الكرد.

تعرض أسلاف الكرد لسلسلة من حملات الإبادة دمرت الكثير من آثارهم الثقافية، كانت هذه الحملات تُشنّ على مناطقهم من قبل ملوك بلاد الرافدين استناداً على النقوش التي كانت تمجد معاركهم، فمثلاً جاء في إحدى نقوش الملك (آشور ناصربال) في وصفه لإحدى غزواته إلى جبال كردستان "...وأعملت السيف في تقطيع أوصال 200 شخص من رجالهم المقاتلين وسقت حشوداً

[2] سيميولوجيا: علم معاني الرموز والإشارات الثقافية...
للمزيد راجع: رولان بارط؛ درس السيميولوجيا؛ ترجمة: ع. بنعبد العالي؛ دار توبقال للنشر؛ المغرب؛ الطبعة الثالثة 1993.
سيمانتيكا (السيمنطيقا): علم المعاني اللغوية...

من الأسرى وكأنهم قطعان من الغنم، وبدمائهم صبغت الجبل بالأحمر مثل صوف أحمر..."([3]) وهناك نقوش أخرى في هذا السياق؛ كما ويشير الباحث (ويل ديورانت) إلى استحواذ ملوك الفرس على ثقافتهم وديانتهم القديمة، والسيطرة على قبائلهم بعد انقلابهم على الميديين أسلاف الكرد حيث يرى بأنّ "...الفرس أخذوا عن الميديين لغتهم الآرية، وحروفهم الهجائية التي تبلغ عددها ستة وثلاثين حرفاً، وهم الذين جعلوا الفرس يستبدلون في الكتابة الرق والأقلام بألواح الطين، ويستخدمون في العمارة العمد على نطاق واسع، وعنهم أخذوا قانونهم الأخلاقي الذي يوصيهم بالاقتصاد وحسن التدبير ما أمكنهم في وقت السلم، وبالشجاعة التي لا حد لها في زمن الحرب، ودين زرادشت..."([4])، وفي العصر الإسلامي تم حرق وتدمير العشرات من معالمهم الحضارية بتهمة الكفر والإلحاد كون معظم الكرد كانوا يعتقدون بالديانتين الإيزدية والزرادشتية، وبالمعتقدات المانوية والمزدكية، وبحكم مقاومتهم للغزاة الجدد لمناطقهم، ناهيك عن اعتناق نسبة كبيرة من الكرد قبل وصول الإسلام للديانة المسيحية والانصهار الجزئي في ثقافة إخوة المعتقد من السريان والأرمن([5])، وبعد بروز الدول القومية في العصر الحديث والتي اقتسمت جغرافية كردستان، تم انتهاج عمليات تطهير عرقي وإبادة ثقافية ممنهجة بحق الكرد إلى درجة إنكار تاريخهم، أو إلحاق نسبهم بإحدى الشعوب الوافدة إلى المنطقة، إلى جانب عدم فسح المجال للتنقيب في المناطق الأثرية ذات الصلة بالتاريخ الكردي، أو إخضاع البعثات الأثرية لرقابة الأجهزة الأمنية والاشتراط المسبق حول ما سيتم نشره، وسبب ذلك كما هو معروف لدى غالبية الباحثين التاريخيين والأثريين المحليين، وهو التزام البعثة بالشروط المفروضة عليها من قبل الأجهزة الأمنية خاصة في المناطق التي تشهد مشاريع تغيير ديمغرافي وعمليات صهر ثقافي منذ عشرات السنين بحق الكرد في البلدان التي تتقاسم جغرافية وطنهم، حيث يرى الباحث التاريخي دياكوف([6]) بانَّ آثار المدن والحضارة الميدية القديمة- أجداد الكرد- لا زالت كامنة تحت الأنقاض.

هنالك العشرات من الدراسات والأبحاث، الشرقية والغربية، التي تناولت أصول الكرد، وتكاد كل دراسة تمتلك فرضية خاصة بها في هذا السياق([7])، ويبدو أنها لم تصل بعد إلى نظرية حاسمة متفق عليها، ويتكرر هذا الأمر أيضاً لدى الباحثين الكرد أنفسهم، هذا الأمر تسبب ببروز إشكالية في تفسير التاريخ الكردي وعدم الوصول إلى رؤية علمية مشتركة. إنّ عدم القدرة على استجلاء جذور الأثنية الكردية يعد بمثابة معضلة وتحدي كبير أمام الباحثين المهتمين بالتاريخ البشري؛

---

[3] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص61.

[4] ويل ديورانت؛ قصة الحضارة/ الشرق الأدنى؛ ترجمة: محمد بدران؛ الجزء الثاني من المجلد الأول 1988م؛ الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع- بيروت؛ ص401.

[5] للمزيد راجع: د. فرست مرعي؛ كردستان في القرن السابع الميلادي؛ الناشر: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية؛ السليمانية 2006؛ بلا رقم طبعة؛ ص38.

[6] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص179.

[7] للمزيد راجع: محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛ ص124.
د. عمار عباس محمود؛ القضية الكردية/ إشكالية بناء الدولة؛ الطبعة الأولى: 2016م؛ الناشر: العربي للنشر والتوزيع- القاهرة؛ ص24.

الأمر الذي يفرض تضافر جهود المختصين في علوم الأركولوجيا (علم الآثار) والفيلولوجيا (فقه أو علم اللغة) والسيماسيولوجيا (علم تطور دلالات الألفاظ) والسيميولوجيا (علم دراسة الرموز وتفسيرها) والأنثربولوجيا (علم الإنسان) والسيمانتيك (علم دلالة الألفاظ) والأتيمولوجيا Etymology والذي يهتم بأصل الكلمات وتاريخها وغيرها من العلوم التي تعد ركيزة أساسية في عملية البحث عن حقيقة جذور أي قوم من الأقوام البشرية، يبدو أن هذا العمل حتى لو تم سيلقى صعوبة كبيرة عبر إعاقتها من قبل الأنظمة الاستبدادية التي تحكم المنطقة خاصة في مجال التنقيب الأثري.

على الرغم من ذلك فإنّ الكرد يشكلون عرقاً[8] مميزاً ويملكون شعوراً واعياً لهوية منفردة تخصّهم ومتمايزة بنفس الوقت عن هوية الشعوب المجاورة لهم من ناحية اللغة والعادات والتقاليد والثقافة في سياقها العام؛ ويعد الفرس أقرب الشعوب إليهم ثقافة، وبما أن الفرس حافظوا عل هويتهم القومية بحكم إقامتهم لدولتهم القومية منذ 550ق.م إلى عصرنا الحاضر فأن أغلب الباحثين يتجهون إلى اعتبار الكرد خلاصة الانصهار بين القبائل الآرية الوافدة إلى المنطقة منذ بدء الهجرات البشرية الكبرى في الألف الخامس والرابع قبل الميلاد والسكان الأصليين لجبال زاغروس والجزء الشمالي من الهلال الخصيب، واعتبار ثقافتهم نتيجة حتمية لذلك الإنصهار، ففي دراسة علمية حديثة نسبياً بعنوان The Origin of Kurds[9]- أصول الكرد- يشير الباحث استناداً إلى أحدث أبحاث الحمض النووي للأنثروبولوجيا البشرية إلى أنّ أجداد الكرد ينحدرون من السكان الأصليين الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث- النيوليثي/حوالي 9000-4500 ق.م/- للهلال الخصيب الشمالي، بينما يشير الباحث التاريخي (جرنوت فيلهلم)[10] إلى الإنصهار بين القبائل الآرية الحورية والسكان الأصليين لشمال الهلال الخصيب، كما ويرى الباحث نعيم فرح[11] بأنَّه "...فقط في فترة العصر الحجري الحديث (النيوليتيك)، أو على الأغلب في أواخره، أخذ سكان المرتفعات المجاورة ينفذون إلى جنوب بلاد النهرين بأعداد كثيرة ومضطرين على الأغلب للارتحال إلى تلك المنطقة غير الملائمة للحياة تحت ضغط ظروف صعبة كنفاذ

---

[8] العرق مفهوم يستخدم في تصنيف البشر إلى مجموعات، تدعى أعراق أو مجموعات عرقية، استنادا إلى تركيبات من الصفات البدنية المشتركة، السلف، وعلم الوراثة، والصفات الاجتماعية أو الثقافية. على الرغم من أن هذه التجمعات تفتقر إلى أساس متين في البيولوجيا الحديثة، فإنها لا تزال ذات تأثير قوي على العلاقات الاجتماعية المعاصرة... العرق (التصنيف البشري)؛ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[9] Ferdinand Hennerbichler; The Origin of Kurds; Szellörózsa ut 45, Mosonmagyaróvár, Hungary; 2012; Scientific Research; Link: https://www.researchgate.net/publication/265947486_The_Origin_of_Kurds

توما بوا؛ الكُرد؛ ترجمة: صلاح عرفان؛ الناشر: مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)- السليمانية/ 2010؛ بلا رقم طبعة؛ ص33.

م.س لازاريف وآخرون؛ تاريخ كردستان؛ ترجمة: د. عبدي حاجي؛ الطبعة الثانية- 2011؛ النشر: مؤسسة سيريز للطباعة والنشر- دهوك.

محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛ ص124.

[10] جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل، حلب؛ ص47.

[11] د. نعيم فرح؛ موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم/ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي؛ الناشر: دار الفكر؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ ص16.

الاحتياطات الغذائية أو مهاجمة الأعداء..."؛ وهنالك أبحاث أخرى تشير إلى أن أغلب علماء الأجناس يتفقون على انتماء السلالة الكردية إلى المجموعة الآرية التي صهرت سكان المنطقة الأصليين حيث وجدوا أن الكرد ينتمون إلى السلالة الألبية من المجموعة الآرية[12]؛ علماً أنّ الحفريات الأثرية أثبتت استيطان الإنسان البدائي في كهوف جبال كردستان القديمة، حيث شهدت سفوح جبال زاغروس الاستقرار البشري على شكل قرى بدائية كقرية جرمو[13] والتي تقع أسفل جبال زاغروس شرقي مدينة كركوك الكردية، وذلك نتيجة لنزوح البشر البدائيين من كهوف زاغروس باتجاه الوديان ومجاري الأنهار بعد ذوبان الجليد والثلوج في أواخر العصر الجليدي، وهذا ما يشير إلى اقتران النوروز الكردي بذوبان الثلوج، وكذلك تم اكتشاف آثاراً لإنسان النياندرتال في كهوف كردستان- كهف شاندر، والذي يعود تاريخه الى أكثر من ستين ألف سنة[14]، وكذلك عثر في كهف زرزي قرب منابع نهر الزاب على آثارٍ تعود لأواخر العصر الحجري القديم ومعظمها من الآلات الدقيقة التي يرتقي زمنها إلى ما قبل 12000 سنة، وفي كهف "هزار ميرد" قرب السليمانية تم العثور على مخلفات تعود للعصر الحجري القديم الأوسط (100000 ق.م)، وهي مجموعة آثار حجرية من صنع الإنسان المسمى نياندرتال[15] وغيرها من المكتشفات.

بالنسبة لاسم (الكرد) فقد نال بدوره اهتماماً لا يقل عن الاهتمام بجذوره وبرزت العشرات من الفرضيات التي حاولت تفسيره، علماً أن أجداد الشعب الكردي في إطار جغرافية كردستان تنوعت تسميتهم كشعب واحد باختلاف العصور والحضارات التي احتكت معهم، فالسومريون سمَوهم بسكان الجبال أو متسلقي الجبال Kur-da وفي العصر الآشوري والكلداني والفارسي تم تسميتهم بشعب (ماد أو مادي) وبحسب رأي المفكر أوجلان فأنّ اسم ميديا أطلقه الآشوريون على الهوريين[16] ويرى بعض الباحثين[17] بأن تسمية ميديا شملت الجوتيين/ الكوتيين ايضاً، أما الكلدان البابليين فقد أطلقوا عليهم تسمية أومان- ماندا[18] واختار لهم بعض الأرمن والإغريق

---

[12] د. حسين قاسم العزيز؛ دراسات عن بعض الأصول الكردية؛ دار اراس للطباعة والنشر؛ أربيل- كردستان العراق؛ الطبعة الأولى 2012؛ ص56.
د. عمار عباس محمود؛ القضية الكردية/ إشكالية بناء الدولة؛ الطبعة الأولى: 2016م؛ الناشر: العربي للنشر والتوزيع- القاهرة؛ ص24.

[13] د. نعيم فرح؛ موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم/ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي؛ الناشر: دار الفكر؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ ص157.

[14] موقع حكومة إقليم كوردستان؛ الكهوف في كردستان العراق؛ تاريخ النشر: 2006/4/12؛ الرابط: http://cabinet.gov.krd/a/d.aspx?a=17728&l=14

[15] د. مؤيد عبد الستار؛ كوردستان مهد النقلة الحضارية الاولى.. جرمو اولى القرى الزراعية.. ومن جيانو أقدم قطعة قماش؛ الناشر: موقع الحوار المتمدن- العدد: 3363- 2011/5/12؛ الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=258736.
عامر حنا فتوحي؛ الكلديون/ الكلدان منذ بدء الزمان؛ الطبعة الثانية؛ بلا رقم طبعة وناشر.

[16] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقر اطية/القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ المجلد الخامس/ الطبعة الثالثة؛ ترجمة: زاخو شيار؛ ص82.

[17] أرشاك سافراستيان؛ الكرد وكردستان؛ ترجمة: د. أحمد محمود الخليل؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: دار سردم- السليمانية/ إقليم كردستان. ص49.

[18] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص187.

تسمية (كاردوئين أو الكاردوخ)، لتتبلور تسمية (الكرد) في العهد الإسلامي إلى عصرنا الحاضر؛ وهناك العشرات من التسميات الأخرى يمكن تتبعها في مختلف الدراسات التي تناولت تاريخ الشعب الكردي أو أشارت إليه؛ من ناحية أخرى لم تبرز أية أبحاث تتناول اسم (الكرد) وفقاً لقواعد اللغة الكردية، فكلمة (KURD) تبدو أنها ذات جزأين الجزء الأول (Kur) وتأتي في اللغة الكردية بمعنيين (ابن) و(قطع) ويطلق الكرد على الرياح الشمالية الباردة اسم (Bayê Kur)، حيث يتهيأ لنا بأن للكلمة امتداد آخر أو حروف أخرى بعد حرف الدال الذي يبدو أنه يحمل مغزى يشير إلى الأرض باللغة الكردية (ERD) على غرار كلمة مارد التي اشتقت منها اسم مدينة (ماردين) الجبلية حيث أن مار هي الصيغة الأرمنية لاسم ماد([19]) أي الميديين؛ وهذا يتطلب اهتماماً خاصاً من قبل المختصين في اللغة الكردية وجذورها بالاستناد على علم الأتيمولوجيا وغيرها.

عموماً لم يتم اعتماد رواية محددة لتاريخ الشعب الكردي على غرار روايات تاريخ الشعوب العربية والفارسية والتركية وغيرها، علماً أن التشكيك بالدراسات التي تناولت التاريخ الكردي تسري أيضاً على تاريخ تلك الشعوب فمثلاً إنكار الصلة الوثيقة بين الكرد، والميديين أو الهوريين أو الميتانيين، يرقى إلى إنكار الصلة الوثيقة بين العرب والكنعانيين أو إنكار الصلة بين الهون والترك أو إنكار الصلة بين الفرس والساسانيين، ويبدو أن الدول القومية لتلك الشعوب في العصر الحديث حولت الفرضيات المتعلقة بأصول الشعوب التي تمثلها إلى نظريات وأمر واقع، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بتعريب أو تفريس أو تتريك الشعوب الأخرى الخاضعة لهيمنتهم وبشكل خاص الشعب الكردي، عكس الكرد الذين لم يحظو بدولة أو كيان سياسي ديمقراطي مستقل يتبناهم ويحمي خصوصياتهم وتراثهم وهويتهم القومية. على الرغم من ذلك تفرض الثقافة الكردية نفسها بقوة ومقاومة لمختلف حملات الإبادة، ويفسر المفكر أوجلان([20]) صون الكرد لثقافتهم من خلال ارتكازهم تاريخياً على ثقافة متشبثة بالديمقراطية القبائلية التي برزت في العصر النيوليثي والتي يستحيل بروز أي تحول سلطوي أو طبقي فيها؛ هذا الأمر يبدو أنه يشكل عائقاً كبيراً أمام تحقيق الوحدة السياسية والعسكرية للمجتمعات الكردستانية تحت قيادة واحدة وفق إطار الدولة المركزية، إلا أنها تبرز الفدرالية أو الكونفدرالية الكردية كخيار وحيد لتحقيق ذلك، وتعد الفدرالية الميدية نموذجاً معبراً عن هذا الأمر، فمثلاً يروي المؤرخ الإغريقي هيرودوت([21]) بأنَّ الميديين كانوا ينتخبون ملوكهم بالإجماع وقد أجمعت القبائل على تولي دياكوديوكس زعيم إحدى القبائل الميدية 727-675 ق.م لقيادتهم، لاشتهاره بالذكاء والصرامة والحكمة والعدالة في فصل وفض المنازعات، حيث كانت القبائل تلجأ إليه لحل مشاكلها.

---

[19] د. حسن كريم الجاف؛ موسوعة تاريخ إيران السياسي/ من التاريخ الاسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية؛ المجلد الأول 2008؛ الناشر: الدار العربية للموسوعات- بيروت؛ ص28.
د. فرست مرعي؛ كردستان في القرن السابع الميلادي؛ الناشر: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية؛ السليمانية 2006؛ بلا رقم طبعة؛ ص49.
جمال رشيد أحمد؛ لقاء الأسلاف/ الكرد واللان في بلاد الباب وشروان؛ الطبعة الأولى 1994؛ الناشر: رياض الريّس للكتب والنشر- لندن؛ ص205.

[20] عبد الله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ المجلد الخامس/ الطبعة الثالثة؛ ترجمة: زاخو شيار؛ ص75.

[21] حسن كاكي؛ الإمبراطورية الميدية الكردية/ البداية والنهاية؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص43.

على الرغم من تعدد المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الشعب الكردي هناك حقيقة راسخة تفيد بأنّهم يسكنون في منطقة جغرافية يطلق عليها اسم كردستان أي بلاد الكرد، وتمتاز بثرواتها ومواردها الطبيعية، من مصادر المياه والطاقة والمعادن، والثروة الحيوانية والنباتية؛ ويتكلمون لغة تنتمي إلى عائلة اللغات الآرية تسمى باللغة الكردية، وينقسمون إلى أربعة أقسام رئيسية([22]) وهم الكرمانج واللور والكَلهر والكوران، وأهم ما يميز الجغرافية الكردية هي الطبيعة الجبلية لبلادهم، حيث تحتوي كردستان على عددٍ من السلاسل الجبلية البارزة كسلسلة جبال زاغروس وسلسلة جبال طوروس، وعلى هامشهما جبال الأمانوس وآغري (آرارات)، وجبال كّابار وجودي وشنكّال (سنجار) ومازي وبرادوست والكرد وكرمانج في عفرين وغيرها، بالإضافة إلى منابع أهم نهرين في المنطقة وهما دجلة والفرات والتي قامت على ضفافهما حضارات عريقة؛ وتدل أغلب الآراء والدراسات الاجتماعية والتاريخية والأنثروبولوجية إلى أن الكرد شعب محارب يعشق الحرية، ويمتازون بالشجاعة والذكاء وحُسن المظهر؛ كما ويعد الشعب الكردي الوريث الوحيد للشعوب القديمة غير السامية([23]) التي سكنت تلك الجبال منذ فترة تزيد عن 10000 سنة ق.م([24])كشعب عيلام و شعب للولو\الولوبوم، والكوتيين/الجوتيين، والهوريين وكذلك شعب ميتاني، وشعب نائيري\سوبارو وشعب كاساي([25])\كاشيين، وشعب خالدي\كالدي، وشعب أورارتو، وشعب ماني وغيرهم([26])حيث تشير النقوش الآشورية والبابلية والاكادية والسومرية إلى وجود العشرات ممالك المدن لمجتمعات كردستان القديمة([27])؛ هذه الشعوب توحدت فيما بينها وانصهرت ثقافاتها وسماتها الأنثروبولوجية مكونة معاً شعباً منسجماً واحداً هو الشعب الميدي، ويشير دياكونوف إلى أنَّ القبائل التي توصف بالميديين عندما قدموا إلى جبال زاغروس امتزجوا مع الكوتيين والهوريين وأطلق الملوك الآشوريون على الشعب الجديد اسم شعب نائيري([28])، وامتازوا بمقاومتهم للقمع الآشوري وقد أسسوا اتحاداً كونفدرالياً بعد عام 700 ق.م؛ يعتبر الشعب الكردي امتداداً للشعب الميدي استناداً على علم الأجناس الحديث الذي يعرف الشعب "بأنه مجموعة من الأشخاص الذين قد يختلفون في الجنس والموطن الأصلي، ولكنهم ممتزجون في وحدة متجانسة بفضل وحدة المسكن

---

[22] باسيل نيكتين؛ الكرد/ أصلهم، تاريخهم، موطنهم،.../؛ تدقيق ومراجعة وتقديم: صلاح برواري؛ الناشر: مجلة آسو ASO الثقافية؛ بلارقم طبعة وتاريخ؛ ص140.

[23] كلمة "سامية" أطلقها العالم الألماني شلويتسر Schlozer عام 1781م على لغات الذين ينسبون إلى سام بن نوح كما أوردتها التوراة، وهم العبرانيون والآشوريون والبابليون والاكاديون والآراميون والكنعانيون والعرب.

[24] د. أسامة عدنان يحيى؛ تاريخ الشرق الأدنى القديم/ دراسات وأبحاث؛ الطبعة الأولى 2015؛ الناشر: اشور بانيبال للكتاب- بغداد؛ ص52.

[25] محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛ ص127.

[26] د. حسن كريم الجاف؛ موسوعة تاريخ إيران السياسي/ من التاريخ الاسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية؛ المجلد الأول 2008؛ الناشر: الدار العربية للموسوعات- بيروت؛ ص21.

ب.ليرخ؛ دراسات حول الاكراد وأسلافهم الخاليين الشماليين؛ ترجمة: د.عبدي حاجي؛ الطبعة الولى 1994؛ الناشر: مكتبة خاني- حلب؛ ص8.

[27] للمزيد راجع: رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008؛

[28] نفس المرجع السابق؛ ص137.

واللغة والتقاليد التاريخية والحضارية"([29]) تماماً كحالة معظم شعوب العالم، وهذا ما يدعمه مفهوم العرق التاريخي الذي طرحه الباحث (غوستاف لوبون) حيث اعتبر أنَّ العرق يتأسس على عوامل الثقافة والتراث المشترك لشعب ما، فعندما تخضع شعوب من نفس الأصل أو تنتمي إلى أصول مختلفة ولكن ذوات العقائد والمؤسسات والقوانين المتقاربة طيلة قرون عديدة، فأنها تنصهر مع بعضها البعض تدريجياً ليتشكل العرق التاريخي الذي يمتلك نظاماً أخلاقياً ودينياً وسياسياً، مركباً مجموعة من المواضيع والأفكار والعواطف المشتركة([30])، وهذا المفهوم أقرب ما يكون لمفهوم الأمة؛ وبالتالي فأنَّ تمثيل الشعب الكردي لجميع الشعوب القديمة الساكنة في كردستان تعدّ نظرية قوية جداً.

النوروز في الميثولوجيا الكردية.

تعتبر الأساطير من التراث الشفاهي للشعوب، حيث نقل الدكتور نبيل سلامه([31]) من قاموس لاروس Larousse أن التراث الشفاهي هو "مجموعة التقاليد من أساطير ووقائع ومعارف ومذاهب وآراء وعادات وممارسات"، أما قاموس روبير فيُعرف التراث الشفاهي بأنه "انتقال غير مادي للمذاهب والممارسات الدينية والأخلاقية المتوارثة من عصر إلى آخر بواسطة الكلمة المنطوقة". بشكل عام للتراث الشفاهي دورٌ بارز في اظهار الخصوصية الثقافية للشعوب، وأغلب الوثائق المدونة كالكتب المقدسة والقصص الملحمية والنقوش القديمة كانت في الأساس روايات شفهية متناقلة، ولولا ارتباط النَوروز وأسطورة كاوى الحداد بوجدان الكرد وانتقالها من جيل إلى آخر لتم نسيانها منذ زمن طويل، خصوصاً في ظل وجود حملات إبادة ثقافية ممنهجة تُشنّ ضدهم.

تحوي الميثولوجيا التي سبقت ظهور الأديان على إشارات ورموز تساعد في الكثير من الأحيان على فهم ثقافة الشعوب وتاريخها، عبر تجسيدها للثقافة والعادات والقيم، ونظرة الشعوب إلى الحياة وتفسيرها لحركة الطبيعة والتاريخ، كما وتبرز الفروقات الخاصة بين ثقافات الشعوب؛ يؤكد عام الأنثروبولوجيا برونسيلاف مالينوفسكي على "...أن الأسطورة يجب أن تفسر باعتبارها نوعاً من (الميثاق الاجتماعي) أي كنوع من تبرير عادات وسلوك جماعة معينة..."([32]) وتعتبر الرموز والمعاني الواردة في الأساطير شواهد على العلاقات التاريخية والجغرافية بين الثقافات والمناطق الثقافية([33]). تزخر الثقافة الكردية على غرار باقي الثقافات بالعديد من القصص

---

[29] سبتينو موسكاني؛ الحضارات السامية القديمة؛ ترجمه د. السيد يعقوب بكر؛ الناشر: دار الرِّقي- بيروت- 1986؛ بلا رقم طبعة؛ ص49.

[30] غوستاف لوبون؛ سيكولوجية الجماهير؛ ترجمة: هاشم صالح؛ الطبعة الأولى 1991؛ الناشر: دار الساقي- بيروت؛ ص27.

[31] أ.د سفيان لوصيف؛ محاضرة بعنوان (مقياس منهجية البحث التاريخي)؛ جامعة سطيف2/ قسم التاريخ والآثار؛ الجزائر.

[32] شارلوت سيمور- سميث؛ موسوعة علم الإنسان/ المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية؛ ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري؛ الطبعة الثانية 2009م؛ الناشر: المركز القومي للترجمة- القاهرة؛ ص94.

[33] المنطقة الثقافية بالإنكليزية: (Cultural area) أو المجال الثقافي بالإنكليزية: (Cultural sphere) مصطلح يُشير في علمي الأنثروبولوجيا والجغرافيا إلى منطقة جغرافية متصلة بنشاط بشري واحد مُتجانس نسبيًا أو بمجموعة أنشطة - عادات، تقاليد وقيم - أصبحت تُعرف على أنها تكوّن ثقافة موحّدة. وغالبًا ما ترتبط هذه الجماعات البشرية المُتجانسة بمجموعة إثنية لغوية إضافة إلى ارتباطها بأرض جغرافية مُحدّدة، إلّا أن حدودها ثقافيًا لا تقتصر جغرافيًا عند حدود

الميثولوجية، كأسطورة "شاها مار" أي ملكة الأفاعي، وقصة خلق العالم في كل من الديانتين الزرادشتية والإيزدية، وأسطورة "كاوى الحداد والنَوروز" وغيرها؛ وعلى غرار أغلب الشعوب، للشعب الكردي أيضاً قصص الخلق الخاصة به، فقصة الخلق الزرادشتية والتي تفتقر إلى التفاصيل الدقيقة تشير إلى مفهوم النَوروز من خلال تفسير الخلق بكونه نتيجة التفاعل والصراع بين النور الذي يمثل الخير والظلام الذي يمثل الشر، وفي الجزء الذي تشير إلى خلق الإنسان يقوم آهورامزدا بخلق الروح، ومن حركة نور الشمس على الأرض يتم خلق كل من ماشيا وماشيانه على هيئة نبات، وبعد اتحاد الروح مع الجسد تم التحول من هيئة نبات إلى هيئة إنسان، وتحولا إلى الأب والأم ومن ثمارهما خلق البشر([34])، حيث نلاحظ أنَّ الفترة التي يبدأ فيها نور الشمس بالسطوع على سطح الأرض ونمو النباتات يصادف فترة الاعتدال الربيعي والتي يحتفل فيها الكرد بعيد النَوروز والذي يصادف الفترة بين شهري آذار ونيسان في التقويم الميلادي علماً أن رأس السنة الأفستية الزرادشتية يتطابق([35]) مع رأس السنة الكردية في (21 آذار) وهو موعد النوروز الذي يعد من أهم الأعياد الزرادشتية، وهناك أسطورة زرادشتية أخرى تشير إلى أنّ الاحتفال أول مرة بعيد النوروز قد تم بعد أن قام الإله (ييّما)([36]) بإعادة التوازن الطبيعي إلى العالم بعد أن أفسدته الشياطين وحرموا الناس من الخير والطعام والشراب؛ إلا أنه يتعرض للقتل على يد الملك التنين (أزدهاك) الذي يغتصب سلطته، يُلاحظ أنّ لهذا الأمر علاقة وثيقة مع أسطورة كاوى الحداد.

أما قصة الخلق الإيزدية فتشير إلى خلق البشر من تمازج العناصر الأربعة([37])، الأرض والماء والريح والنار، على جبل لالش/ شنكال؛ ويعتبر الإيزديون يوم الأربعاء في أول أسبوع من شهر نيسان- يصادف النصف الأول من شهر نوروز- هو اليوم الذي انتهى فيه الإله من الخلق واعتبروها بداية الحياة بشكلها النهائي، وتولي (طاووسي ملك) تنظيم أمور الحياة والبعث، لذلك اتخذوه كأول يوم من السنة الإيزدية ويحتفل به الإيزديون كعيد وأطلقوا عليه عيد (سرسال/ Sersal) أي رأس السنة، ويمثل عيد قيامة طاووس ملك إله الخصب والحياة، ويتم ذبح القرابين كتعويض رمزي عن التضحية بدماء البشر([38]).

دولة قومية أو تقسيمات إدارية وُضِعت بناء على خلفيات سياسية أو اقتصادية فرعية للدولة، بل تتعدّاها إلى مناطق مجاورة لها أصبحت تُعرف بمناطق النفوذ الثقافي... منطقة ثقافية؛ ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).

[34] د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛ ص797- 809.

[35] نفس المرجع السابق؛ ص25.

[36] نفس المرجع السابق؛ ص242.

[37] د. كاظم حبيب؛ الإيزيدية/ ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمن!؛ الطبعة الأولى 2003؛ الناشر: دار ئاراس للطباعة والنشر؛ أربيل- كردستان العراق؛ ص71.

[38] سيغموند فرويد؛ الطوطم والتابو؛ ترجمة: بو علي ياسين؛ الطبعة الأولى 1983؛ الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية؛ ص197.

د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛ ص35.

د. نعيم فرح؛ موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم/ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي؛ الناشر: دار الفكر؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ ص48.

مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر؛ ص139.

لقد لاحظ أسلاف الشعب الكردي موت الطبيعية في الخريف والشتاء نتيجة لتساقط الثلوج وفيضان الأنهار وعودتها للحياة في الربيع والصيف، وتكرار ذلك سنوياً رسخ مفهوم الصراع المستمر بين الحياة والموت الذي انعكس على الصراع بين الخير والشر الأمر الذي كان له بالغ التأثير على المعتقدات الدينية لأسلاف الكرد، فمجيء الربيع يمثل انتصار إله الخير وبداية يوم جديد يعاد فيه خلق الحياة مجدداً وأطلق عليه اسم نَوروز، وهذا الانتصار في مفهوم الديانة الإيزدية الكردية القديمة تم على يد (رئيس الملائكة طاووسي ملك)، والذي كان يسمى في العهود القديمة الإله دوموزي بحسب بعض المصادر([39])، وعيد الربيع نَوروز يرمز أيضاً إلى بعث الإله دوموزي([40]) من بين الأموات ليجدد الحياة في حفل قرانه الرمزي مع الإلهة إنانا([41])- هي نفسها عشتار أو (شاووشكا)([42]) في الثقافة الهورية-.

الإله دموزي Tammuz([43])

الإلهة إنانا (عشتار- ستار)

[39] مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر.

[40] نبيل زكي؛ الأكراد/ الأساطير والثورات والحروب؛ الناشر: مطبوعات كتاب اليوم 1991؛ بلا رقم طبعة؛ ص10.

[41] مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر؛ ص46.

[42] جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل- حلب؛ ص101.

[43] Encyclopaedia Britannica; Tammuz/ Mesopotamian god; Link: https://www.google.com/search?q=%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%84%D9%87+%D8%AF%D9%85%D9%88%D8%B2%D9%8A+Tammuz&source=lnms&tbm=isch&sa=X&ved=2ahUKEwjepp2x97jtAhWSGuwKHT32CVQQ_AUoAXoECAUQAw&biw=1366&bih=568#imgrc=YS--lueNyv_zyM

Şahmaran – شاه ماران ملكة الثعابين في الميثولوجيا الكردية

طاووسي ملك (سيد الملائكة لدى الديانة الإيزدية)

لدى متابعة معظم الاساطير للشعوب المختلفة والمتباعدة، نلاحظ اشتراكها في جوهرها بشخصية بطل خارق يقوم بقتل كائن أسطوريّ ويولد نتيجة لذلك شعب ما، وفي الميثولوجيا الكردية ارتبط اسم النَوروز بكل من الشخصية الحكيمة والكادحة والمحاربة كاوى الحداد Kawayê Hesinkar، والجبال العالية، وبإشعال النيران المقدسة، وقتل الكائن الأسطوري الملك الظالم المدعو أژدَها Ejdeha([44])، ومن ثم ولادة الشعب الكردي.

الأسطورة باختصار على الشكل التالي؛ يُروى أنَّه في إحدى مناطق جغرافية كردستان كان هناك شعب يحكمه ملك غريب ظالم يدعى أژدَها Ejdeha (التنين)، وفي أحد الأيام نبت على كتفيه نتوءان أو رأسين على شكل ثعبانين، وكانا مصدر آلام مبرحة له تجعله يعاني من غضبٍ وهيجان شديد، ولم يستطع الحُكماء أو الكهنة في ذلك الزمن من معالجتهما، إلى أن نصحه أحدهم بأن يُطعم الثعبانين بأدمغة شابين في كل يوم لتخفيف الألم، وبالفعل أصدر الملك أمره وتم جلب شابين في كل يوم ليتم قطع رأسيهما واستخراج دماغيهما ليُطعمها للثعبانين لتخفيف الألم، ولكن مع الزمن رقَّ قلب الجلاد فعمد إلى قطع رأس أحد الشابين وترك الآخر بشرط أن يلجأ إلى الجبال سرّاً، مع الاستعاضة عن دماغه بدماغ خروف، وفي تلك الفترة كان هناك شخص حكيم وكادح يدعى كاوى الحداد، يعمل حداداً، قد أرشد الشعب إلى تهريب أبنائهم وبناتهم إلى الجبال العالية المكسوة بالثلوج، هرباً من بطش الملك الظالم، وبعد أن أزداد أعدادهم وتكاثروا جعلوا من كاوى الحداد قائداً لهم، الذي أعلن بدوره الثورة على الملك الظالم ورفع رداءه كراية، والتي كانت إشارة بدئها وانتصارها إشعال نارٍ كبيرة، وبالفعل استجاب الشعب لنداء كاوى ونزلوا من الجبال ليشتبكوا مع جيش الملك الظالم، وفي هذه الأثناء تمكن كاوى الحداد الذي كان سلاحه المطرقة وعدداً من الفرسان الكرد من اقتحام قلعة الملك، واستطاع في النهاية أن يقتله بعد قتال عنيف بينهما، وذلك بعد أن ضربه بالمطرقة على رأسه، ومن ثم أشعل ناراً كبيرة في قصر الملك للإعلان عن انتصار

[44] أژدَها Ejdeha تعني التنين في اللغة الكردية.

الثورة، وقد كان ذلك في فترة الاعتدال الربيعي وتساوي الليل والنهار(21 آذار في التقويم الميلادي) حيث يبدأ بعدها الزيادة التدريجية بشكل نسبي لفترة النهار، وقد اعتبر ذلك اليوم يوم النَوروز Newroz أي بداية يوم جديد للكرد([45]) وولادة الشعب الكردي ليصبح عيداً قومياً لهم. لعل الأسطورة بشكلها النهائي قد نُسجت وتحولت إلى ملحمة شعبية متجسدة بانتصار الكرد بقيادة كيكاوس/كيخسرو/ كياخسار على أسياد المجتمع العبودي المتمثل بالإمبراطورية الآشورية وسقوط مدينة نينوى، وقد تكون أول ثورة كردية شاملة منتصرة مسجلة في التاريخ، وتحولت مع الزمن إلى تراثٍ إنساني أرتبط بوجدان المجتمع الكردي، وأصبحَت مصدر إلهامٍ لقادتهم وحُكمائِهم كبراديغما للثورة والتحرر.

تمتلك اسطورة كاوى الحداد، البطل القومي الكردي، في مفاصلها الرئيسية مفاهيم مشابهة لتلك الأبحاث التي حاولت البحث عن أصول الشعب الكردي والتي تشير إلى أن الكرد لم ينحدروا من رجل واحد أو من قبيلة معينة، بل هم خلاصة سكان الحضارات الجبلية المتعددة القبائل والثقافات، والذين ساهموا بشكل أساسي في زراعة المنطقة الشمالية والشرقية من الهلال الخصيب، وقاوموا مختلف الغزاة القادمين من الجهات الأربعة لجغرافية كردستان، ويؤكد الباحث (توما بوا)([46]) بأن الأراضي هي التي تخلق الأواصر والوشائج بين أفراد العشائر الكردية بعكس العشائر العربية التي تشكل أواصر النسابة عندها العمود الفقري للعشيرة؛ وكذلك فأنّ الشخصيات المتجسدة في الأسطورة ذات هوية آرية وبنفس الوقت ذات هوية تمثل السكان الأصليين للمنطقة حيث سيتم التطرق إلى ذلك في سياق تناول الرموز والشخصيات المجسدة في الأسطورة في الفقرات التالية بغض النظر عن وجود فرضية أخرى تعتبر جذور الآريين وبداية انطلاقهم من كردستان نفسها، حيث يؤكد الباحث (صلوات كولياموف)([47]) بأنّ القبائل الهندو- جرمانية هاجرت من آسيا الصغرى أي كردستان القديمة باتجاه الشمال قبل الألف الثالث قبل الميلاد.

النوروز وثورة الميديين على النظام العبودي.

يشكل الميديون حلقة الوصل الرئيسية بين الكرد وأسلافهم القدماء، ويربط الكثير من الباحثين عيد النوروز وأسطورة كاوى الحداد بانتصار ثورة الميديين على الملك الآشوري في عام 612ق.م. تجسدت الرغبة الميدية بالتحرر عندما طالب زعماء القبائل تعيين (دياكو) ملكاً عليهم نظراً لحكمته ورجاحة تفكيره، حيث اندمج تحت لواء الميديين([48]) معظم الشعوب القاطنة في

---

[45] محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد.
باسيل نيكتين؛ الكرد/ أصلهم، تاريخهم، موطنهم،...؛ تدقيق ومراجعة وتقديم: صلاح برواري؛ الناشر: مجلة آسو ASO الثقافية؛ بلارقم طبعة وتاريخ؛ ص26.

[46] توما بوا؛ الكُرد؛ ترجمة صلاح عرفان؛ الناشر: مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)/ السليمانية- إقليم كردستان؛ 2010م؛ ص50.

[47] صلوات كَولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ، ص31.

[48] د. أحمد محمود الخليل؛ تاريخ مملكة ميتاني الحورية؛ الطبعة الأولى 2013؛ دار موكريانى للبحوث والنشر- اربيل؛ ص268.

كردستان القديمة استناداً إلى لوحة منقوشة سجلت حملة عسكرية قام بها الملك الآشوري (شلما نصّر الثالث) إلى بلد يسمى بارسوا في جبال كردستان 837 ق. م([49]) يتبين منها بكون ميديا كانت تتكون من 27 مدينة صغيرة أو قبيلة يحكم كل مدينة حاكم وكانوا يتمتعون بالإدارة الذاتية لشؤونهم لذلك يمكن الجزم بأن ميديا كانت تتكون من اتحاد فيدرالي.

يصعب تهميش تأثير الميديين في النوروز وأسطورة كاوا الحداد نظراً لوجود تطابق نسبي بين المشاهد المتشابهة لكل من ثورة الميديين على كل من الملك الآشوري والسكيثيين([50]) وثورة كاوا على أزداهاك وأصبح النوروز مرادفاً لانتصارهما، قد يكون هذا الأمر أحد الأسباب في جعل البعض يعتقدون بأن أسطورة كاوا الحداد تعد استلهاماً من انتصار الميديين على رمز العبودية والقسوة المتمثلة بالمملكة الآشورية خاصة أن الباحثين في التاريخ([51]) يؤكدون على نشاط الميديين الكبير في استثمار المعادن المستخرجة من جبال كردستان وبالأخص زاغروس وكذلك استثمار السهول وسفوح التلال في الزراعة.

يروي المؤرخ الإغريقي هيرودوت[52] بأنَّ الميديين كانوا ينتخبون ملوكهم بالإجماع وقد أجمعت القبائل على تولي دياكو\ديوكس في رواية هيرودوت\كيقباد في المصادر الفارسية\ زعيم إحدى القبائل الميدية 727-675 ق.م لقيادتهم([53])، لاشتهاره بالذكاء والصرامة والحكمة والعدالة في فصل المنازعات حيث كانت القبائل الجبلية تلجأ إليه لحل مشاكلها.

د. حسن كريم الجاف؛ موسوعة تاريخ إيران السياسي/ من التاريخ الاسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية؛ المجلد الأول 2008؛ الناشر: الدار العربية للموسوعات- بيروت؛ ص21.

[49] ويل ديورانت؛ قصة الحضارة/ الشرق الأدنى؛ ترجمة: محمد بدران؛ الجزء الثاني من المجلد الأول 1988م؛ الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع- بيروت؛ ص399.

[50] أطلق عليها الإغريق اسم السكيث والسكيثيون Scythia خليط من المغول والقبائل الهندو أوربية نزحوا من سهول أوربا الشرقية، وكانوا يدجنون الأحصنة بشكل كبير حيث كانوا يقتاتون على لحومها ويشربون حليبها حتى إنَّ الحصان كان يدفن مع صاحبه، وقد نزحَ السكيثيون من سهولِ اوراسيا إلى جنوبي روسيا في 800 ق.م وهم من أدخلوا نبتة الحشيش المخدرة إلى الشرق الأوسط حيث تم العثور في إقليم ستافروبل بجنوب روسيا عام 2013 ميلادي على أوانٍ ذهبية تحمل آثار الأفيون والقنب ، وتبين إنهم كانوا يحضرون مشروبات مخدرة من الأفيون ويستنشقون بخار القنب الهندي...

الموسوعة العربية - السكيثيون

الباحثون السوريون – تاريخ الماريجوانا (حشيش القنب) استخداماتها الأولى وكيفية انتشارها حول العالم.

موقع التلفزيون الروسي – RT.TVتقرير بعنوان علماء الآثار: السكيثيون كانوا يتعاطون المخدرات

[51] ويل ديورانت، قصة الحضارة، التراث الشرقي، الشرق الأدنى، قيام دولة الميديين وسقوطها، بلا ناشر ورقم طبعة.

[52] حسن كاكي؛ الإمبراطورية الميدية الكوردية/ البداية والنهاية؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص41.

[53] تشير بعض المصادر إلى انتمائه إلى طبقة الكهنة وكان يرى إنَّ العدل والظلم نقيضان في صراع أبدي ولا سبيل للتوفيق بينهما وأختار مدينة آكباتانا\هكتمان\آمَادان \همذان الاستراتيجية لتكون عاصمة لمملكته، حيث كان يمر فيها طريق الحرير وتقع في منطقة جبلية منيعة، وكان اسمها قبل مجيء الميديين أكاسيا أي مدينة الكاسيين\الكاشيين وحولها إلى تحفة هندسية رائعة، وتمكن من توحيد جميع الشعوب الساكنة في كردستان القديمة فلم تقم أي حروب بين القبائل الآرية في عهده، واصدر عدداً من الاصلاحات والتعاليم التي تنظم أمور الحكم ، وتلقي شكاوى الناس بشكل مكتوب عن طريق رسل خاصين بالملك...

صلوات كَولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011م؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكرياني- هولير؛ ص258.

حسن بيرنيا؛ تاريخ إيران القديم/ من البداية حتى نهاية العصر الساساني؛ ترجمة: محمد عبد المنعم- السباعي محمد السباعي؛ الطبعة الأولى 2013م؛ الناشر: المركز القومي للترجمة والنشر بالعربية- القاهرة؛ ص131.

قام الميديون بسلسلة من الثورات ضد الإمبراطورية الآشورية إلا أنَّ الملوك الآشوريين تمكنوا من القضاء على معظمها بلا شفقة وبلا رحمة، فتم بيع الأسرى كعبيد وسبايا، ونهبوا ثرواتهم، ودمروا مدنهم؛ وعندما تمكن الملك الآشوري سرجون الثاني من إلحاق الهزيمة بالميديين وأسر دياكو بعد القضاء على ثورته، نفاه إلى حماه ثم سمح له بعد ذلك بالعودة، وخشيةٍ من قيامه بثورة ثانية تمت دعوته إلى وليمة من قبل الملك الآشوري ليقتل فيها غدراً وتحتل مدينته من قبل السكيثيين/ السيتيين([54]) أحد الشعوب القفقاسية والمشهورين بقسوتهم ودمويتهم، ويلجأ الناجون إلى جبال كردستان.

إنَّ سبب الصداقة المتبادلة بين السكيثيين والآشوريين التي وصلت إلى حد تزويج الملك الآشوري آشوربانيبال أبنته من ملك السكيث مادياس([55]) هو تلاقي السكيثيين مع الآشوريين في كونهما حضارتين تقومان على العبودية ومصلحتهما المشتركة في الغزو واستعباد السكان ونهب خيراتهم وسفك الدماء، وتبرز وحشية السكيثيين من خلال التضحية بالبشر كجزء من طقوس تقديم القرابين لآلهتهم وعلى رأسهم الإله "اريس"، فكانوا يقومون بذبح الأسرى والعبيد والسبايا، ومن ثم يسكبون دماءهم على كومة كبيرة من الحطب، ثم يغرسون فيها سيوفهم، ولدى موت أحد ملوكهم كانوا يدفنون معه إحدى جواريه وخدمه وسائس خيله وحامل رسائله وعدداً من خيوله وبعض الكؤوس الذهبية([56])، ويصفهم هيرودوت أيضاً بأنهم كانوا يستعملون جماجم الموتى كأواني للشرب ولم يكونوا يغتسلون بالماء أبداً([57])، وكان نهج الملوك السكيثيين مطابقاً لنهج الملوك الآشوريين فيما يتعلق بغنائم الحرب فكانوا عندما يقتلون أول شخص من أعدائهم يقومون بشرب دمه، ويجلبون رؤوس أعدائهم إلى ملكهم كشرط للحصول على الغنائم، وكانوا يقومون بنزع جلد الرأس ومن يمتلك أكبر عدد من هذه الجلود يعتبر من أشجع الرجال([58]).

إنَّ الثورة التي تبناها دياكو لم تنطفئ بوفاته بل حمل رايتها ابنه خشتريت\فراورتيس كما سماه هيرودوت والذي تسلم قيادة الميديين 675-653 ق.م؛ إلا أنه قتل في إحدى ثوراته بعد استبساله في القتال إلى جانب فرسانه، ليتسلم قيادة الميديين ابنه كياكسار(Cyaxares)\كيخسرو \كيكاوس، والذي استطاع لم شمل الشعب الميدي من جديد، فكان كأبيه وجده فارساً شجاعاً وتميز بالذكاء والحزم وبقدرته على إعادة تنظيم الجيش الميدي المتحصن في جبال كردستان القديمة، حيث قسمها

د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر- أربيل؛ ص34- 38.

تاريخ هيرودوت؛ ترجمة عبد الإله الملاح؛ بلا رقم طبعة؛ الناشر: المجمع الثقافي- أبو ظبي 2001م، ص77.

د. أحمد محمود خليل؛ تاريخ مملكة ميتاني الحورية؛ الطبعة الأولى 2013م؛ الناشر: دار موكرياني- أربيل؛ ص12.

[54] حسن كاكي؛ الإمبراطورية الميدية الكردية/ البداية والنهاية؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص44.

[55] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر- أربيل؛ ص56.

[56] الموسوعة العربية- السكيثيون.

[57] قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية - شرح كلمة سِكِيثِيّ.

[58] صلوات كَولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011م؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكرياني- هولير؛ ص313.

قصة الحضارة، التراث الشرقي، الشرق الأدنى، خليط من الأمم، الشعوب الهندوروبية- ويل ديورانت.

إلى وحدات وكتائب منفصلة فكان هناك وحدات من حملة الرماح، ووحدات من حملة القوس والسهام، ووحدات من الفرسان الخيالة([59])، ثم أعلن الثورة على السكيثيين وتمكن من تحرير بلاده منهم، وبعد ذلك هاجم القوات الآشورية وتمكن من الانتصار عليهم حتى وصل إلى أسوار نينوى، إلا إنَّ غدر السكيثيين ومهاجمتهم للجيش الميدي من الخلف أجبر الميديين على التراجع.

لقد اقتنع الميديون بضرورة التخلص من قادة السكيثيين المعادين قبل التحرر من الملوك الآشوريين، وبالفعل تم دحرهم وطردهم إلى خارج بلاد ميديا حوالي سنة 615 ق.م، وفي تلك الفترة استطاع البابليون بقيادة نابو بولاصر من تحرير مدينة بابل من الآشوريين بعد قيامهم بثورة شعبية ضدهم، لذلك توجه الملك الميدي للتحالف مع الملك البابلي الجديد إلا إنَّ خوف الملك البابلي من مهاجمة نينوى جعل الميديين يقررون شن الهجوم لوحدهم انطلاقاً من جبال كردستان، وعندما اشتد الضغط الميدي على الجيش الآشوري وتحريرهم لمدينة آشور وتمكنهم من هزيمة الجيش الآشوري خارج أسوار نينوى ومن ثم فرار الجيش للتحصن بأسوارها تشجع البابليون وقاموا بمهاجمة الآشوريين من جانبهم، وبعد وصول الجيش البابلي تم حصار نينوى لمدة ثلاثة أشهر ولم تنجح محاولات القوات المتحالفة من اختراقها، وفي عام 612 ق.م تمكن الجيش الميدي من فتح ثغرة في نقطة ضعيفة في أسوار نينوى بعد ضربها بالمنجنيقات، حيث كان يصعب التصويب عليها إلا إنَّ ارتفاع مستوى نهر دجلة في فصل الربيع بسبب ذوبان الثلوج على جبال كردستان ساعدهم في توجيه مجرى النهر باتجاه أسوار نينوى([60]) حيث فتحت ثغرة، وتم اقتحام المدينة لتنهزم المملكة الآشورية بمقتل الملك الآشوري سين شاريش كون ابن آشور بانيبال([61]) وحرق معقله، وفي النهاية انهارت المملكة الآشورية بعد مطاردة الجيش الميدي والبابلي لهم إلى مدينة حران لتنتهي الامبراطورية الآشورية سنة 612 ق. م إلى الأبد. بعد الثورة الميدية تم طي صفحة المجتمع العبودي الكهنوتي الذي دام قرابة ثلاثة آلاف سنة حيث تعود آخر وثيقة ذات صبغة دينية إلى القرن السابع قبل الميلاد، وبالتالي انحلال سلطة المجتمع الكهنوتي([62]) ليظهر بأشكال أخرى في المنطقة. إنّ ما كانت تمتلكه الامبراطورية الآشورية من هيبة وبطش ولّد انطباع لدى الشعوب المضطهدة بأنه لا يمكن إلحاق الهزيمة بهذه الامبراطورية إلا عن طريق أبطال اسطوريين، وبالفعل بعد القضاء على هذه الامبراطورية على يد الميديين بقيادة كيخسرو اشتهرت اسطورة كاوى الحداد وعيد النّوروز مشحونة بعاطفة ثورية يحتفل به كل سنة منذ أكثر من 2600 عام،

---

[59] نفس المرجع السابق؛ ص47.
د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص38.

[60] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص67.

[61] نفس المرحع السابق؛ ص67.
رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008؛ ص166..

[62] مجموعة من المؤرخين بإشراف موريس كروزيه (مفتش المعارف العام في فرنسا)؛ موسوعة تاريخ الحضارات العام؛ ترجمة: يوسق أسعد داغر وأحمد عويدات؛ المجلد الأول- الطبعة الثانية 1986؛ الناشر: دار منشورات عويدات؛ بيروت- باريس؛ ص171.

حيث لم يلاحظ في المملكة الميدية التي انتصرت على المملكة الآشورية مجتمع عبودي أساسه الإله- الملك- الكاهن، أي لم يتم اضطهاد أحد باسم الآلهة؛ إنَّ انتصار الميديين وتحريرهم للشعوب المضطهدة من قبل الملوك الآشوريين كان له صدىً واسعاً وتأثيراً كبيراً في نفوس سكان الهلال الخصيب بمن فيهم الشعب الآشوري نفسه، حيث تشير بعض المصادر إلى دعم الفلاحين وعامة الشعب من الآشوريين للقوات المتحالفة بقيادة كيخسرو، بسبب معاناتهم من الابتزاز والسخرة والتجنيد العسكري من قبل ملوكهم([63])؛ وليستشهد بها أنبياء العبرانيين كالنبي دانيال والنبي ناحوم الذي كان أسيراً في نينوى([64]) واعتبار النصر هبة من الله وعقاباً ضد جبروت الملوك الآشوريين. يعتبر هذا الانتصار مرحلة مفصلية في تاريخ المنطقة ولبروز قوى جديدة في الشرق الأوسط القديم لم تكن معروفة من قبل كالإغريق والفرس والرومان وغيرهم، واختفاء ديانات بلاد الرافدين القديمة والتي كانت من أهم دعائم المجتمع العبودي.

وهنا يمكننا تلمس معاني الثورة في انتصار الميديين وحسن معاملتهم للشعوب المجاورة لهم، من خلال مقارنة سلوكهم مع سلوك الملوك الآشوريين والبابليين والاكاديين قبلهم والتي ذكرنا بعضها سابقاً، وكذلك مع سلوك ملوك الفرس والبابليين من بعدهم، والذين يظهرون كتكرار لسلطة الإله- الكاهن- الملك، وخصوصاً في تعاملهم مع الثورات الشعبية ضد ظلمهم والتي لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا؛ كما لم يقم الميديون بشن حملة إبادة ضد سكان نينوى والمدن الآشورية الأخرى([65]) على غرار ما كان يفعله الملوك الآشوريون، بل تم تأمين مساكن للذين دمرت مساكنهم بسبب ظروف الحرب وتوزيعهم على القرى المجاورة، وإعادة ممتلكاتهم، وتم السماح لاحقاً للفارين بالعودة إلى مساكنهم القديمة والسماح لهم بممارسة عاداتهم وتقاليدهم الشعبية وطقوسهم الدينية ونمط معيشتهم، وهذا ما يؤكد رأي البرفسور دياكوف بأنَّ المؤرخين الذين أدعوا بتعرض الآشوريين للإبادة بعيدة عن الواقع تماماً([66])، وعلى عكس الآشوريين، أقام الميديون علاقات طيبة مع جميع الشعوب المجاورة لهم فعقدوا مجموعة من الاتفاقيات بعد معارك غير مفيدة والتي تماثل اتفاقيات حسن الجوار التي توقع بين الدول في العصر الحالي، فعقدوا اتفاقية كسوف الشمس مع مملكة ليديا الواقعة غربي مملكة ميديا وتم دعمها بزواج الأمير أستياك أبن الملك كيخسرو من آرينس أبنة الملك الليدي إلياتس([67])، واستمروا بعلاقات الصداقة مع الشعب البابلي الكلداني حيث تم زواج الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر من أوميدا\أميتس أبنة الملك

---

[63] ك.ماتفيف و أ.سازونوف؛ حضارة ما بين النهرين العريقة؛ ترجمة د. حنا آدم؛ الناشر: دار المجد- دمشق 1991؛ بلا رقم طبعة؛ ص197.

[64] حسن كاكي؛ الإمبراطورية الميدية الكردية/ البداية والنهاية؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص51.
د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص68.

[65] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص69.

[66] ك.ماتفيف و أ.سازونوف؛ حضارة ما بين النهرين العريقة؛ ترجمة د. حنا آدم؛ الناشر: دار المجد- دمشق 1991؛ بلا رقم طبعة ص198.

[67] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص72.

الميدي كيخسرو وبنى من أجلها حدائق بابل المعلقة المشهورة، وزواج ابنة الملك استياك من أحد كبار أمراء الفرس (قمبيز الأول)، إلى جانب العلاقة الطيبة مع الشعب العبراني.

Mede Soldiers

Mede Soldier

مقاتلون ميديون

لقد تجلى إصرار أسلاف الكرد على نيل حريتهم من خلال اختيار ملوكهم والثقة بأفكارهم، وخوض ثورات ومعارك متتالية ضد أعدائهم، ونسج علاقات جيدة مع الشعوب المجاورة لهم، كل ذلك جعل الميديين مؤهلين لقيادة شعوب المنطقة نحو التحرر من الظلم والاستعباد الذي رسخه الملوك- الكهنة منذ آلاف السنين، لقد شهد تاريخ المنطقة أعظم قادة من الكرد قاموا بتوحيد شعوب الشرق الأوسط في أنظمة فدرالية ضد الغزاة، بدءاً من الملوك الميديين الذين وحدوا الشعوب ضد ظلم الإمبراطورية الآشورية والذي مارسته باسم الدين، ومروراً بـ صلاح الدين الأيوبي الذي وحد الشعوب ضد الغزو الصليبي للشرق الوسط باسم الدين، وانتهاءً بالقائد الأممي عبد الله أوجلان الذي وحد الشعوب ضد الغزاة الدمويين والتي مارسوها باسم الدين أيضاً، وتنظيم داعش الذي تعامل مع المجتمعات المحلية ،من عرب وكرد وسريان، بسلوك وحشي من قطع الرؤوس والأعضاء والسلخ والحرق والتعذيب والمجازر وإذلال النساء باتباعه الاستراتيجية العسكرية الآشورية التي يصفها الباحث نعيم فرح([68]) بالشكل التالي"...وهكذا أسسوا امبراطورية واسعة تضم شعوباً كثيرة متنوعة وقاموا بنفي الشعوب وتهجيرهم إلى مناطق بعيدة عن مواطنهم الأصلية واستبدالهم بشعوب من بلاد أخرى وذلك لتحطيم الأواصر القومية وإضعاف الشعوب المختلفة وزرع الحقد والكراهية بينها حتى لا تقوى وتثور ضده... لقد سفك ملوك الآشوريين الكثير من الدماء واقترفوا العديد من المظالم، فقد كانوا يسملون عيون أعدائهم، ويقطعون ألسنتهم ويسلخون جلودهم وهم أحياء، وسبوا النساء وبنات الكثير من الشعوب وشردوهم وحكموهم بالحديد والنار. وكان جيشهم ينشر الرعب والدمار والموت أينما حل. وكان الشرق الأدنى ضحية ذلك الجيش البربري القاسي طيلة ما يقارب الألف عام...."، لم يكن ليتم دحر داعش وحماية المجتمعات المحلية لولا قيادة أوجلان الفكرية

[68] د. نعيم فرح؛ موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم/ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي؛ الناشر: دار الفكر؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ ص177.171.

والمعنوية لقوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب والمرأة؛ فكما وحد الميديون شعوب المنطقة لمقاومة الاستبداد استطاع الكرد بقيادة أوجلان من توحيد صفوف شعوب المنطقة من كرد وعرب وسريان وأرمن وتركمان تحت لواء قوات سوريا الديمقراطية لمقاومة استبداد داعش وسعي البعض من أنظمة الحكم الإقليمية لإعادة فرض استبدادها على المجتمعات المحلية. فالحضارة الإنسانية من المفروض أن تقاس بمقدار بعد المسافة زمنياً ومكانياً وفكرياً عن المجتمع العبودي، أي القدرة على تأمين سبل أفضل للحياة من أجل البقاء على أساس الأخلاق النبيلة، وإنَّ تعلم العيش مع الآخرين هو أول خطوة نحو تحقيق الحضارة، وهذا ما نتلمسه لدى الميديين في عهد الملوك المؤسسين لمملكة ميديا وبراديغما الأمة الديمقراطية التي تشربت من تلك الثقافة العريقة.

عادت العبودية بنمط جديد بسقوط ميديا على يد كورش حوالي 550 ق.م نتيجة لخيانة القائد الميدي آرباك\هارباكوس، للملك آستياگ، وتلقب كورش بلقب ملك الميديين، وملك ميديا وفارس، لتبدأ مرحلة ثقافية وسياسية جديدة في المنطقة، وهاجم كورش جميع الشعوب المجاورة([69]) من ليديين وكلدان وغزا مملكة ماسّاجيتاي شرقي بحر قزوين حيث قتل على يدهم، ويقال أنَّ ملكتهم أمرت بجلب جثة كورش لها فقامت بقطع رأسه ووضعه في جرة مملوءة بالدم ساخرة منه لكي يشبع من الدم الذي أرهقه، وكذلك هاجم خلفاؤه مصر 525ق.م وبلاد الإغريق واحتلوا أثينا وأحرقوا الأكروبول مجمع الآلهة اليونانية، وهاجموا بلاد السكيث شمال البحر الأسود وقاموا بقمع الثورات الداخلية بدموية.

النوروز ؛ تمازج الأسطورة والثورة.

إنَّ الروايات الأسطورية إن لم تندرج ضمن المقدسات فأنها ستتلاشى مع الزمن، وأسطورة كاوى الحداد على الرغم من عدم معرفة المؤلف الأول لها إلا إننا نستشعر من خلال مفرداتها وأحداثها وجود مؤشرات ثورية على معتقدات دينية مقترنة بالظلم والاضطهاد، فقد لاقى أسلاف الكرد من كوتيين وعيلاميين وكاشيين وسوبارتو ولولو وميتانيين وهوريين وميديين وغيرهم الكثير من الظلم والمآسي على يد ملوك بلاد الرافدين وبمباركة آلهتهم القومية وحتى من بعض ملوكهم، الأمر الذي كان له تأثيره على مشاعر وأفكار الإنسان الكردي القديم وولّد لديه شعوراً بكون ظلم الملوك هو نتيجة لتوجيهات آلهتهم لهم، وعبر كهنتهم، لذلك أتّخذ موقفاً سلبياً من تلك الآلهة واعتبرها آلهة شريرة على الرغم من كونها آلهة مباركة من قبل المؤمنين بها من الطرف الآخر، إلى جانب تعارض ديانتهم مع معتقدات أسلاف الكرد([70])؛ وكون الأسطورة قديمة جداً وموجزة فإن مفردات هذه القصة تحمل الكثير من الدلالات الرمزية، وقد تناقلتها الأجيال شفوياً، ولم يتم حتى الآن العثور أو الكشف عن نقوش ووثائق مدونة تعبر عن الأسطورة، إلا أنها تشكل انعكاساً لجوهر ثقافة أسلاف الشعب الكردي العريقة؛ وهذا ما يؤكد عليه تحليل المفكر والقائد

[69] ف. دياكوف- س. كوفاليف؛ الحضارات القديمة/ الجزء الأول؛ ترجمة: نسيم واكيم اليازجي؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛ ص199.

[70] للمزيد عن معتقدات أسلاف الكرد راجع: د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛

الكردي أوج آلان([71]) "...بإنَّ سقوط نينوى سنح فرصة تاريخية لازدهار حضاري في شرقيّ زاغروس ولتشكل مرحلة جديدة وأهم تطور في التاريخ، ومن الواضح أن هذا الازدهار اعتمد على قاعدة تاريخية تغذت من إرث المقاومة الشعبية مثل كاوى الحداد الذي اعتمد في مقاومته على التقاليد المتوارثة من الحضارة السومرية وبعدها من العيلاميين والكوتيين والكاسيين\الكاشيين والهوريين والميتانيين والأورارتو، وهو الذي احتل لنفسه مكانة في الذاكرة الشعبية كنوع من أنواع الأساطير وأجرى تركيباً مع ثورة الإرادة – الأخلاق الزرادشتية، وما تبقى من تفاصيل فهو من عمل البحوث التاريخية التي تعتمد على الوثائق...".

يمكن ملاحظة تشابهٍ نسبي في الطقوس الاحتفالية لعيد اكيتو في كل من بابل وآشور، وأجزاءً من أسطورة كاوى الحداد مع وجود صفات لرموز قديمة جداً تعود إلى فترة السومريين وما قبلها، أي أنَّ أسطورة كاوى الحداد هي نتيجة لتراكم الموروث الثقافي والمعاناة تحت سلطة الملوك المستبدين في بلاد الرافدين/ ميزوبوتاميا، كما وتعبر عن نظرة المجتمع الكردي القديم إلى ثقافة الإمبراطوريات التي غزت أراضيه ودمرت مدنه واستعبدت أبناءه ونهبت ثرواته([72])، حيث تراكمت مشاعر الإحساس بالظلم على مدار آلاف السنين؛ كما أنّ مشاهد قطع الرؤوس وتقديم قرابين بشرية والملك الممسوخ تبدو أنها معبرة عن ثقافة الكهنة – الملوك في بلاد الرافدين من وجهة نظر أسلاف الكرد، مع إضفاء طابع خاص بالتراث الآري من خلال شخصية البطل كاوى الحداد وإلتجاء المضطهدين إلى الجبال، ومن ثم إعلان الثورة وانتصارها بقتل رمز الشرّ، التنين أژدّهاك، ليعود النَوروز الكردي من جديد وتبدأ ولادة جديدة للشعب الكردي.

تحمل طقوس عيد أكيتو الذي كان يحتفل به في دول الكهنة- الملوك الكثير من المؤشرات عن معاني أسطورة كاوى الحداد وعيد النوروز من منطلق رد الفعل تجاه المستبدين؛ وقد إيجاز وصف الباحثة ماركريت روثن([73]) عيد أكيتو\عيد رأس السنة في كتابها تاريخ بابل بالشكل التالي: "عيد اكيتوا عيد قديم يعود بتاريخه إلى الفترة السومرية، وكان يقام تكريماً للآلهة المحلية السومرية إلا أنَّ البابليين جعلوا هذا العيد خاصاً بالإله مردوخ/مردوك، حيث كان يقام في فترة الاعتدال الخريفي، وكان يمثل بداية السنة، إلا أنَّ حمورابي جعل رأس السنة في فترة الاعتدال الربيعي، أي في أول نيسان حيث كان يستمر الاحتفال بهذا العيد لمدة اثني عشر يوماً، وكان يذكر في المراسيم الدينية كل من الإله مردوك وابنه الإله نابو، وكان الملك يشترك بشكل فعّال في

---

[71] عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص155 .pdf

[72] كانت استراتيجية الملوك الآشوريين بعد احتلال أي منطقة تتركز على قتل كل من يحتمل أن يقاومهم وتحويل بقية الشعب المحتل إلى عبيد واستباحة مقدساتهم وثقافتهم... للمزيد راجع الفصل الثاني/ صعود الإمبراطورية الآشورية للباحث ماسبيرو:

G. MASPERO; HISTORY OF EGYPT CHALDEA, SYRIA, BABYLONIA, AND ASSYRIA/ CHAPTER II—THE RISE OF THE ASSYRIAN EMPIRE; THE GROLIER SOCIETY PUBLISHERS; LONDON; Release Date: December 16, 2005; Link: https://www.gutenberg.org/files/17326/17326-h/17326-h.htm

[73] مارغريت روثّن؛ تاريخ بابل ترجمة زينة عازار وميشال ابي فاضل؛ الطبعة الثانية 1994؛ الناشر: دار منشورات عويدات- بيروت- باريس؛ ص148....129.

المراسيم، ويتحضر كبير الكهنة في الأيام الثلاثة الأولى من العيد من خلال إقامة الطقوس الدينية من صلوات وتطهير بماء الفرات، وموسيقى وأغانٍ ذات طقوس دينية، وفي اليوم الثالث يأمر كبير الكهنة بصنع تمثالين صغيرين يحمل أحدهما ثعباناً والآخر عقرباً، واللذان يرمزان إلى قوى الشر في العالم السفلي، ويتم لبس التمثالين بملابس ليبدوان كشخصيتين حقيقيتين، وفي اليوم الرابع يتلو كبير الكهنة أمام نصب مردوك ملحمة التكوين الشهيرة\قصة الخلق، وفي اليوم الخامس يقوم كبير الكهنة بتطهير الهيكل، ويتم استدعاء كاهن ليقوم بقطع رأس خروف، أو رأس حمل، ثم يتم مسح جدران الهيكل بجسم الحيوان المذبوح ليمتص ارجاسه بعد تلاوة بعض التعاويذ، ثم ترمى الجثة في النهر، حيث يتم التضحية بالحيوان بدلاً من الإنسان للقضاء على الشر الذي يتحمل وزره الحيوان ... وفي اليوم السادس كانت تقام طقوس موت وقيامة مردوك (سر آلام مردوك)، حيث يصور الإله متألماً ومقيداً بالسلاسل داخل قبر لا تدخله الشمس ولا النور، ويتم وصف ألم الآلهة ثم يأتي الإله نابو ليخلص والده، ويتم التضرع إلى كل من الإلهين سن وشمش لإعادة الإله إلى الحياة، حيث يصور الإله بلباس الموت وتغسل جروحه التي أثخن بها، وينقل إلى المقبرة ويقوم توأمان بحراسة المقبرة على باب ايساجيل، وأثناء التوجه إلى القبر يأتي ذكر المجوس في النص المنقوش على اللوحة التي كانت محفوظة في مكتبة آشور بانيبال، حيث يقومون بباقي الطقوس ومرافقة جثة الإله- وترى الباحثة بأنَّ هذه الدراما المقدسة تمثل مراحل آلام مردوك- وفي النهاية يتم انقاذ مردوك على يد الإله نابو، وتتكرر هذه الحادثة أيضاً في بلاد آشور، والتي اتخذ إلهها القومي آشور الطباع ذاتها لمردوك بالإضافة إلى طباع أخرى وثمة طقوس احتفالية أخرى لعيد اكيتو، ويمكن ان يقوم بدور الملك شخص آخر، حيث كان يعدم في النهاية، وتتم إعادة الشارات الملكية إلى الملك الحقيقي، وقد يكون ذلك بديلاً لطقوس القتل الجماعية التي كانت تتبع في أور منذ عهد قديم جداً قي مقبرة كانت تسمى بمقبرة الملوك، حيث كان يمكن لشخص بديل أن يتقمص شخصية الملك ويتعرض لموت من نوع طقسي أو رمزي، بينما يحيا الملك الحقيقي كون العيد يعبر عن الحياة المتجددة، وفي نهاية اليوم السابع يتم قطع رأسي التمثالين الصغيرين ويرميان في النار، وفي اليوم الثامن حتى اليوم الحادي عشر تتم الاحتفالات التي تعبر عن عودة الإله مردوك، وتعم الأفراح في بابل (وآشور لاحقاً)، ويتجه موكب المحتفلين نحو معبد أقيم بالقرب من نهر الفرات- وهذا ما يذكرنا بقصة إبراهيم مع نمرود-، حيث يقام فيها طقوس دينية أخرى من صلوات وادعية وأعمالاً رمزية لخلق العالم من قبل مردوك، وفي اليوم الحادي عشر يعود موكب المحتفلين إلى بابل ويتم إعادة تنصيب تمثال الإله مردوك في الايساجيل في هيكل الأقدار، وكان ينتهي عيد الاكيتو بزواج مقدس في أعلى طبقة من المعبد بين الملك أو كبير الكهنة وكاهنة مختارة، وذلك كعادة رمزية تشير إلى الخصوبة والولادة، وفي اليوم الثاني عشر ينتهي العيد ويعود كل شخص إلى أعماله.".

إنَّ معايشة أسلاف الكرد المضطهدين من قبل ملوك سومر واكاد وبابل وآشور سواء أكانوا عبيداً أو أسرى أو مستعبدين في أراضيهم، أو يعيشون في بابل وآشور كالمجوس([74]) الذين تم

[74] المجوس كلمة محرّفة لاسم قبيلة المغان الميدية التي توصف بقبيلة الكهنة (المزدية ومن ثم الزرادشتية)، وكلمة Magic أيضاً محرفة عنها حيث اشتهروا بالسحر بحسب رواية هيرودوت...

ذكرهم، وعدم قدرة الكثيرين منهم على فهم لغة البابليين والآشوريين، ومن ثم مشاهدة هذه الطقوس أو سماعها، قد يكون لها دورٌ كبيرٌ في صياغة بعض مشاهد أسطورة كاوى الحداد ومن ثم تحولها إلى ملحمة تعبر عن انتصار الميديين على الإمبراطورية الآشورية في عيد النَوروز أو فترة الاعتدال الربيعي، حيث تمكن الميديون من اختراق أسوار نينوى([75]) بالاستفادة من فيضان نهر دجلة بعد ذوبان الثلوج في قمم الجبال الكردية التي ينبع منها نهرا دجلة والفرات حيث تم توجيهه إلى أسوار المدينة. كان لكل ذلك أثرٌ كبيرٌ في مشاعر المجتمع الكردي إلى درجة الشعور بالولادة والبعث من جديد.

يعتبر المفكر والقائد الكردي "عبدالله أوج آلان" ملحمة كاوى الحداد قد انبعثت من فترة المقاومة الطويلة ضد سيطرة العبودية([76])؛ فبسبب رغبة الملوك الآشوريين والبابليين والاكاديين للعبيد والثروات، كانوا يقومون بشن حملات عسكرية دموية على شعوب كردستان القديمة، حيث يوجد عشرات النصوص المسمارية التي تؤكد على ذلك، فمثلاً جاء في إحدى النقوش المسمارية التي تصف الملك أدد- نيراري الأول (1307 -1275 ق.م) بأنّه([77]) " مؤسس المدينة قاهر جموع الكاشيين والكوتيين واللولوبيين والسوباريين المتوحشين، وهو الذي حطم جميع الأعداء شمالاً وجنوباً (أعلى وأسفل) واخضع أراضيهم من لوبدو ورابيقوم إلى إيلوخات واخضع جميع الشعوب ووسع الحدود... قاهراً أراضي التوروككو ونيكميتي بأجمعها، مع جميع ملوكهم، الجبال والأراضي المرتفعة إلى حدود بلاد كوتي الواسعة"، ومن خلال نص سرد فيه أتوحيقال قصة قضائه على تريقان آخر ملوك الكوتيين حيث قال([78]) "الكوتيون، ثعابين الجبال، أعداء الآلهة، الذين نقلوا ملوكية بلاد سومر إلى الجبال"، ولم يقف أسلاف الكرد (الكوتيين والكاشيين والميتانيين والحوريين) موقف الاستسلام بل شنوا سلسلة من المعارك والثورات واستطاعوا إسقاط عددٍ من تلك الدول.

العناصر الرئيسية لأسطورة كاوى الحداد.

تتكون أسطورة كاوى الحداد من عدة عناصر رئيسية تتفاعل فيما بينها لتصور لنا مشاهد تعبر عن المشاعر والأحداث، علماً أن الملك الممسوخ هو الذي يلعب الدور الرئيسي في أسطرة الحكاية بينما باقي العناصر تبدو أقرب ما تكون إلى الحقيقة الواقعية، يبدو أن الأدباء الذين صاغوا الحكاية وتناقلوها جيل بعد جيل سعوا إلى خلق مشاعر قومية مشتركة توحد مجتمعات كردستان. تتمثل العناصر الرئيسية بالملك الممسوخ الظالم أژدَهاك – Ejdehak، والشخصية الحكيمة والكادحة والمحاربة كاوى الحداد، والشبان والكهنة، والجبال، والنار؛ ولفهم رموز ومشاهد الاسطورة من المفيد البحث عن معاني جذورها وعلاقتها بجذور الشعب الكردي.

---

[75] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص67.

[76] عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص74 pdf.

[77] رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008؛ ص47.

[78] نفس المرجع السابق، ص54.

1. الملك الظالم (أژدَها – Ejdeha).

أژدَها - Ejdeha هي التسمية الكردية، حيث إنَّ التنين يرمز إلى الشر في التراث الآري القديم، ولا تخلو ميثولوجيا أي شعب([79]) من التنين، حيث يسبق خلق العالم صراع بين الإله الخالق والتنين، أما في أساطير صراع الأبطال أنصاف الآلهة ضد التنين الذي يتحول إلى وحش مسخ، يتم تبادل الأدوار بين البشر والآلهة، كما في أسطورة هرقل وقتله للتنين الاسطوري هيدرا، وقد يعود جذور ذلك إلى العبادة الطوطمية، ويستشهد فرويد برأي فونت في فقرة من كتابه مبادئ علم نفس الشعوب 1912م باعتباره واحداً من أحدث الآراء التي أبديت بصدد مسألة الطوطمية([80]) "...إنَّ الحضارة الطوطمية شكلت في كل مكان مرحلة تمهيدية للتطور اللاحق ومرحلة انتقالية من البشرية البدائية إلى عصر الأبطال والآلهة... نحن نعرف أنه تقوم بين الإله والحيوان المقدس (الطوطم، حيوان التضحية)علاقات متعددة الوجوه. 1. فكل إله يكرس له بصفة عامة حيوان واحد، وفي بعض الأحيان عدة حيوانات...3. كثيراً ما يُعبد الإله أو يُنظر في صورة حيوان، وقد بقيت بعض الحيوانات موضوعاً لعبادة إلهية حتى بعد انقضاء زمن مديد على الطوطمية.4 . كثيراً ما يتحول الإله في الأساطير إلى حيوان، وفي غالب الأحيان إلى الحيوان الذي كان مكرساً له. يبدو من الطبيعي إذن أن نفترض أنَّ الإله نفسه كان هو الحيوان الطوطمي الذي منه تولد كإله في طور أعلى من تطور العاطفة الدينية..."، وقد يأخذ التنين شكل حية متعددة الرؤوس، وأولى هذه الأساطير تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، حيث وجد على ختم أسطواني مشهداً لصراعٍ مع وحش ذي سبعة رؤوس حيث ينتهي الصراع بخلق العالم.

اسطورة خلق العالم بعد قتل التنين([81])

بما أن التنين رمزٌ للشر فقد يأتي أژدَهاك بمعنى (الشيطان ملك البلاد) حيث أن (آز/ AZ)([82]) تأتي بمعنى الشيطان في المعتقدات الدينية القديمة للمنطقة، ودهاك تأتي بمعنى ملك البلاد فبحسب

[79] د. كارم محمود عبد العزيز؛ أساطير العالم القديم؛ الطبعة الأولى 2007؛ الناشر: مكتبة النافذة؛ الجيزة- مصر؛ ص215.

[80] سيغموند فرويد؛ الطوطم والتابو؛ ترجمة: بو علي ياسين؛ الطبعة الأولى 1983؛ الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية؛ ص193.132.

[81] https://tr.pinterest.com/pin/448319337884157897/

أحد المراجع([83]) فإن اسم دياكو مشتق من دهاك أي ملك البلاد؛ وقد يكون لقب لكاهن والذي يأتي في بعض المصادر الفارسية بصيغة دهقان وهنا يأتي المعنى (الشيطان الكاهن). وفي الأفستا الكتاب المقدس لدى الديانة الزرادشتية يأتي اسم آزدهاك كمخلوق بثلاثة رؤوس وستة عيون من قبل آهريمان إله الشر([84]) ويشير قتله إلى انتصار الخير الذي يجسده آهورامزدا والبداية الثانية للخلق.

إنَّ شخصية الحاكم الظالم أژدَهاك - Ejdehak والذي أعطته الأسطورة شكل كائن خرافي، حيث ظهر على كتفيه ثعبانين يشبه في الكثير من جوانبه آلهة الشعوب التي بمباركتها اضطهد الملوك الغزاة أسلاف الشعب الكردي، فمثلاً تصور بعض الأساطير في ميزوبوتاميا الإله مردوك- الذي تحول في العهد الآشوري إلى الإله آشور- في صورة أفعى بقوائم، بينما تصور أساطير أخرى مردوك إله بابل على شكل تنين ذي رأس ثعبان مقرن([85]). حيث إنَّ معظم الآلهة في الدول ذات النظام العبودي تحولت تدريجياً إلى شكل إنسان بعد أن كانت على شكل حيوانات. وتصف بعض النصوص الآشورية([86]) الملك "شلما نصر الثالث (شلمانو اشاريدو) (859 -824 ق.م) ابن آشور ناصر بال بأنه الأفعوان الكبير "أوشوم جال" حيث كان لقب الأفعوان الكبير توصف به الآلهة، وتَلَقَب به حمورابي، ثم تم انتحاله من قبل الملوك الآشوريين.

فكان الملك هو الإله نفسه أو ممثلاً مباشراً للإله، حيث تحولت علاقة العبيد بالسيد إلى علاقة العبيد بالإله([87])، وفي الامبراطورية الآشورية([88]) كان الملك يحمل الناس على أن يصفوه بأنه إله، وكان في العادة يجسد الإله شمش؛ وعندما نقلب صفحات التاريخ للملوك الذين غزوا مدن كردستان القديمة نجد تماثلاً بين شكل آلهتهم المنحوتة والمنقوشة، وشخصية أژدَهاك؛ حيث تظهر صوراً لتلك الآلهة وعلى أكتافها بروزان على هيئة رؤوس أو ثعابين، كما وتم العثور على رمز أو ختم باسم سيد الحيوانات في جنوبي جبال زاغروس (لورستان) يعود تاريخه إلى آلاف السنين حيث كانت مركزاً للحضارة العيلامية، ويعبر عن الإله المهيمن على الثعابين أو التنانين، وبالتالي فإنه يعود إلى بدايات الحضارة السومرية.

---

[82] ميرسيا إلياد؛ تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية/ الجزء الثاني؛ ترجمة: عبد الهادي عباس؛ الطبعة الأولى 1987/1986؛ الناشر: دار دمشق- دمشق؛ ص351.

جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل- حلب؛ ص134.

[83] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص33.

[84] د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛ ص132.

[85] مؤيد أحمد سعيد خلف؛ الموروث الأسطوري في تفسير ابن كثير؛ أطروحة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية/ وآدابها جامعة النجاح نابلس- فلسطين 2015؛ ص181-ص164.

[86] د. عبدالعزيز صالح؛ الشرق الأدنى القديم/ مصر والعراق؛ الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية 2012؛ بلا رقم طبعة؛ ص775.

[87] عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص29 .pdf

[88] ويل ديورانت؛ قصة الحضارة/ الشرق الأدنى؛ ترجمة: محمد بدران؛ الجزء الثاني من المجلد الأول 1988م؛ الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع- بيروت؛ ص275.

ختم أو رمز سيد الحيوانات من لورستان[89]

رمز ديني اكتشف في لورستان شرقي كردستان[90]

رمز ديني اكتشف في لورستان شرقي كردستان[91]

أحد آلهة العالم السفلي في ميزوبوتاميا[92]

وفي الميثولوجيا السومرية يذكر في ملحمة جلجاميش وأنكيدو والعالم السفلي[93] وبعض الأساطير الخاصة بالخليقة اسم التنين كور[94] إله العالم السفلي وإله الموت والظلام، والذي يسعى دائماً إلى إبادة الحياة وإعادة كل شيء إلى البداية الأولى قبل الخلق، عبر إرجاع الحياة إلى الجماد، والنور إلى الظلمات، والحركة إلى السكون، وذلك بمساعدة (آساج) عفريت العالم السفلي وإله الأمراض، وفي ثلاثة أساطير يتصدى لكور كل من الآلهة إنانا إلهة الحب والحياة والخصب (عشتار لاحقاً) وأنكي إله الماء، و ننورتا ابن الإله إنليل الجبلي إله الهواء والحركة، بعد أن يقوم باختطاف الإلهة اريشكيجال واصطحابها إلى العالم السفلي، والتي تحولت لاحقاً إلى إلهة للعالم السفلي، ولم يعرف مصير التنين كور نتيجة لتلف وتشوه النصوص التي سردت قصته، إلا أنَّ

89 Horse Bit Cheekpiece, c. 700 BC Luristan, Iran, c. 700 BC
http://www.clevelandart.org/art/1961.33?collection_search_query=Luristan&op=search&form_build_id=form-Z08h2vCXqPrd3ZqAi7Ou_1SgMK3WqXKklQuQCqClXXI&form_id=clevelandart_collection_search_form

90 Luristan Bronzes at the LACMA
http://benedante.blogspot.com.tr/2013/04/luristan-bronzes-at-lacma.html

91 Rod-holder Near Eastern, Iranian, Luristan, Iron Age
https://collections.mfa.org/objects/244442

92 Molded plaque: bearded underworld god, Old Babylonian, ca. 2000-1600 B.C., Mesopotamia.
http://massarrah.tumblr.com/post/84946949647/ancient-mesopotamia-molded-plaque-bearded

93 د. اسامة عدنان يحيى؛ الآلهة في رؤية الانسان العراقي القديم/ دراسة في الاساطير؛ الطبعة الأولى 2015؛ الناشر: اشور بانيبال للكتاب- بغداد؛ ص172.

94 فراس السواح؛ مغامرة العقل الأولى/ دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين؛ الطبعة الحادية عشرة 1996؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛ ص215.

اسمه أطلق على العالم السفلي، واسمه يماثل التسمية الكردية للقبر(Gor) ([95])، أما آساج فيتصدى له ننورتا ابن الإله إنليل، ويتمكن من التغلب عليه وعلى كور([96]). وفي الفترة السومرية والاكادية نجد الرسوم التوضيحية 1.2.3([97])، حيث يظهر الإله الثعبان ننجشزيدا([98]) والذي غالباً ما يرد في الأساطير السومرية بوصفه حامي العرش وحارس بوابة بيت الإله (آنو) إله السماء ورئيس مجلس الآلهة، يشاركه في ذلك إله الخصب (دموزي) وهو الحامي والحارس الشخصي للملك جوديا؛ وصِفَ بأنه رديف ننجرسو أحد الآلهة السومرية، كان وصياً على الباب المؤدي الى العالم السفلي، وكان مركز عبادته في مدينة جيش- باندا وتقع في منطقة بساتين بين أور ولجش، رمزه الثعبان المقرّن المعروف باسم (باسمو bashmu) وهو ثعبان عملاق وطويل، متعدد الأفواه والألسن، كما يبدو في فترة سلالة لجش الثانية بهيئة إله تبرز الأفاعي خلف كتفيه وهي صاعدة للأعلى (رسوم توضيحية 1.2.3)، استمر هذا المثال حتى في العصر البابلي القديم، أما في الفترة الحثية فقد صوّر وهو يمسك الأفاعي بيديه ويضمّـها الى صدره، بينما تتدلى رؤوسها إلى الأسفل، كما أن وجود الثعبانين على الكتف دليل على محاولة اثبات الذات كإله محكوم بالخلود، كون الثعبان كان يرمز إلى الخلود في العديد من الأساطير القديمة. ولا تخلو الآلهة السكيثية من نفس الأوصاف علماً ان السكيثيين تسببوا بمجازر ودمار كبير لكردستان في فترة تحالفهم مع الملوك الآشوريين.

رسم توضيحي1 تخطيطي لمشهد منقوش على ختمِ أسطواني يظهر الإله الثعبان ننجشزيدا وهو يقوم بتقديم الملك جوديا عاهل لكش الى الإله إنكي الذي يجلس على العرش.

[95] مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر؛ ص32.
[96] نفس المرجع السابق، ص122.
[97] عبد الأمير الحمداني؛ مكانة الأفعى في المعتقدات الرافدانية؛ مجلة الآداب السومرية، العدد الثالث، السنة الأولى، 2008؛ ص6.
[98] نفس المرجع السابق، ص5.

رسم توضيحي2 لختم آخر يتضمن المشهد نفسه مع وجود الإلهة (لاما) تقف خلف جوديا ، وهي الإلهة الرحومة والعطوفة، دائما تبدو رافعةً ذراعيها بالتضرّع والدعاء.

رسم توضيحي3 نقش حجري قليل البروز يظهر جوديا ملك لكش (نحت وجهه بصورة غير كاملة)، وقد أمسكه الإله ننجشزيدا من يده وهو يقوده إلى إله جالس على عرش (إنكي) الذي يوزع الماء العذب الفوّار الذي يحتاجه محاصيل مزارعي لجش في الري، تبدو رؤوس التنين- الثعبان وهي تخرج من أكتاف ننجشزيدا. إنَّ الإله الذي يقف أمام ننجشزيدا غير معروف. أما جوديا فيحمل سعفة نخيل في يده في إشارة الى الإلهة (بائو) إلهة المزارع والبساتين.

من آلهة السكيثيين ([99])

[99] Aphrodite Ourania; Great Dragon Mother; 17/11/2015; Link: http://www.abovetopsecret.com/forum/thread1092953/pg1

بينما يفسر بعض الباحثين الثعبانين بأنهما يمثلان نهري دجلة والفرات([100])، وتسببهما لآلام للملك ما هو إلا كناية عن فيضان هذين النهرين وما ينتج عنهما من دمار وخراب للمحاصيل التي توفر ثروة طائلة له، لذلك ليس من المستبعد تقديم قرابين بشرية لهما لتخفيف غضبهما، حيث يظهر في نقش سومري صورة تعبر عن الإله أنكي وعلى امتداد كتفيه يظهر تياران مائيان يمثلان نهري دجلة والفرات اللذين ينبعان من جبال كردستان الشمالية، ويرى الباحث التاريخي (صلوات كولياموف)([101]) "بأنَّ الفيضان الطبيعي للنهر يقترن بالثعبان التنين أژدهاك آكل البشر والذي يرمز إلى الشر في الديانة الكردية القديمة، ومن ثم في أفستا حيث ينسب أصل الكرد إلى فرار 500 شاب من ضفاف البحر إلى الجبل هرباً من شرّ الثعبان أژدَهاك وبدؤوا يعيشون على تربية الغنم..."، علماً أنَّه في فترة الاعتدال الربيعي الذي يصادف 21 آذار تذوب الثلوج ويفيض نهرا دجلة والفرات، ومن الممكن قيام الشعوب القديمة بتقديم أضاحي للنهرين للتخفيف من غضبهما، كما وأنَّ النهرين يبدوان كثعبانين لدى النظر إليهما من مكان مرتفع؛ كما أنَّ تشبيه البعض للثعبانين على كتفي الملك بنهري دجلة والفرات يذكرنا بقرب النهرين من المدن الهورية\الحورية (حرّان- آران- الرها- روها، في أورفا) والتي كانت تشكل قلب المملكة الكردية الحورية([102])، وفي الديانة الحورية ترد الأنهار فيها بشكل مرتبط بالجبال([103]).

كذلك فإن كهنة بلاد الرافدين لقبوا كبير آلهتهم (إنكي) (بالثعبان العظيم الواقف فوق أريدو)([104]) ومن جملة مسؤولياته إدارة شؤون المياه فقد كان سكان العراق القديم يشبهون نهري الفرات ودجلة بالأفعى، وفي الفترة البابلية التي تزامنت الصراع مع الكاشيين أحد أسلاف الكرد تحول الثعبان إلى أهم رموز الإلهة مردوخ/مردوك ابن الإله إنكي حيث ظهر في بعض النقوش وإلى جانبه الثعبان المسمى (موشوشو) وهو حيوان خرافي نقشت صورته على واجهة بوابة عشتار في بابل، تلك البوابة التي شهدت دخول وخروج عشرات الجنود والأسرى والعبيد والتجار والزوار وغيرهم. وفي الألف الثالث قبل الميلاد برز إله جديد اتخذ الأفعى رمزاً له هو الإله (نيراه)([105]) تمثلت مهمته بحماية معبد إيكور في نيبور المكرس لعبادة إنليل إله الهواء؛ كما وجدت رسومات سومرية منقوشة بارزة تتكون من ثعبانين ذكر وأنثى يلتفان حول عمود يرتفع إلى فوهة الكأس في حين يقف تنينان (موشخوشو) ذوي أجنحة خلفهما ويمتلكان سمة إلهية بدلالة التاج المقرن على رأسيهما حيث اعتبر الباحثون هذا النقش رمزاً للإله ننجشزيدا بوصفه مسؤولا عن الدواء والشفاء([106]).

---

[100] عبد الأمير الحمداني؛ مكانة الأفعى في المعتقدات الرافدانية؛ مجلة الآداب السومرية، العدد الثالث، السنة الأولى، 2008؛ ص2.

[101] صلوات كَولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ص56-57.

[102] مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر، ص180.

[103] جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل- حلب؛ ص115.

[104] للمزيد راجع: عبد الأمير الحمداني؛ مكانة الأفعى في المعتقدات الرافدانية؛ الناشر: مجلة الآداب السومرية- العدد الثالث- السنة الأولى؛ 2008.

[105] نفس المرجع السابق.

[106] نفس المرجع السابق؛ ص10.

		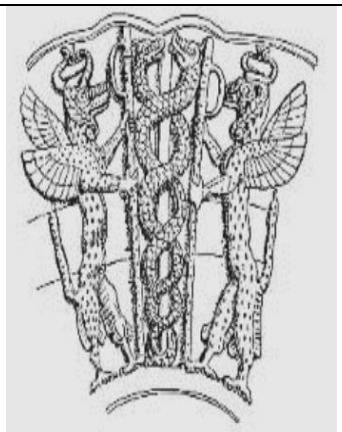
الإله السومري إنكي إله الماء العذبة[107] ونلاحظ على كتفيه خطان مائيان يتحرك في داخلهما أسماك، وهما يمثلان نهري دجلة والفرات.	**الإله نيراه**	**رمز الإله المسؤول عن الدواء والشفاء (ننجشزيدا) في عهد جوديا ملك لكش السومرية.**

نركَال - Nergal إله العالم السفلي السومري[108]

أحد الآلهة السومرية القديمة Ninhursag[109]

الإله البابلي شمش[110]

[107] إنكي- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[108] Mesopotamian Gods & Kings; Link: http://www.mesopotamiangods.com/

[109] Ninhursag is the Sumerian Goddess of fertility - http://www.goddessaday.com

[110] Copper statue of the Sun God Shamash, dating back to 1700-1600 BCE. Shamash, the Babylonian god of justice, is depicted on the famous Code of Hammurabi. The sun is named after him in Arabic, Hebrew and Syriac. Brooklyn Museum, Brooklyn, NY http://tammuz.tumblr.com/post/90563599222/copper-statue-of-the-sun-god-shamash-dating-back

أما في الأساطير البابلية فيوجد التنين لابو([111]) الذي خرج من أعماق المياه لتدمير الحياة، حيث يتمكن أحد الآلهة من القضاء عليه دون معرفة اسم ذلك الإله، إلا أنَّ للإله إنليل دوراً كبيراً في قتله وكما ذكرنا سابقاً فإنَّ الإله إنليل يرمز إلى الجبال؛ والتنين في أساطير ميزوبوتاميا والهلال الخصيب يعبر عن القوة التي تحاول إعادة الخلق إلى حالتها الأولى عن طريق خلق الفوضى، وفي الفترة البابلية نجد صور للآلهة يظهر على أكتافها نتوءان أو ثعبانان، كالإله نركَّال/ نرجال ومردوك أو شمش الذي يسلم السلطة إلى حمورابي. بالنسبة للإله نركّال فقد كان يمتاز بخاصية مقدسة لدى الحوريين أيضاً([112]) وذلك في الألف الثالث قبل الميلاد. وفي أسطورة "أُلّي كُمّي" الحورية([113]) يتم الحديث عن مخلوق مرعب يدعى (أُلي كُمّي) ينبت على كتف الأيمن لأحد الآلهة ويسعى لإبادة البشرية لإعادة السيادة إلى الآلهة، ويتضرع بطل الأسطورة (أُبلُّري) إلى الإلهة (أيا) لتجلب المنجل الذي فصلت به الآلهة، السماء عن الأرض، وبذلك المنجل قطع (أُلي كُمّي) عن منبته وبعد ذلك جرت عدة معارك استطاعت الآلهة في النهاية من إبادة ذلك المخلوق الضخم.

سيد مملكة الظلام (نركَال) إله العالم السفلي البابلي

الإله القومي للبابليين يسلم السلطة لحمورابي كإظهار لشرعية حكمه

الإله مردوك وعلى جانبه التنين موشوشو

[111] فراس السواح؛ مغامرة العقل الأولى/ دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين؛ الطبعة الحادية عشرة 1996؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛ ص225.
د. اسامة عدنان يحيى؛ الآلهة في رؤية الانسان العراقي القديم/ دراسة في الاساطير؛ الطبعة الأولى 2015؛ الناشر: اشور بانيبال للكتاب- بغداد؛ ص196.
[112] للمزيد راجع: جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل- حلب؛ ص105.
[113] نفس المرجع السابق؛ ص114.

من ناحية أخرى تروي المعتقدات الإيزدية([114]) بأن نوح بعد أن نزل على جبل شنكال/ سنجار ورأى الأضرار التي لحقتها الأفاعي بالإنسان قام بمسك الحية ومن ثم احراقها بعد أن كانت تتخذ من إبط الإنسان منزلاً لها وتعيش من جسم الإنسان؛ ونجد على مدخل الكثير من المعابد الإيزدية وجود ثعبان أو ثعبانين وبينهما مدخل المعبد، بشكل يذكرنا بضرب كاوى الحداد لرأس أژدَهاك الموجود بين الثعبانين وتحرير المجتمع من ظلمه وشره.

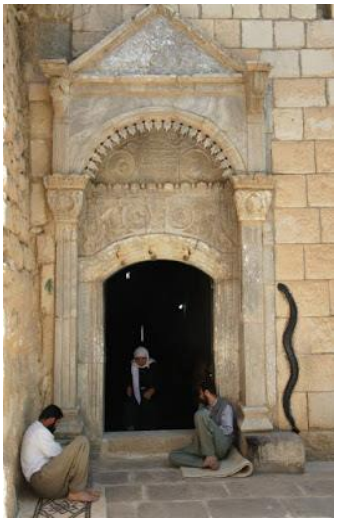

مدخل معبد لالش

أحد المعالم المقدسة لدى الإيزديين([115])

كما أنَّ بعض الملوك الذين كانوا يضحون بهم للآلهة كانوا غرباء على المجموعة البشرية حيث يشير فرويد إلى ذلك([116]) "...وبحسب التفسيرات الأخاذة التي أوردها فريزر، وأن لم تكن باعترافه هو مقنعة جداً، فإنَّ أوائل الملوك كانوا أغراباً، لا تمضي فترة وجيزة على ملكهم حتى يضحى بهم للإله الذي يمثلونه في احتفالات رسمية. وإننا لنعثر على أثر هذا التاريخ البدائي للملكية في أساطير المسيحية..."، علماً أنَّ أژدَهاك كان ملكاً غريباً عن الشعب.

إنَّ أژدَهاك أيضاً له دلالة رمزية إلى الطوطم، حيث يشير الباحث دياكوف([117]) إلى تأثير الطوطمية في عبادات الشعوب الإيرانية والشعوب الأخرى، ويشير فرويد بخصوص

---

[114] إسماعيل بك جول (أمير اليزيدية في سنجار)؛ اليزيدية قديماً وحديثاً؛ الناشر: كلية العلوم والآداب- الجامعة الأمريكية في بيروت- 1934؛ ص76.

[115] Yılan Sembolünün Dinlerdeki Yeri ; Linke:
https://bilimselateistler.blogspot.com/search?q=Y%C4%B1lan+Sembol%C3%BCn%C3%BCn+Dinlerdeki+Yeri

[116] سيغموند فرويد؛ الطوطم والتابو؛ ترجمة: بو علي ياسين؛ الطبعة الأولى 1983؛ الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية؛ ص71.

[117] ف. دياكوف- س. كوفاليف؛ الحضارات القديمة/ الجزء الأول؛ ترجمة: نسيم واكيم اليازجي؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛ ص205.

الطوطمية([118]) "... أنَّ الحيوانات الأكثر انتشاراً بين الحيوانات الطوطمية هي تلك التي لها نفس مثل الثعابين والطيور والعظايا والفئران..."، علماً أنَّ الثعابين كانت تتواجد بكثرة في جبال كردستان وينظر إليها نظرة تقديس ورهبة، واطلاق تسمية الحيوانات الطوطمية على البشر كانت من عادات الشعوب القديمة بحسب فرويد "... إنَّ حرمات الاسم هذه تبدو أقل غرابة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ الاسم يؤلف عند البدائي جزءاً أساسياً من الشخصية... فالبدائيون يرون في الاسم جزءاً من الشخص..." ([119]) لذلك يمكن أن نعتبر ثورة كاوا الحداد وقتله للملك ثورة فكرية وبداية الخروج من مرحلة الطوطمية.

2. التضحية بشابين وتقديم دماغهما للثعبانين:

بعد أن فشلت جميع المحاولات في إيجاد دواء للتخفيف من آلام الملك وغضبه، اقترح أحد الكهنة بذبح شابين يافعين وإطعام أدمغتهما للثعبانين، وهذا دليل على وجود كاهن كبير يثق به الملك، الأمر الذي يذكرنا بالكهنة السومريين ومن بعدهم الكهنة البابليين والآشوريين وطقوس سر آلام مردوك التي تقام في عيد اكيتو أو على الأقل المؤشرات الدينية لهذه القصة، من ناحية أخرى يرى البعض وجود علاقة رمزية للدماغ مع الذهنية التي تخضع للعبودية فمثلاً يرى المفكر عبدالله أوج آلان([120]) "... إنَّ الطقوس الدينية التي تقدم الإنسان ضحية العبادة وبدرجات مختلفة والإيمان بها عند السومريين لها ارتباط قوي بالقوة الإيديولوجية للعبودية...إنَّ إيجاد الكهنة السومريين لإيديولوجية تكوين الدولة بمهارة، وتكوينهم للذهنية الاجتماعية، والنظر إلى الدولة كنظام إلهي على الأرض من خلال تلك الذهنية هو شيء مثير ورهيب للغاية...".

من ناحية أخرى يشير قتل شابين في كل يوم دليل على تقديم قرابين بشرية لذلك الإله-الإنسان، للتخفيف من آلامه وبالتالي من غضبه وهذا ما يذكرنا بطقوس عيد آكيتو بالدميتين الصغيرتين اللتان تحملان أفعى وعقرباً حيث يتم في نهاية الاحتفال قطع رأس الدميتين ورميهما في النار. إنّ جلب شابين يافعين، ومن ثم ذبحهما واستخراج دماغهما، يدل على مدى الإرادة المسلوبة للشعب المضطهد، والذي يظهر بأنَّه غير قادر على منع وصول أبنائه إلى المذبح، ومن المعروف فأنَّ ثقافة قطع الرؤوس تذكرنا بملوك بلاد الرافدين، وسبب اختيار الدماغ كدواء في الأسطورة فيعود إلى الرمزية المقدسة له لدى أسلاف الكرد القدماء، حيث يرد في الأفستا الكتاب المقدس في الزرادشتية([121]) بأنه عندما مات الثور المخلوق الوحيد سال دماغه بذوراً لـ 55 نوعاً من الحبوب و12 نوعاً من النباتات الطبية الشفائية ومن المخ ينشأ كل مخلوق معين، وكل شيء يكمن موقعه في المخ. وفي الثقافة المجتمعية الكردية نجد العديد من الجمل التي تعبر عن أهمية الرأس والدماغ فمثلاً عندما يتسبب شخص بقتل شخصاً آخر يقول في المثل الكردي بأنَّ (الشخص الأول أكل رأس

---

[118] سيغموند فرويد؛ الطوطم والتابو؛ ترجمة: بو علي ياسين؛ الطبعة الأولى 1983؛ الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية؛ ص152.156.

[119] نفس المرجع السابق، ص77.

[120] عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ ص26.34.

[121] د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛ ص806.

الشخص الآخر) بحسب المعنى الحرفي للجملة **"Te serî wî xwar"**، وفي بعض الأحيان يعزي الكردي أقارب المتوفي أو المريض بالجملة **"Bila serê we sax be"** أي فليسلم رأسكم بحسب المعنى الحرفي للجملة،

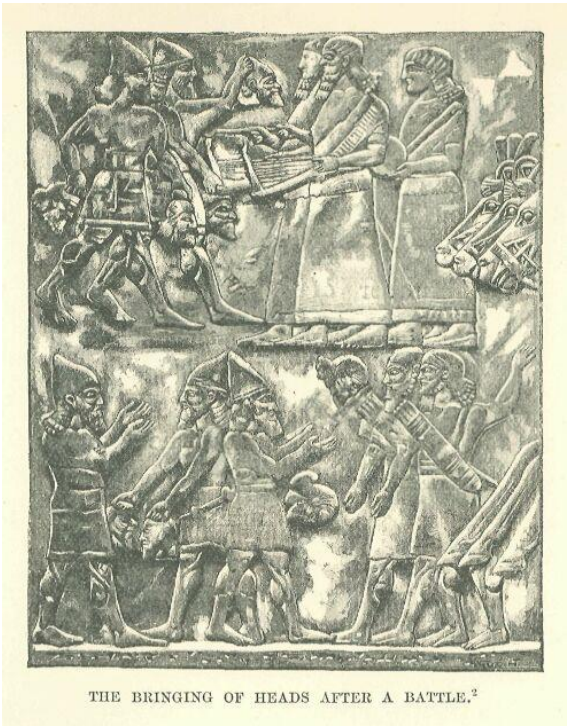

رسم لنقش يظهر عادة توزيع الغنائم على الجنود الآشوريين بمقدار الرؤوس المقطوعة([122]) بعد انتصارهم في معاركهم أو قمع الثورات.

من ناحية أخرى يشير موقف الجلاد المتعاطف مع الضحايا والاستعاضة عن أحدهما بخروف، إلى تحول فكري في المعتقدات الدينية من خلال عدم اقتناعه بالتضحية بالشابين وتهريب أحدهما، فهو بذلك يقوم بوضع الأسس الأولى للثورة في سياق مضاد لفكرة القرابين البشرية وديانة الملك الغريب، ويعتبر أوج آلان([123]) هذا موقفاً ثورياً "...فسد الطريق أمام التضحية بالأطفال كقرابين يحمل صيغة الثورية، وهي ليست بظاهرة فردية وبسيطٌة وإنّما عملية استيقاظ الوجدان الإنساني

[122] G. MASPERO; HISTORY OF EGYPT CHALDEA, SYRIA, BABYLONIA, AND ASSYRIA; THE GROLIER SOCIETY PUBLISHERS; LONDON; Release Date: December 16, 2005; Link:
https://www.gutenberg.org/files/17326/17326-h/17326-h.htm

[123] عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ pdf، ص67.

ضد أهم نموذج لهذا التعصب الديني البدائي المتجذر والمنتشر تكتسب قيمة عظيمة، وهي عملية تكتسب معنى كبيراً ضد هذه البدائية..."؛ علماً أنه في الديانة الزرادشتية التي شكلت ثورة فكرية في زمانها وقبلها المزدية كان الكهنة يتولون مهمة ذبح القرابين من أبقار وخيول([124]) بدل القرابين البشرية، وقد كان الحوريون يقدمون قربانين لآلهتهم إحداهما طائر والآخر شاة (خروف أنثى) في أحد أعيادهم المقدسة التي كانت تسمى بعيد (خيشوّا)([125])؛ الأمر الذي يشير إلى أن الجلاد كان أيضاً كاهناً ولكن متمرد فكرياً. إنَّ شخصية الجلاد الرحيم ضرورية لتستمر الأسطورة من خلال لجوء الشبان الذين استبدلوا بالخروف أو الكبش إلى جبال كردستان، وهذا دليل على وجود توجه لرفض القرابين البشرية والتحول إلى التضحية بالحيوانات، وهذا ما نتلمسه في السنوات اللاحقة لحضارة سومر، فالسومريون حوالي الفترة 5262 ق.م من العهود القديمة لحضارتهم قاموا بتقديم قرابين بشرية وإيجاد فكرة الملك الإله عن طريق كهنتهم. في مراحل تاريخية لاحقة تم استبدال القرابين البشرية بقرابين حيوانية، حيث يؤكد الباحث ويل ديورانت([126]) "... إنّه تم العثور في إحدى المستوطنات السومرية على لوح طيني نقشت عليه بعض الصلوات وجاءت فيها هذه النذر الدينية الغريبة: (إن الضأن فداء للحم الآدميين، به افتدى الإنسان حياتهم)... يفهم من ذلك بأنَّ الآلهة كانوا في بادئ الأمر يفضلون لحم الآدميين فلما ارتقى أخلاق الناس لم يجدوا بداً من الاقتناع بلحم الحيوان..."، والضأن كما نعلم هو نوع من الخرفان؛ وكذلك تشير مصادر الديانات الإبراهيمية إلى قيام النبي إبراهيم بتقديم ابنه كقربان لله ومن ثم الاستعاضة عنه بخروف أو كبش، ويحيّ أتباع الديانة الإيزدية عيد القربان (عيد الأضحى لدى المسلمين)، علماً أنَّ الديانة الإيزدية كانت منتشرة في المنطقة منذ آلاف السنيين([127]). وقد وجدت على بعض أختام الطين([128]) صور آدميين يلبسون قناعًا يشبه رأس الحيوان، وذلك لإقامة طقوس وشعائر الذبح الرمزي كاحتفال بعيد رأس السنة، وقد اكتشف في أور تمثال جدي مربوط ومقيد بشجرة، قد يكون رمزاً لاستبدال الضحية الحيوانية بالضحية البشرية ويعود إلى ماقبل 1500 سنة قبل الميلاد. إنَّ شجاعة الجلاد وعصيانه لأمر الملك له الكثير من الدلالات، وتعبر عن عدم قناعته للدواء الذي اقترحه الكاهن ولفكرة تقديم الأضاحي البشرية، بشكلٍ يجسد وعياً فكرياً.

3. كاوى الحداد (Kawayê Hesinkar).

مع الرعب الذي كان يعيشه المجتمع والذي يبدو أنه كان مستسلماً للوحش الشرير أزدّهاك وكهنته، وغير قادر على حماية أبنائه ويضطر للفرار إلى الجبال، يبرز اسم كاوى الحداد والذي يوصف كشخص كادح ومحارب مسلح بمطرقة، ويبدو أن هذا الاسم قريب من اسم كارى، حيث

---

[124] ميرسيا إلياد؛ تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية/ الجزء الثاني؛ ترجمة: عبدالهادي عباس؛ الطبعة الأولى 1987/1986؛ الناشر: دار دمشق- دمشق؛ ص338.

[125] جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل، حلب؛ ص119.

[126] ويل ديورانت؛ قصة الحضارة/ الشرق الأدنى؛ ترجمة: محمد بدران؛ الجزء الثاني من المجلد الأول 1988م؛ الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع- بيروت؛ ص29.

[127] للمزيد راجع: د. كاظم حبيب؛ الإيزيدية/ ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمن!؛ الطبعة الأولى 2003؛ الناشر: دار ئاراس للطباعة والنشر؛ أربيل- كردستان العراق.

[128] عباس محمود العقاد؛ إبراهيم أبو الأنبياء؛ الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة؛ بلا طبعة؛ ص162.

تفيد بعض المصادر بأن اسم (Kara) يعني المحارب وكان يطلق على الأشخاص الأحرار المسلحين في المجتمع القبلي الميدي القديم، بينما يرى الباحث أحمد الخليل([129])"...أنَّ كلمة kar في الكردية تعني العمل أو القدرة على فعل الشيء، وكان يطلق في القرن السادس قبل الميلاد على معظم الأحرار في أرض ميديا (جبال كردستان القديمة) باسم مشترك وهو كار- kar وكانوا أحراراً من الجانب المدني والحقوقي والمهني، حيث تم القضاء على الإمبراطورية الآشورية من قبل هؤلاء الأحرار وتأسست على أيديهم إمبراطورية ميديا...". وهذا ما يذكرنا باسم الملك الميدي الشهير كيكاوس\كياخسار\كيخسرو؛ وقد يكون اسم (كاوى) لقباً يأتي بمعنى النبيل أو الحاكم أو الملك([130])؛ ففي الكتاب الزرادشتي المقدس (أفستا) يأتي ذكر اسم (تراينونا) ابن (آتفيا)([131]) من قبيلة الأبطال جنود النور (آهورامزدا) وقاتل أزدهاك ذو الرؤوس الثلاثة والعيون الستة؛ ويعد بحسب أفستا الإنسان الثاني الذي أعاد الهاوما المقدس إلى العالم المادي، والذي يوصف أحياناً بالإله الذي يجسد النبات أحياناً، ويقدم كإله في هيئة إنسان أحياناً أخرى؛ والهاوما نبات ينمو على الجبال ويقدم عصيره كقربان للإله آهورامزدا؛ وحتى الآن لم يعرف بدقة ماهية الهاوما لدى قدماء الآريين؛ أن هذا الأمر يبدو أنه يتوافق مع قتل كاوى لأزدهاك وعودة الشبان من الجبال.

ويشير اسم كاوى الحداد أيضاً إلى مهنة الحدادة المقترنة بالنار ذات المكانة المقدسة لدى أجداد الكرد، وما يدل على ذلك الانتشار الواسع للحديد والمعادن في جبال زاغروس([132]) والذي كانت ذروته في العهد الميدي الذي تصادف وجوده في العصر الحديدي الذي بدأ حوالي -1000 1500ق.م، علماً أن الكرد منذ القِدَم كانوا يطلقون الاسم المعاصر للحديد (Hesin) على جميع المعادن الصلبة ويوصفون بها الأشياء القاسية؛ وقد كان له دور في الثورات التي اندلعت ضد أسياد المجتمع العبودي بحسب المفكر أوج آلان في تحليله لنشوء المجتمع العبودي ودور الحديد في انهياره([133])" ... وبعد استخدام الحديد بكثرة يدخل النظام في مرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة التحول الديمقراطي، ولكن بالرغم من احتضان هذه المرحلة للعديد من التجديدات والإصلاحات فإنه لم ينجح في إخفاء مؤشرات الانهيار... نجد الأثر الكبير الثاني للحديد على الاقتصاد العبودي والبنية الاجتماعية في المدن من حيث تأزمها وانحلالها بعد عام 1000 ق.م يتجلى عند طبقة حرفي المدن، إذ أن غلاء المعادن السابقة واحتكارها من قبل الفئة السياسية الحاكمة على الأغلب، كان يفتح الطريق أمام ظهور تبعية من نوع ما ضمن نمط العلاقات العبودية، وعندما انتقلت ملكية المعادن وعلى رأسها الحديد إلى أيدي الحرفيين بشكل رخيص ووفير، دفع بها لأن تكون طبقة

---

[129] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص180.

[130] د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛ ص30.

[131] نفس المرجع السابق؛ ص132.

[132] للمزيد راجع: رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008.

[133] عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛ pdf، ص173.168.

جديدة مناهضة للنظام، وخرجت المدن من كونها مراكز للنظام العبودي لتتحول إلى بنى اجتماعية تلعب دوراً مناهضاً للنظام..."؛ الأمر الذي رسّخ الحديد بشكل اسطوري في وعي المجتمع كما يقول أوج آلان. كما ويشير جرنوت فيلهلم([134]) إلى مكانة الحدادين العالية في القصور الملكية للممالك القديمة، وخاصة المملكة الحورية، حيث كانوا مسؤولين عن تأمين الأسلحة والدروع.

يؤكد المؤرخين على غنى جبال كردستان بالحديد([135])، ويعتقد العلماء الأركولوجيون([136]) استناداً على التحف الفنية المعدنية التي تم اكتشافها، بقيام السكان المحليين من الكوتيين وغيرهم من أجداد الشعب الكردي باستغلال مناجم المعادن في مكانٍ بأعالي نهر دجلة في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد في مكان اسمه أركَان- مادان أثناء خدمتهم للمملكة الحثية، ولم يتخلَّ الأحفاد عن هذه المهنة حيث نجد ذلك لدى سكان جبال الكاردوخ([137])، فقد كانت قبائل الكاردوخ([138]) تنقسم مهنياً بالشكل التالي إلى مربيّ الماشية، والمزارعين، والحدادين، حيث أشار كسينفون\زينوفون والذي قاد رحلة عودة عشرة آلاف يوناني عبر كردستان القديمة بوفرة المنتوجات البرونزية في جبال الكاردوخ، حيث كانت طبقة الحدادين أحد عناصر المجتمع الكردي القديم.

وكون معظم البشر الذين ينتمون إلى سلالات معينة ولهم جذور ثقافية مشتركة يفكرون بنفس الأسلوب، ونظراً لتشابه الظروف المحيطة بهم نجد تكراراً لشخصية كاوى الحداد في ميثولوجيا الشعوب الأخرى، كبطل الميثولوجيا الاسكندنافية (النوردية) (ثور- Thor) وإله النار الإغريقي\الروماني (هيفايستوس\فولكان(، وسفاروج الحداد ([139]) إله الشمس لدى الشعوب السلافية، وكذلك هرقل في الميثولوجيا الإغريقية الذي قام بقتل التنين الأسطوري هيدرا([140])، بالإضافة إلى أبطال آخرين في بعض القصص الشعبية الأخرى.

---

[134] جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل، حلب؛ ص93.

[135] ف. دياكوف- س. كوفاليف؛ الحضارات القديمة/ الجزء الأول؛ ترجمة: نسيم واكيم اليازجي؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛ ص189-195.

[136] صلوات كَولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ص301.

[137] جبال الكاردوخ تشمل جبال راوندوز في جنوب كردستان، وجبال ديرسم وارزينجان في شمال كردستان حيث كان يسكنها الكاردوخ.

[138] صلوات كَولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ص315.

[139] موقع: brick- school؛ الآلهة السلافية القديمة. الآلهة السلافية- الرابط:
https://healthfemale.ru/ar/old-slavic-deities-slavic-gods.html

[140] الهيدرا: وحش أسطوري في الميثولوجيا الإغريقية عبارة عن تعبان له رؤوس كثيرة لو اقتطع منها واحد ينمو مكانه اثنين.

هيفايستوس|فولكان إله النار وصانع أسلحة الآلهة.

سفاروج إله الشمس لدى الشعوب السلافية.

بطل الميثولوجيا الاسكندنافية (النوردية) ثور([141])- Thor

ونجد بشكل خاص تشابهاً مع شخصية كاوى الحداد في تراث الشعوب الآرية البعيدة جغرافياً عن كردستان ضمن الميثولوجيا النوردية والجرمانية في شمال أوروبا([142]) 2000 ق.م([143])، ونورد Nord([144]) تعني جهة الشمال في اللغة الجرمانية، بطل الأسطورة على شاكلة كاوى الحداد يحمل مطرقة ويمتاز بقوة نارية كالبرق واسمه ثور Thor ابن الإله أودين Odîn وهو إله قديم عند الشعوب الجرمانية، ويوصف كمحارب عظيم عطوف على البشر، واسمه يعني الرعد ويشتهر بمطرقته التي لا تفارقه، عدوه أفعى شريرة تسمى جورمنكاند([145]) والتي ترمز إلى الشر من العالم السفلي حيث يتمكن من قتلها.

إنّ إعلان كاوى الثورة ورفع ردائه كراية لها تحمل الكثير من المؤشرات لعل أبرزها وصف الملك الشرير وكهنته غرباء عن ثقافة سكان المنطقة؛ يشير أيضاً إلى الروح والشخصية العسكرية لحاملها. يعتبر علماء السياسة والمؤرخون وعلماء الاجتماع وغيرهم بأنَّ الأعلام تعبر عن الثقافات

---

[141] http://www.odinsvolk.ca/thorshammer.htm

[142] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة- ثور (ميثولوجيا).

[143] موقع عالم المعرفة؛ من هم الفايكنج؟؛ بلا تاريخ نشر. الرابط:
https://knowledge0world.blogspot.com/2012/12/blog-post_9.html

[144] وقد يكون تسمية نورد تبلورت كنتيجة لهجرة الإنسان البدائي باتجاه الشمال مع انحسار العصر الجليدي الذي بدأ تدريجياً من الجنوب إلى الشمال، وسعي الإنسان وراء الطرائد التي كان يصطادها، حيث كان الجليد والثلوج الذائبة تكشف عن أراضٍ جديدة، وعلى هذا الأساس يمكننا الافتراض بأنَّ كلمة نورد لدى تهجئتها تطابق الكلمة الكردية Nû Erd والتي تعني الأرض الجديدة.

[145] المقطع الأول جور Gor يذكرنا بالتنين السومري Gor إله العالم السفلي وإله الموت والظلام وGor بالكردية يعني القبر.

في أوقات وأماكن معينة([146])، أما في الحروب تستخدم الأعلام بشكل رئيسي لتنسيق القوات في القتال العسكري، حيث يعتبر العلم أداة لتحديد الهوية وتُميز الصديق عن العدو، وهو رمز القيادة ويحدد مكان القائد في ساحة القتال، وبقائها عالية تدفع بالجنود إلى الاستمرار في القتال وفي حال سقوطها دلَّ ذلك على الهزيمة؛ بشكل عام يحدد العلم هوية ورمزية جماعة معينة؛ أثناء قيادة كاوى للثورة رفع رداءه أو مئزره كراية، كدليل على قيادته للثورة، حيث استطاع توحيد صفوف الكرد تحت رايته واعلن عن انتصاره بإشعال نار كبيرة؛ الأمر الذي يشير بشكل واضح إلى اعتبار كاوى محارب ومخطط عسكري. حتى هذا العصر تعكس الاعلام والرايات الكردية الزيّ واللباس الخاص الكردي، ويظهر ذلك جلياً في اللباس الفلكلوري الكردي وبشكل خاص أثناء الاحتفال بعيد النوروز وما يرافقه من اشعال نيران، وكذلك اللباس في الأعياد الكردية الأخرى؛ ورفع الرداء كراية يعبر عن تحطيم حاجز الخوف، ويشير إلى إنَّ الثورة قامت من قبل شعب تم محو هويته، وأراد استردادها مع حريته. وكون الفرس أقرباء الكرد، استولوا على مُلك وديانة وثقافة الميديين أجداد الشعب الكردي كما ذكرنا سابقاً، اتخذوا من رمزية هذه الراية علماً لهم وأطلقوا عليه اسم "ديرافش كاوياني"([147]) وحولوه إلى رمز قومي لهم، حيث تشير بعض المراجع التاريخية إلى اقتباس الفرس حتى ثياب الجنود([148]) من الميديين الذين كانوا يشتهرون بالفروسية وفنون الحرب. تكراراً لما سبق فأنّ شخصية كاوى الحداد تشير إلى القائد الذي وحد أسلاف الكرد الجبليين وقيادتهم في ثورة كبيرة ضد الملك الشرير الموصوف كوحش ممسوخ يمتلك ثعبانين على كتفيه، وتبدو شخصية القائد الميدي الشهير كياخسار وثورته على الإمبراطورية الآشورية التي ورثت آلهة كانت تمتلك على كتفيها ثعابين أو رؤوس أو غير ذلك والتي استبدت الشعوب باسمها، أقرب ما تكون إلى شخصية كاوى الحداد وثورته، الأمر الذي يشير إلى بلورة الأسطورة بصيغتها الحالية في ذلك العصر (حوالي عام 612 ق.م)، الزمن الذي انتصرت فيه الثورة الميدية الكبرى على الملك الآشوري وازدهار العصر الحديدي وبروز الزرادشتية بشكل أوسع التي أعادت صياغة الصراع بين الخير والشر ونهاية العصر العبودي القديم وتوحد مجتمعات كردستان القديمة تحت اسم ميديا، كما وتشير بعض الأبحاث إلى تحول بلاد ميديا في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد إلى مصدرٍ لانتشار الوعي الديني والفلسفي، بالتزامن مع بروز شعبين آريين متجاورين ومتمايزين، هما الميديون والفرس، اللذان يشكلان امتداداً تاريخياً للشعبين الكردي والفارسي في العصر الحديث.

---

[146] Encyclopaedia Britannica; Flags and Anthems of the World; Link:
https://www.britannica.com/topic/Flags-and-Anthems-of-the-World-1694666

[147] العميد الركن محمد صبحي الحجار؛ الجيش وفنون القتال عند الفرس؛ الناشر: موقع الدفاع الوطني اللبناني- العدد 76 - نيسان 2011؛ الرابط:
https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D9%88%D9%81%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AA%D8%A7%D9%84-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%B3

[148] حسن بيرنيا؛ تاريخ إيران القديم/ من البداية حتى نهاية العهد الساساني؛ ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي؛ الطبعة الأولى 2013؛ الناشر: المركز القومي للترجمة- القاهرة؛ ص141.

4. التجاء المُضطَهدين إلى الجبال ورمزية الجبال في الثقافة الكردية.

تشير الأفستا إلى أن الجبال تشكلت بعد هجوم آهريمان على الأرض([149])، كما أنَّ أساطير الطوفان في الهلال الخصيب تشير إلى أنَّ الذين نجوا استقروا في أعالي وقمم الجبال ومنها انتشروا مجدداً، إنّ ما تم ذكره يقودنا إلى اعتبار إعادة خلق البشر قد تم في جبال كردستان القديمة([150]) بحسب وجهة نظر ثقافات تلك العصور. تعتبر الجبال حصناً طبيعياً يمكن الاحتماء به في الكثير من الأحيان ضد أي خطر فهو يعتبر من المواقع الاستراتيجية في مختلف العصور، وهناك علاقة متينة بين الكرد والجبال إلى درجة جعلت الباحث (باسيل نيكتين) يعتبر الكردي والجبل توأمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ حتى أثناء هجرة الكرد إلى مناطق أخرى فأنهم غريزياً يفضلون السكن في التلال والجبال، فمثلاً أختار الكرد المهاجرون إلى دمشق جبل قاسيون للسكن فيه وأنشأوا فيه حياً أطلقوا عليه اسم حي زورآفا، وكذلك الكرد الذين هاجروا إلى لبنان في جبل الشوف وجبل لبنان ومعظم الكرد في شمال وشرق سوريا بنوا قراهم أو نصبوا خيمهم على التلال. وللجبال دلالة رمزية مقدسة حيث كان يظن بأنّها موطن الآلهة، فقد كان السومريون يتصورون بأنَّ الآلهة قبل خلق البشر كانوا يقيمون في مكان مقدس هو الجبل المقدس أو جبال الكون([151]) علماً أنّ الجبال العظيمة المتاخمة لبلاد سومر هي جبال زاغروس، والعلاقة بين أسلاف الشعب الكردي والجبال تماثل علاقة الأم بابنها، حيث تشير معظم الدراسات ذات الصلة باشتقاق اسم الكرد من المصطلحات التي كانت تطلق على الجبال، جميعها اتفقت على أنها تسمية تدل على شعب جبلي شجاع، محتضنةً جميع القبائل التي سكنت جغرافية كردستان القديمة والتي انصهرت وشكلت الشعب الكردي، حيث توحدوا عسكرياً وسياسياً تحت لواء الميديين. كما وتشير أسطورة لعنة أكاد([152]) إلى أنَّ الإله أنليل جلب الكوتيين- أسلاف الشعب الكردي- من جبل كوبين "نظر الإله صوب جبل كوبين، وطاف كل سلاسل الجبال الخارجية... لقد جلبهم أنليل من الجبال..."؛ وبحسب الباحث جرنوت فيلهلم([153]) "...يعود تصور الولادة من الحجر في أسطورة أُلّي كُمّي- وكذلك في حكاية وصلتنا غير متكاملة عن حمل إلهة الجبل وَشيتّا- إلى تقاليد حورية قديمة، نقلها الحوريون إلى المنطقة من مواطنهم الأولى في المناطق الجبلية الكردية. ومن التصورات الحورية الخالصة التي لا نجد مشابهات لها في تراث الشرق القديم فكرة أسياد الآلهة المخلوعين عن عروشهم والباحثين عن استعادة سيادتهم...".

---

[149] د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛ ص802.

[150] جبل نيسير بالقرب من مدينة السليمانية في الأسطورة البابلية السومرية، جبل آرارات في التوراة، جبل جودي في القرآن الكريم، جبال زاغروس (ميديا) في أفستا، جبل شنكال (لالش) في الإيزيدية.

[151] ديوان الاساطير/ سومر واكاد وآشور- (الكتاب الثاني الآلهة والبشر)؛ ترجمة: قاسم الشواف، تقديم: أدونيس؛ بلا طبعة وناشر؛ ص83.

[152] رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008؛ ص51.

[153] جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل- حلب؛ ص115.

ويذكر زينوفون اسم شعب كاردوك\كاردوخ أثناء رجعة عشرة آلاف مرتزق يوناني بقيادته حوالي سنة 400-401 ق.م والذي كان يسكن جبال الكاردوخ التي كانت تضم أيضاً جبل جودي([154])؛ أما العرب وفي أوائل العهد الإسلامي في المنطقة ونقلاً من السريان فقد كانوا يطلقون على الكرد سكان الجبال في أول الأمر اسم بكردا([155]) وتسمية ديار بكر التي أطلقها العرب على منطقة آمد، حيث أنّ آمادا من التسميات التي كان يوصف بها الآشوريون أرض الميديين([156]) تبدو قريبة جداً من اسم (ديار بكردا) أي ديار الكرد حيث أن الروايات التي تنسبها إلى قبيلة بكر العربية غير دقيقة لأنهم شكلوا نسبة ضئيلة جداً مقارنة بغالبية سكان المنطقة من الكرد والأرمن، والكثير من السريان والآشوريون كانوا يطلقون اسم بيت بقردايا/بكردايا على مواطن الكرد الجبلية المجاورة لهم. وقد اقترن تواجد أسلاف الشعب الكردي بأضخم سلسلتين جبليتين هما (زاغروس وطوروس) والتي يتشكل من اجتماعهما جبال آرارات/ آغري والذي كان بركاناً في إحدى الفترات القديمة في شمال كردستان([157])، إنَّ الجبال التي لجأ إليها المُضَطهدون يمكن أن تكون جبال زاغروس كونها تشكل الحدود الشرقية الشمالية للحضارة السومرية والحضارات السامية اللاحقة، وكثيراً ما كان سكان كردستان القديمة يلجؤون إلى الجبال العالية([158]) في حال تعرضهم لغارات الأعداء أو لاحتلال الأجانب أو لكوارث طبيعية، كونه لم يكن بمقدور الغزاة تمشيط الجبال بأكملها من أجل تصفية جميع السكان، فمثلاً العقيدة العسكرية الآشورية لدى احتلال أي منطقة تمثلت بالتنكيل بشعبها بقطع الرؤوس وقتل الشبان وحرقهم، وأخذ بعضهم رهائن وأسرى ليتحولوا إلى عبيد لهم، وهناك العشرات من النصوص المسمارية التي تؤكد على ذلك، لذلك فأنَّ فكرة احتماء الشبان اليافعين بالجبال كانت حاضرة لدى قدوم الغزاة الدمويين إلى السفوح والسهول المتاخمة لها، حيث يشير أحد النقوش إلى مهاجمة الملك الآشوري "آشور ناصر آبلي الثاني" على بلاد نيربو التي تضم جبل برادوست في جنوب كردستان المتاخم لنينوى عاصمة الآشوريون بعد أن قام سكانها بالثورة عليه([159]) "...ولم يُقْبِلوا إليَّ ولم يركعوا عند قدمي وبعد حصار وقتال اقتحمت المدينة، واعملت السيف في 3000 رجل من محاربيهم، وأخذت منهم أسرى وثيران وماشية، واحرقت العديد من أسراهم، وأسرت العديد من المقاتلين، فقطعت أذرع بعضهم، وأيدي بعضهم، وبترت أنوف وآذان بعضهم، وقطعت من الآخرين أعضاؤهم البارزة واقتلعت أعين العديد من

---

[154] محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛ ص101.

[155] نفس المرجع السابق؛ ص102.

باسيل نيكتين؛ الكرد/ أصلهم، تاريخهم، موطنهم،...؛ تدقيق ومراجعة وتقديم: صلاح برواري؛ الناشر: مجلة آسو ASO الثقافية؛ بلارقم طبعة وتاريخ؛ ص21.

[156] محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛ ص135.

[157] للمزيد راجع: د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛

[158] محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛ ص103.

[159] رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008؛. ص110.

الجنود، ثم عملت كومة من الأجساد وكومة من الرؤوس، وعلقت رؤوسهم على الأشجار حول المدينة وأحرقت المراهقين من أبنائهم وسويت المدينة مع الأرض، فدمرت مدن بلاد نيربو وهدمت أسوارها القوية...". لذلك فإنَّ فكرة اللجوء إلى الجبال وإعادة تنظيم الصفوف ومن ثم مهاجمة الغزاة كانت دائماً ملازمة لأسلاف الشعب الكردي في معارك الدفاع عن الوجود.

يبدو أنه هناك ترابط وثيق بين جبال زاغروس و نَوروز كونهما يرمزان إلى بداية يوم جديد، فلدى تهجئة كلمة زاغروس تبدو لنا عدة معاني (زا Za: ولادة في اللغة الكردية- غي Gi: اسم القمح في لغة أسلاف الكرد القديمة([160]) - رو Ro: شمس أو اليوم في اللغة الكردية) وحرف السين فهي من إضافات المؤرخين اليونان فاللاحقة (س) خاصة بالأسماء لدى الإغريق([161])، أي ولادة الشمس والقمح، حيث شهد سفوح جبال زاغروس الثورة الزراعية، أو بمعنى شروق الشمس من وراء قِممها العالية أو الشرق، خصوصاً أن هذه السلسلة الجبلية تقع في الجانب الشرقي من جغرافية كردستان؛ كما أنّ الجيوش الكردية الميدية التي توجهت إلى قتال الإمبراطورية الآشورية قد تم تنظيمها في جبال زاغروس وتمركزت فيها ومنها عبرت، وتحوي الجهة الغربية لسفوحها في الكثير من المواضع على قبور صخرية شيدت للأمراء الميديين وتعتبر أضرحة مقدسة([162])، وما يلفت النظر وجود أسماً آخر لنهر ديالى الذي ينبع من كُردستان أردلان عبر جبال زاغروس وهو اسم نهر (كاوه رو- Kawa Ro)([163]). وكذلك فأنّ ذوبان الثلوج على قمم جبال كردستان وتسببها بارتفاع مناسيب نهري دجلة والفرات في فترة الاعتدال الربيعي واستثمار ذلك في فتح ثغرة في أسوار نينوى قد ساهم في انتصار الثورة، كل هذه الأمور تركت انطباعاً لدى الكرد بكون الجبال هي موطن الأبطال الذين حرروهم من الظلم والاستعباد وبفضلها ولد الشعب الكردي من جديد؛ وفي العصر الحديث لا تزال الجبال تشكل حصناً منيعاً للثوار الكرد في مقاومة الأنظمة الاستبدادية التي تسعى إلى استعباد الشعب الكردي.

5. الرمزية المقدسة للنار في الأسطورة.

بعد ازدياد أعداد الشبان في الجبال وازدياد نقمة السكان على ظلم أزدهاك يقوم كاوى الحداد بتنظيم وتسليح هؤلاء الشبان، ويختار إشعال نارٍ كبيرة لاقتحام حصن الملك العالي والذي يذكرنا بالزقورات، كإشارة لجميع السكان ببداية الثورة حيث تندلع ثورة شاملة ويتم القضاء على قوات أزدَهاك، وبعد أن يتمكن كاوى من قتل أزدَهاك بضربه بالمطرقة على رأسه يقوم مرة أخرى بإشعال نار كبيرة كإشارة لانتصار الثورة، وهذا ما يذكرنا بمهاجمة قلعة نينوى بالنار الميدية وبمقتل الملك الآشوري حرقاً بعد اقتحام قلعته من قبل الجيش الميدي.

---

[160] صلوات كَوليامو‌ف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ص60.

[161] د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص81.33.

[162] توما بوا؛ الكُرد؛ ترجمة: صلاح عرفان؛ الناشر: مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)- السليمانية/ 2010؛ بلا رقم طبعة؛ ص29.

[163] باسيل نيكتين؛ الكرد/ أصلهم، تاريخهم، موطنهم،...؛ تدقيق ومراجعة وتقديم: صلاح برواري؛ الناشر: مجلة آسو ASO الثقافية؛ بلارقم طبعة وتاريخ؛ ص78.

إنَّ اشعال النار كبداية لإعلان الثورة وبعد قتل الملك الشرير، دليل على الصبغة الروحانية لهذه الثورة؛ تملك النار مكانة مقدسة في الديانات القديمة وخصوصاً لدى الشعوب الآرية التي يبدو أن اسمها اشتق من النار، حيث أنَّ كلمة نار تعني آر\ AR ولا تخلوا المعابد الزرادشتية منها واعتبرت ابن الإله آهورامزدا، علماً أن الديانة الزردشتية هي امتداد للديانة الآرية القديمة والتي كان يطلق عليها أيضاً اسم (المَزْدية)(**164**) حيث تبدو الزرادشتية كأنها مذهب من مذاهبها([165])، ويعد النار إلى جانب الماء والهواء والتراب أصل الكون وخلق الإنسان من وجهة نظر الفلاسفة القدماء، ومن الصعب أن نفهم ذلك بالمعنى الحرفي للكلمة إلا أنه يمكن أن نتلمس دلالاتها الرمزية، فلولا المعتقدات التي كانت تدور حول تلك العناصر الأربعة لما تتطورت الثقافات البشرية وتقام الحضارات والملاحم؛ وقد كانت للنار مكانة مقدسة لدى أسلاف الكرد منذ آلاف السنين وقبل ظهور الديانات الكردية القديمة، فكردستان القديمة شهدت مرحلة العصر الحجري القديم، والذي شهد تطور قدرات الإنسان وظهور الإنسان العاقل الذي تمكن من تسخير بعض الظواهر الطبيعية لصالحه كالنار التي لعبت دوراً كبيراً في تطور بنيته وعلاقاته الاجتماعية بعد أن ساعدته على التحول من الطعام النيء إلى الطعام المطهي، والذي يسهل هضمه حيث أن الطهي أطلق طاقة إضافية ساعدت على تقليص حجم الجهاز الهضمي والفم، والتأثير على قوة الفك وشكل الأسنان وزيادة نمو الدماغ خلال آلاف السنين، حيث لاحظ الإنسان البدائي أن الطعام المعرض للنار له طعم أفضل، وكذلك لدى تذوق لحوم الحيوانات التي شويت نتيجة حرائق الغابات، كما أنَّها جمعت حولها الأفراد الساعين إلى الدفء في الظروف الباردة، والساعين إلى النور في الليالي المظلمة. يبدو أنّ لانفجار البراكين أو صعقات البرق أو الاشتعال الذاتي للمواد العضوية والغازات، أو النفط المندفع من تحت قشرة الأرض، دفع بالإنسان إلى الاعتقاد بكون النار هي نتيجة لقوة خفية عظيمة تم تفسيرها على شكل ميثولوجيا، خاصة بعد أن ساعدت النار كونها مصدراً للحرارة والضوء على التأقلم أكثر مع الظلام، وارتبط بالذاكرة الإنسانية في كونه مصدراً يبعث على الأمان والتفاؤل، والدمار أحياناً لذلك تقدسه معظم الشعوب، إلى جانب أهميته في المصنوعات الفخارية (الآجر) والسبائك المعدنية وصناعة الأدوات المعدنية، ولا يخفى آثارها المدمرة في حال تم فقدان السيطرة عليها.

لقد كانت النار ذات أهمية كبيرة في المجتمع الكردي الجبلي الذي يشهد سنوياً شتاءً طويلاً وبرداً قارساً، حيث هناك حاجة دائمة للحرارة والنور والدفاع عن النفس، وفي اللغة الكردية اسم آر AR تعني النار وآري Arî تعني الرماد الناتج عن النار، حيث اشتقت منها أسماء بعض المدن القديمة كـ أور Ur وسميت بذلك لكثرة هياكل النار فيها([166]) وتحولت إلى رمز يشير إلى المدن، في حين تشير مصادر أخرى بإنَّ كلمة اور تعني في السومرية المدينة، وقد احتفظ الكرد بهذه الكلمة حيث أدخلوها في تركيب اسماء مدنهم وقراهم كـ اورمية , اورفه, اورمه, اوره ماري

---

164 د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص192.

165 أرثر كريستنسن؛ إيران في عهد الساسانيين؛ ترجمة: يحيى الخشاب؛ الناشر: درا النهضة العربية للطباعة والنشر؛ بيروت؛ بلا رقم طبعة؛ ص19.

166 للمزيد راجع: جميل نخلة المدور؛ تاريخ بابل وآشور؛ الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر- القاهرة؛ بلا رقم طبعة؛ ص28.

وغيرها؛ وقد اعتبر زرادشت النار المقدسة رمزاً للعدالة وشعاراً للكفاح ضد قوى الشر([167]) وتزخر الأفستا بالكثير عن النار المقدسة.

كان الإغريق يطلقون على النفط اسم الزيت الميدي([168])، وقد اشتهر الجيش الميدي بالسلاح الذي كان يعرف بالنار الميدية([169]) والتي حورت تسميتها لاحقاً إلى النار الإغريقية، حيث كانوا يدهنون رؤوس سهامهم بالنفط (الزيت الميدي) وقد كان السهم يشعل النار في الهدف الذي يصيبه؛ ويبدو أنها كانت سبباً في القوة العسكرية الميدية التي هزمت جيش الملك الآشوري بعد أن أمطرت تحصينات الملوك الآشوريين بوابل من النيران.

ولعل تقديس الكرد للنار كان نتيجة لأفكار بقيت معهم منذ العصر النيوليثي، ففي مطلع الألف السادس قبل الميلاد ازدهرت القرى الزراعية في سفوح جبال طوروس، فمثلاً كان الدفن يتم بالقرب من مواقد النار الكبيرة([170]) حيث يعتبر الكرد مواقد النار شيئاً مباركاً([171]) وكذلك قيام عدد من الثوار الكرد بإشعال النار في أبدانهم كدلالة رمزية على الثورة ضد الاستعباد؛ ولايزال الكرد يقدسون النار حيث يقومون بإشعالها في اليوم الذي يسبق عيد النَوروز، ويحرصون على بقائها مشتعلة قدر الإمكان.

نستنتج مما سبق ومن خلال الشرح العام لعناصر الأسطورة بأنَّ عيد النوروز ليس عيداً طقسياً بل يُعبّر عن ثورة الشعب الكردي وثقافته، والذي سكن كردستان القديمة منذ آلاف السنين وقاوم جميع الجبابرة والمحتلين، وكذلك مقاومة العقيدة التي كانت ولا تزال ترسخ العبودية، وقد حافظ الشعب الكردي على كيانه وثقافته، مع إصراره على نيل حريته مهما كان الثمن، فهو لا يسعى إلى سلطة ترسخ العبودية والسلطوية على الكرد أو على الأقوام الأخرى، بل يتقبل العيش مع كل من يريد معه السلام، وعلى الرغم من تعدد معتقدات الكرد واختلاف توجهاتهم السياسية والاقتصادية إلا أنهم يحرصون على إيقاد شعلة النوروز، ويؤمنون بمشاعر مشتركة، لذا فهي الرابط المعنوي الأقوى الذي يمكن يجمع الكرد في عموم كردستان والعالم.

النوروز في العصر الحديث.

النوروز في التراث الثقافي الشرقي.

إنّ ظاهرة الاعتدال الربيعي نالت بالتأكيد اهتمام معظم شعوب العالم حتى أن بعضها احتفلت به كعيد فصلي أو موسمي وصبغته بهالة ميثولوجية مقدسة، فمثلاً أطلق السومريون عليه -Zag mug التي تعني بالسومرية الميلاد- أو الولادة- ولا تزال دارجة في اللغة الكردية([172]). لقد أصبح

---

[167] توما بوا؛ الكُرد؛ ترجمة صلاح عرفان؛ الناشر: مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)/ السليمانية- إقليم كردستان؛ 2010م؛ ص112.

[168] نفس المرجع السابق، ص198.

[169] نفس المرجع السابق؛ ص28.

[170] مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر؛ ص21.

[171] توما بوا؛ الكُرد؛ ترجمة صلاح عرفان؛ الناشر: مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)/ السليمانية- إقليم كردستان؛ 2010م؛ ص133.

[172] د. مهدي كاكه يي؛ إمتداد عيد نوروز في أعماق التاريخ الكوردي؛ موقع الحوار المتمدن/ العدد:4750؛ 2015-3-16م/؛ الرابط:

عيد النوروز يحتل مكانة مرموقة في العالم الشرقي، حيث يحتفل به عشرات الشعوب القاطنة في الجغرافيا الممتدة من حدود الصين إلى نهر النيل، كلٌ وفق ثقافته وروايته، ويبقى النوروز الكردي الوحيد الذي يشير إلى الثورة على الظلم ونشوء الشعب الكردي، ويلقى القمع من قبل الأنظمة الاستبدادية كونه تعبير عن الثورة الشعبية ضد العبودية، وليست عيداً موسمياً يحتفل به كناية عن ذوبان الثلوج وبداية الربيع كما يُرَوّج له البعض.

نظراً لأهمية النوروز في التراث الثقافي الشرقي فقد أقرَت الجمعية العامة للأمُم المُتحِدة مشروع القرار رقم 64 الذي قُدم في الدورة الرابعة والستين البند 49 من جدول الأعمال- ثقافة السلام([173]) - في بداية العام 2010 من قِبل كلٍ من الدول التالية: أذربيجان، أفغانستان، إيران (الجمهورية الإسلامية)، تركمانستان، تركيا، طاجيكستان، قيرغيزستان، كازاخستان، حيث طالبت هذه الدول بإعلان يوم 21 آذار\مارس اليوم الدولي للنَوروز واعتبار النَوروز عيداً وطنياً لهذه الدول، وقد أشارَ مشروع القرار إلى إنَ ما يزيد على 300 مليون شخص في جميع أنحاء العالم يحتفلون بالنَوروز، وهو يوم الاعتدال الربيعي، باعتباره بداية العام الجديد، وأنه يُحتفل به منذ أكثر من 3000 سنة في آسيا الوسطى والبلقان وحوض البحر الأسود والشرق الأوسط والقوقاز وغيرها من المناطق، وبالتالي تم الإقرار باعتبار يوم 21 آذار هو يوم النوروز العالمي والذي يتساوى فيه الليل والنهار وبداية السنة الجديدة لجميع الشعوبْ المختلفة.

وفي جلسة في شباط 2010 ميلادي قررت اليونسكو إدراج عيد النَوروز في القائمة النموذجية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، كما اعترفت بيوم 21 آذار بوصفه يوم النَوروز الدولي([174]).

تحتفل كل دولة بعيد النَوروز على طريقتها وبحسب الرواية الخاصة بها التي تستند عليها بكون النَوروز عيداً قومياً لها، فمثلاً الأتراك يعتبرون يوم النَوروز هو اليوم الذي تحرر فيه الأتراك من وادي أريغينكون ذلك السجن الطبيعي الذي حبس الاتراك فيه لعدة عقود حيث تُروى الأسطورة بأنه عندما انهزم الشعب التركي على يد أعدائه أضطَر إلى النزوح إلى الجبال، وقد ضلَ طريقه ضمن السلاسل الجبلية وأضطَر إلى الاستيطان في وادي أسموه أريغينكون، وبقي هذا الشعب أسيراً في ذلك الوادي إلى أن أرشدهم ذئب أو قطيع من الذئاب إلى حاجز معدني يفصلهم عن العالم الخارجي، وبعد أن قاموا بإذابة ذلك الحاجز من خلال إضرام نارٍ كبيرةٍ فيه تحرروا من ذلك الوادي وعادوا إلى التاريخ من جديد، وقد صادف ذلك اليوم فترة الاعتدال الربيعي لذلك جعلوهُ عيداً يحتفلون به([175]).

رغم ذلك فأن مؤسس الدولة القومية التركية العلمانية الحديثة مصطفى كمال أتاتورك لم يحتفل به رسمياً، بل اعتبر الكرد أتراك الجبال، وقامت الحكومات التركية المتلاحقة بقمع الاحتفالات

---

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=459689

[173] الدورة الرابعة والستون البند 49 من جدول أعمال الجمعية العامة للمم المتحدة - ثقافة السلام.

[174] نوروز؛ ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة.

[175] Prof. Dr. Necati DEMİR; TÜRKLÜĞÜN EN ESKİ BAYRAMI NEVRUZ VE TARİHÎ ALT YAPISI ; بدون ناشر ورقم طبعة; Link: http://www.necatidemir.net/images/demir/bkosem/nevruz.pdf

الكردية بالنّوروز الكردي باتباع العنف المفرط استخدم فيه الرصاص الحي إلى جانب الاعتقالات التعسفية والاغتيالات، وقد قُرِرَ الاحتفال بهذا العيد من قبل حكومة حزب العدالة والتنمية الإسلامية بقيادة أردوغان في عام 2005 في محاولة تبدو كإرضاء للاتحاد الأوربي، وكنوع من الرضوخ النسبي للضغط الشعبي الكردي أو لكسب أصواتٍ في الانتخابات، وتم الترويج لهذه الأسطورة من قبل بعض المثقفين الأتراك لتبرير الاحتفال بهذا العيد(**176**)، علماً أنه لا يوجد دليل ثقافي يثبت علاقة تلك الأسطورة بعيد النوروز، ولا علاقة لها بالتراث الثقافي للمنطقة.

أما الفرس فيعتبرون عيد النوروز هو عيد رأس السنة الفارسية، ويصادف يوم الاعتدال الربيعي أي الحادي والعشرين من آذار/مارس في التقويم الميلادي، ونوروز هو أول يوم في شهر فروردين بالسنة الشمسية الإيرانية، والذي يتزامن مع بداية فصل الربيع، وتعني في كل من اللغتين الكردية والفارسية اليوم الجديد. ويعتبر من أكبر الأعياد القومية الفارسية ويُحتفل به في إيران ولكن بصبغة فارسية، وقد ذكر الفردوسي أبو القاسم منصور في كتابه (الشاه نامة) قصة عيد النوروز بالشكل التالي "يُروى أن الملك الفارسي (جم) كان يسير في العالم، وحين وصل إلى أذربيجان أمر بتنصيب عرشٍ لنفسه وما إن جلس عليه أشرقت الشمس وسطعَ نورها على تاج وعرش الملك فابتهج الناس، وقالوا: هذا يومٌ جديد، ولأنّ الشعاع يقال له في اللغة البهلويّة (شيد) أضيفت الكلمة إلى اسم الملك فأصبح جمشيد، وقيل بأنه لهذا السبب يتم الاحتفال بهذا اليوم، وفي رواية أخرى تزعم بأن الملك جمشيد استطاع إنقاذ الجنس البشري من فصل الشتاء الذي كان مقدراً له أن يقتل كل الكائنات الحية، وقد قام جمشيد بتشييد عرش مرصع بالألماس، ثم رفعه الجن إلى السماء، وهناك جلس على عرشه كالشمس في السماء، فتجمعت جميع المخلوقات حوله، فسمي هذا اليوم نوروز".([177]) حيث نلاحظ عدم توافق ذلك مع عناصر أسطورة كاوى الحداد الكردية. وهناك من يُحرّف موضوع الأسطورة بالاستناد إلى نص فارسي للأسطورة يعتبر الضحاك ما هو إلا آخر ملوك الميديين، والذي كان يسمى أستياك ابن كيخسرو، وبأن كاوى ما هو إلا كورش مؤسس الدولة الفارسية وأبن القائد الفارسي قَمبيز الأول وماندانا ابنة أستياك(**178**)، علماً أنّ هناك اختلاف كبير في الصفات الشخصية بينهما، خصوصاً أن كورش قد تربى على يد راعٍ فقير وانتصاره على الميديين كان بعد خيانة القائد الميدي هارپاك، كما أنَّ أستياك لم يكن يؤله نفسه ويبيح قتل الشبان، ولم يقتل في قصره بل تم أسره. وتشير روايات فارسية أخرى إلى تحالف فريدون مع كاوى حيث يقوم الأخير بقتل الضحاك وتسليم الحكم إلى فريدون، إلا أنّ هذه الروايات تبدو متأثرة بتحالف الملك الميدي كيخسرو والملك البابلي والثورة على الملك الآشوري، فكاوى قتل الضحاك وسلم الحكم لفريدون بحسب هذه الروايات وكذلك كيخسرو قتل الملك الآشوري وسلم الإرث الآشوري إلى البابليين.

---

[176] ولاء خضير؛ عيد النيروز لدى الأكراد.. رمزٌ للانتصار والخلاص وإقبال الربيع؛ نشر بتاريخ 21 مارس 2016؛ الناشر: موقع ترك برس؛ الرابط:
https://www.turkpress.co/node/19845

[177] نوروز؛ ويكيبيديا/ الموسوعة الحرة.

178 د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛ ص80.

وفي عهد الملك كورش الكبير حفيد الملك الميدي أستياك من طرف أمه، تم السماح باستمرار الاحتفال بعيد النوروز كعيد وطني في عام 538 قبل الميلاد ولُقِبَ بملك ميديا وفارس، وفي عهد الملك داريوس الأول تم الاحتفال بالعيد في برس بوليس العاصمة الفارسية آنذاك مع إضفاء صبغة فارسية عليها([179])، وعلى الرغم من الروابط التاريخية والثقافية القوية بين الكرد والفرس إلا أنَّ بعض الشوفينيين من الفرس يصرّون على الطابع العنصري لثقافتهم وإنكار الثقافة الكردية على الرغم من أن أسلاف الشعب الكردي كانوا موجودين في كردستان القديمة قبل مجيئ الفرس بآلاف السنين، حيث تشير النصوص المسمارية للملوك الآشوريين إلى بداية وجود القبائل الفارسية في المنطقة حوالي القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد.

كما ويشير الباحث (صلوات كولياموف)([180]) إلى إنَّ اليهود الذين تم سبيهم إلى بابل وآشور ونينوى اقتبسوا عيد بيرم من العيد الكردي الميدي النَوروز. وللشعوب الأخرى روايات مشابهة وعلى أساسها يتم الاحتفال بالنَوروز، نستنتج من ذلك بأن أغلب الشعوب التي تحتفل بها اعتبرتها بداية عام جديد لها.

يبدو أن بعض الكرد امتنعوا في بعض الفترات الزمنية الطويلة نسبياً عن الاحتفال بعيد النوروز وإحياء طقوسه، وأسباب ذلك كثيرة فمثلاً فرض على السكان تقديم الهدايا والضرائب للملوك والخلفاء مقابل السماح بإحياء عيد النوروز خاصة بعد اعتماده كعيد رسمي من قبل الإمبراطوريات الفارسية الأخمينية (331-559 ق.م) والأشكانية (226-250 ق.م) والساسانية (226 ق.م-640م) وتحويله إلى عيد فارسي، وهي عادة استمرت في زمن خلفاء الدولتين الأموية والعباسية بعد عجزهما عن منع الاحتفال بهذا العيد، حيث أصبح للنوروز ضريبته الخاصة به وتحول إلى مصدر آخر للثروة([181]) للمتسلطين؛ يضاف إلى ذلك تحريمه من قبل بعض رجال الدين الإسلامي ويبدو أن هذا الأمر قد نال آذاناً صاغية من قبل بعض الكرد؛ على الرغم من ذلك استمر النوروز الكردي بالحياة ولا يزال معظم الكرد متمسكين به ويحتفلون به على طريقتهم، فقد أشار الضابط الإنكليزي موريير([182]) في القرن التاسع عشر في عام 1812 م إلى احتفال الكرد في جبل هماوند بذكرى التحرر من الملك- التنين أژدهاك؛ وعلى الرغم من عدم العثور على آثار مادية حتى هذه اللحظة توثق النوروز وأسطورتها إلا أن العادات والمشاعر والطقوس والرموز التي يبلغ عمرها آلاف السنين لها الكثير من المعاني وتشكل مؤشرات قوية تفرض نفسها بقوة كحقيقة دامغة، فهو جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي الكردي، ومن المفيد أن تقوم النخب السياسية والثقافية الكردية بحملة تعريف عالمية بحقيقة النَوروز الكردي، والسعي إلى استصدار قرار دولي يقرّه كعيد وطني وقومي للشعب الكردي، ويؤكد على أصالة الشعب الكردي في المحافل والهيئات الدولية الثقافية

---

179 نفس المرجع السابق.

180 صلوات كَوليامو؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ص292.

181 أ. د. فرست مرعي؛ نوروز في الحضارة الإسلامية؛ تاريخ النشر: 4 يوليو 2019؛ موقع مجلة الحوار- الرابط: http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2019/07/blog-post_48.html

182 صلوات كَوليامو؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛ ص325.

والسياسية، وبشكل يفند الافتراءات المقدمة من قبل المثقفين الشوفينيين والعنصريين الذين وفد أسلافهم من مناطق بعيدة جداً إلى المنطقة، بكون الشعب الكردي شعب مهاجر لا ينتمي إلى المنطقة بأي صلة، حيث يلخص الباحث (أرشاك سافراستيان)([183]) أوضاع الكرد في العصر الحديث كالتالي"...لا توجد في النصف القديم من الكرة الأرضية، سلالة بشرية ظلمت باستمرار، وأسيء فهمها كالشعب الكردي. ومنذ فجر التاريخ ربما لا يوجد شعب في العالم يسكن منطقة جغرافية محددة، كان ضحية النوايا السيئة على الدوام مثل الشعب الكردي...".

النَوروز الكُردي في العصر الحالي.

إنَّ كثرة المآسي التي تعرض الكرد لها في شهر آذار لا يعني أنَّه شهر شؤم للكرد، حيث يجب أن نميز بأن 21 آذار هو بداية أول يوم في أول شهر للسنة الكردية، والأحداث التي وقعت قبل هذا التاريخ، قد وقعت في نهاية السنة الكردية، فهناك خطأ شائع بين عامة الكرد من خلال اعتبار شهر آذار هو شهر النُوروز وأول أشهر السنة الكردية، بالنسبة للتقويم الميلادي يبدأ من 21 آذار وينتهي في 22 نيسان([184]) إذا افترضنا أنَّ الشهر الكردي يتكون من ثلاثين يوماً. وقد اعتمدنا تسمية شهر نَوروز لما له أثر في ثقافة الكرد وثوراتهم.

يعتبر هذا شهر شهراً مباركاً لدى الكرد، حيث يتفاءلون كثيراً فيه ويؤجلون أمورهم المهمة إلى موعده، ففيه انتصر القائد الكردي كياخسار على الإمبراطورية الآشورية عام 612 ق.م ويعد اليوم الذي اختار فيه الكاتب الكردي أحمدي خاني موعد اللقاء الأول بين (مم وزين) في ملحمة العشق الكردية الشهيرة (مم وزين)؛ وقد كان مقرراً أن يعلن الشيخ سعيد بيران ثورته الكبرى في نوروز عام 1925م، وكذلك الاعلان الرسمي عن مفاوضات السلام بين الحكومة التركية وحركة التحرر الكردية قد تمت في نوروز عام 2013م الذي حظي بدعم وموافقة الملايين من الكرد وقد تنكر لها نظام أردوغان لاحقاً، وكذلك في نوروز 2019م تم إعلان الانتصار على تنظيم داعش الإجرامي الذي وصف كـ أزدهاك العصر بعد أن تسبب بمجازر وانتهاكات فظيعة بحق الشعب الكردي من قطع الرؤوس والتعذيب وسبي النساء وتدمير المنازل وتهجير السكان.

ورغم ذلك فإنَّ شهر نوروز شهد بعض الأحداث المأساوية للكرد، وقد يكون ذلك بشكل مقصود من قبل أعدائهم بغاية قتل الروح الثورية لديهم، حيث يتذكر الكرد بكل أسى اعدام رئيس أول جمهورية كردية في العصر الحديث من قبل نظام الشاه في 31 آذار 1947م، وكذلك الهجرة المليونية للكرد من جنوب كردستان بسبب الهجمات الوحشية من قبل النظام العراقي السابق على المدنيين الكرد في 31 آذار لعام 1991م، وكذلك المرحلة الثانية([185]) من حملة الأنفال الدموية التي بدأت من 22 آذار إلى 30 آذار سنة 1988م؛ وفي شمال كردستان فقد أكثر من 90 محتفلاً كردياً لحياتهم على يد الحكومة التركية خلال احتفالات نوروز عام 1992 وهناك الكثير من

[183] أرشاك سافراستيان؛ الكرد وكردستان؛ ترجمة: د. أحمد محمود الخليل؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: دار سردم-السليمانية/ إقليم كردستان؛ ص25.

[184] كل شهر من الأشهر الستة الأولى في السنة الكردية تتكون من 31 يوم، والأشهر الستة المتبقية من 30 يوم، عدا شهر شباط الذي يتكون من 29 يوم.

[185] عمليات الأنفال؛ موسوعة المعرفة.

الأحداث الأخرى، ويبدو أن الكرد لن ينسوا تحطيم تمثال كاوى الحداد في عفرين المحتلة بعد اجتياحها من قبل جيش الاحتلال التركي ومرتزقته في شهر آذار من عام 2018م.

مراسم الاحتفال بالنَوروز الكردي في العصر الحديث.

ضاعت الكثير من الشعائر والطقوس الخاصة بعيد النوروز مع الزمن بسبب خضوع المجتمعات الكردية لتسلط عدد من الثقافات والأيديولوجيات، الدينية والقومية، وأصبح الاحتفال بالنسبة للكثيرين أشبه ما يكون بنزهة عائلية في الطبيعة، قد يكون للانقسامات الأيديولوجية في الحركة السياسية الكردية دور ما في تسهيل عملية الإبادة الثقافية التي تشن على الكرد، على الرغم من ذلك يحاول الكثير من الوطنيين التمسك بما تبقى من العادات الخاصة بالعيد التي لا تزال محفوظة في الذاكرة الجمعية الكردية، وقد لا يدري الكثيرون بأنّ التحضير لإحياء الاحتفال بالعيد يتم بإتباع سلوكيات تحاكي الأحداث التي وقعت في اسطورة كاوى الحداد تقريباً وهي عادة متوارثة لدى الكثير من المجتمعات الكردية؛ حيث يُلاحظ أن التحضير للعيد أشبه ما يكون تحضيراً لثورة وكأنه يتم تكرار ثورة كاوى، وقد يكون هذا سبباً في خشية الأنظمة الاستبدادية التي تضطهد الكرد من هذا العيد، فكانوا يحاولون جاهدين منع الاحتفال به أو على الأقل تحجيمه وتحريفه، فمثلاً في روجآفا يمكن ملاحظة تأثير النزعة التحزبية على مراسم الاحتفال بالعيد، فكل حزب أو تكتل أحزاب يعمل على جمع أنصاره في منطقة محددة ويحاول صهر المشاعر المتأججة في العيد في إطار تنظيمه بينما يتركز نشاط أتباعه المحتفلين على شوي اللحوم وتناول أفضل المشروبات وارتداء الملابس الكردية البراقة وإظهار المرأة الكردية كفتاة ناعمة ورومانسية وضعيفة الإرادة، ويحاول البعض الآخر تحويله إلى مصدر للربح التجاري، وهذا ما يتعارض مع جوهر العيد الذي يعد بمثابة ثورة للمجتمع على الظلم خاصة أن العديد من المجتمعات الكردية لاتزال تعاني من الظلم والاستبداد والحصار والتهجير وتتعرض لعمليات إبادة ممنهجة لذلك من المفروض أن يلامس طريقة الاحتفال بالعيد مشاعر جميع الكرد بإبراز نزعة التمرد الثورية التي يمتازون بها على مر العصور والتضامن مع الأشقاء في أجزاء كردستان الأخرى، فالحفاظ على القيم المعنوية للعيد يعد جزء من مقاومة الإبادة الثقافية التي يتعرض لها الكرد ككل واستمرارهم في الحياة ككرد، وما يمنح بارقة أمل في هذا المسعى هو استمرار تمسك الكرد بالعيد على الرغم من الاختلاف في كيفية إحيائه وبذل محاولات لتكفير المحتفلين به من قبل بعض كهنة الأنظمة الاستبدادية.

بشكل عام يمكن إيجاز طريقة استقبال الكرد للعيد بالشكل التالي على الرغم من أن الكثيرين قد لا يدركون المغزى المعنوي التاريخي منها، ففي اليوم الذي يسبق العيد والذي يعتبر آخر يوم في السنة الكردية يتفرغ الكرد له، ويؤجلون أعمالهم ويتم إشعال النيران، حيث يفضل الكرد إشعالها على المرتفعات في حال توافرها، ويتجمعون بمختلف أعمارهم حولها بشكلٍ عفوي وأحياناً يقفزون فوقها كنوع من التطهر أو الانبعاث من النار نظراً لقدسية النار في الثقافة الكردية القديمة، وكأنه تكرار للنار التي أشعلها كاوى معلناً بداية الثورة، حيث يتبادل المحتفلون المشاعر القومية من خلال ارتداء اللباس الكردي الشعبي وترديد الأناشيد والأغاني القومية، وفي بعض المناطق كشمال كردستان يتم استذكار كاوى الحداد وشهداء الشعب الكردي في الجهات الأربعة لكردستان، ويقاومون كل من يحاول إطفاء النار مع الحرص على إبقائها مشتعلة، وقد تعرض الكثير منهم

للاعتقال أو فقد حياته نتيجة لمقاومتهم للأنظمة التي حاولت إطفاء النيران، وفي المساء تقوم الأسر بتجهيز أنفسها للاحتفال بالعيد من خلال تجهيز الخيم التي ستنصب في الريف وهي سمة مميزة في روجآفا، وتحضير المأكولات المتنوعة والتي تكفي ليوم كامل، وفي يوم العيد تماماً في الصباح الباكر يبدؤون بالتوجه إلى الريف والطبيعة، ويتبادلون التبريكات الخاصة بهذا العيد **Newroza** **we pîroz be** ومعناه نَوروزكم مبارك، وفي هذا اليوم يشعر الكردي بمشاعر ثورية وقومية عالية، ويُلاحظ في هذا اليوم بالذات على خلاف الأيام الأخرى شجاعته وبسالته الزائدة وغير العادية في مقاومة الأجهزة الأمنية المعادية له، والتي لا تتوانى بالتهجم عليه، حيث استشهد الكثيرون على يد تلك السلطات الأمنية القمعية سواء بمواجهتهم للرصاص الحي أو التعرض للدهس من قبل المصفحات العسكرية، كما حدث في نوروز نصيبين([186]) في شمال كردستان في 21 آذار عام 1992م، وفي نَوروز قامشلو عام 2008م استشهد عددٌ من الشبان الكرد وهناك عشرات الحوادث الأخرى، وقد تميز العصر الحديث بازدياد الوعي الثقافي الكردي، حيث ألقى المثقفون الكرد على عاتقهم التحضير للعيد، من خلال إعداد مكان للتجمع ومن ثم التحضير للاحتفال على شكل مهرجان يلقى من خلاله خطابات ثورية، إلى جانب تنظيم مسرحيات وإلقاء أشعار وأغانٍ قومية كردية، وتقديم عروض للفلكلور الكردي كتعبير عن المعاني السامية للنَوروز واستذكار الأجداد، إلا أنها تبدو غير كافية لخلق مشاعر ثورية لدى معظم المحتفلين حيث حالة التشرذم السياسي بسبب النزعة التحزبية التي تحاول احتكار العيد لفئة سياسية معينة أو حصرها في قالب ثقافي تاريخي وفصله عن الواقع المرير الذي يعيشه معظم الكرد. جرت محاولات لتجاوز هذه الرتابة وإعادة إحياء القيم المعنوية للعيد كثورة ضد الظلم والحاجة إلى انتصار مماثل لانتصار كاوا لولادة الشعب الكردي مجدداً محرراً من قيود الاستبداد وهذا ما تم ويتم بشكل خاص في شمال كردستان من قبل حركة حرية كردستان حيث تم تحويل الاحتفال بالعيد إلى انتفاضات شعبية ضد استبداد السلطات التركية وكثيراً ما قام كوادر الحركة بإشعال النيران في أجسادهم في اليوم الذي يسبق العيد ويشكل مظلوم دوغان رمزية خاصة لهذه التضحية في مخيلة الكرد، إلى جانب اتخاذ الحركة لاستراتيجية توحيد الصف الكردي عبر إقامة المؤتمر القومي الكردي KNK كوسيلة لخلاص الكرد من الظلم وقد كان لخطاب القائد الكردي أوجلان في نوروز عام 2013م في شمال كردستان لإطلاق عملية حوار مع النظام التركي صدى إيجابي واسع لدى الشعب الكردي والحركة السياسية في عموم كردستان، كونها تعد محاكاة للأفكار الثورية الكردية القديمة، وتذكير الشعب الكردي المظلوم بـ كاوى الحداد وإيقاظ المشاعر الثورية ضد القهر والاستبداد، ما من شأنه أن يرفع الهمم والمعنويات، وقد تكون لهذه البراديغما دوراً معيناً في استمرار المسار الثوري لدى شريحة واسعة من الكرد والحفاظ على عقيدة قتال نشطة لهذه الحركة لمدة تزيد عن أربعين عاماً مقارنة بالثورات الكردية السابقة حيث يشكل الانتصار على تنظيم داعش مثالاً لفعالية هذه الذهنية في تاريخنا المعاصر.

[186]Sedat Sûr; Şahidên komkujiya Nisêbînê: Ji Çemê Çax Çax xwîn diherikî; 20/3/2015; ANFnews; Link:
https://anfkurdi.com/kurdistan/sahiden-komkujiya-nisebine-ji-ceme-cax-cax-xwin-diheriki-37389

يجسد العيد واسطورته قصة نشوء الشعب الكردي وتعبيراً عن ثقافة كردستان العريقة وطاقة لاستمراره بالحياة، وعدم إحيائه بإقامة جميع شعائره وطقوسه التي كانت تتم في زمن الأسلاف يعد إجحافاً بحقه أو على الأقل عصرنتها بما يناسب قضية المجتمعات الكردية في عموم جغرافية كردستان والمكرسة لنيل الحقوق المشروعة وتحقيق الإرادة الحرة والإدارة الذاتية للعيش بسلام في الوطن.

هناك بعض المقترحات في سياق تطوير مراسم الاحتفال بالعيد ويحاكي مشاهد الأسطورة كالتجمع بالقرب من تلة أو مكان مرتفع وتقديم عرض مسرحي كبيرٍ خاص بها، يجسد أبطال الأسطورة، ويتم تكراره سنوياً وبشكل أفضل نسبياً من ذي قبل، ومسيرة لحمل شعل النار يردد فيها النشيد القومي الكردي ورفع ما أمكن من صور الشهداء والرموز التاريخية التي تعبر عن حضارات الأجداد من الميديين والهوريين والميتانيين والكوتيين...إلخ، وتنظيم حلقات خاصة بكل من المثقفين والفنانين والرقص الشعبي الكردي، وإقامة معرض للمنحوتات واللوحات الفنية التي تعبر عن أحداث العيد وعن ما يعنيه الكرد في تاريخنا المعاصر، ومسابقات للمطبخ الكردي، وحصر المأكولات بالأكل الكردي، وفرض المصالحات بين المتخاصمين من أبناء المجتمع وتبادل الهدايا الرمزية، وتبادل الزيارات بين أحزاب الحركة السياسية الكردية وتجميد الضغائن بينها أو إنهائها خلال فترة الاحتفال كفرض يتوجب أن يلتزم به الجميع. ويتطلب تحقيق هذا الأمر أو اعتماد أمورٍ أفضل تعاوناً مخلصاً بين النخب الثقافية والسياسية الكردية.

أخيراً.

يجسد النوروز جزءاً مهماً من الجغرافيا الثقافية لكردستان، التي تبدو أنها لا تزال محكومة بالصراع الأزلي في مجازية ثنائية الخير والشر، بين الكرد مخلوقات آهورامزدا والأنظمة الاستبدادية مخلوقات آهريمان، وهذا لسان حال الشعب الكردي في العصر الحديث، فهو احوج ما يكون إلى كاوى الحداد مجدداً ليلم شمله ويوحد صفوفه في سبيل إنقاذه من أزداهاكات هذا العصر، وتتحقق حريته، ولتشتعل النار المقدسة مجدداً لتضيء الظلمة المخيمة على مجتمعات كردستان، ويبدأ النوروز مسجلاً الولادة الجديدة للشعب الكردي. على الرغم من اندلاع العشرات من الثورات الكردية إلا أنها لم تستطع أن تصل إلى تحقيق ما حققته ثورة كاوى الحداد، قد يعود ذلك إلى البراديغما المسيّرة لها والمتعلقة بمعضلة إزالة الحواجز والمصدّات المعنوية بين أطياف الشعب الكردي؛ هذا الأمر يحتم على كل إنسان أن يجسد معاني شخصية كاوى الحداد في ذاته، يفكر بعقله ويشعر بقلبه تجاه الواقع المرير الذي تعيشه معظم المجتمعات الكردستانية، خاصة أنَّ الكرد لا يزالون يسوقون إلى مذابح الأزدهاكات لتحويل عقولهم ودمائهم وعرقهم وأسباب معاناتهم إلى طاقة تضمن استمرار المستبدين بالحياة. من ناحية أخرى يجب الحفاظ على الإرث الميدي في العلاقات مع الشعوب المجاورة حيث يشكل العقد الاجتماعي للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا نموذجاً معبراً عن هذا الأمر ويتطلب الأمر زيادة وتيرة الدبلوماسية المجتمعية فالغزاة يتربصون للنيل من المجتمعات المحلية عبر خلق الفتن وتزوير الحقائق وتأجيج التطرف المكرس في سبيل التسلط الذي يشكل تنظيم داعش نموذجاً له.

قائمة المراجع والمصادر.

الباحثون الغربيون:

1. جرنوت فيلهلم؛ الحوريون/ تاريخهم وحضارتهم؛ ترجمة: د. فاروق إسماعيل؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار جدل- حلب؛
2. ب.ليرخ؛ دراسات حول الاكراد وأسلافهم الخاليين الشماليين؛ ترجمة: د.عبدي حاجي؛ الطبعة الولى 1994؛ الناشر: مكتبة خاني- حلب؛
3. توما بوا؛ الكُرد؛ ترجمة: صلاح عرفان؛ الناشر: مركز الدراسات الكردية (كوردولوجي)- السليمانية/ 2010؛ بلا رقم طبعة؛
4. أرشاك سافراستيان؛ الكرد وكردستان؛ ترجمة: د. أحمد محمود الخليل؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: دار سردم- السليمانية/ إقليم كردستان.
5. أرثر كريستنسن؛ إيران في عهد الساسانيين؛ ترجمة: يحيى الخشاب؛ الناشر: درا النهضة العربية للطباعة والنشر؛ بيروت؛ بلا رقم طبعة؛
6. سبتينو موسكاني؛ الحضارات السامية القديمة؛ ترجمه د. السيد يعقوب بكر؛ الناشر: دار الرِّقي- بيروت- 1986؛ بلا رقم طبعة.
7. ويل ديورانت؛ قصة الحضارة/ الشرق الأدنى؛ ترجمة: محمد بدران؛ الجزء الثاني من المجلد الأول 1988م؛ الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع- بيروت؛
8. مجموعة من المؤرخين بإشراف موريس كروزيه (مفتش المعارف العام في فرنسا)؛ موسوعة تاريخ الحضارات العام؛ ترجمة: يوسق أسعد داغر وأحمد عويدات؛ المجلد الأول- الطبعة الثانية 1986؛ الناشر: دار منشورات عويدات؛ بيروت- باريس؛
9. مارغريت روتّن؛ تاريخ بابل؛ ترجمة زينة عازار وميشال ابي فاضل؛ الطبعة الثانية 1994؛ الناشر: دار منشورات عويدات- بيروت- باريس؛
10. ميرسيا إلياد؛ تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية/ الجزء الثاني؛ ترجمة: عبد الهادي عباس؛ الطبعة الأولى 1987/1986؛ الناشر: دار دمشق- دمشق؛
11. شارلوت سيمور- سميث؛ موسوعة علم الإنسان/ المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية؛ ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري؛ الطبعة الثانية 2009م؛ الناشر: المركز القومي للترجمة- القاهرة؛
12. سيغموند فرويد؛ الطوطم والتابو؛ ترجمة: بو علي ياسين؛ الطبعة الأولى 1983؛ الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية؛
13. غوستاف لوبون؛ سيكولوجية الجماهير؛ ترجمة: هاشم صالح؛ الطبعة الأولى 1991؛ الناشر: دار الساقي- بيروت؛
14. رولان بارط؛ درس السيميولوجيا؛ ترجمة: ع. بنعبد العالي؛ دار توبقال للنشر؛ المغرب؛ الطبعة الثالثة 1993.
15. تاريخ هيرودوت؛ ترجمة عبد الإله الملاح؛ بلا رقم طبعة؛ الناشر: المجمع الثقافي- أبو ظبي 2001م

16.G. MASPERO; HISTORY OF EGYPT CHALDEA, SYRIA, BABYLONIA, AND ASSYRIA; THE GROLIER SOCIETY PUBLISHERS; LONDON; Release Date: December 16, 2005; Link:

https://www.gutenberg.org/files/17326/17326-h/17326-h.htm

17. Ferdinand Hennerbichler; The Origin of Kurds; Szellörózsa ut 45, Mosonmagyaróvár, Hungary; 2012; Scientific Research; Link:

https://www.researchgate.net/publication/265947486_The_Origin_of_Kurds

الباحثون الشرقيون:

1. د. خليل عبد الرحمن؛ أفستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية؛ الطبعة الثانية 2008؛ الناشر: روافد للثقافة الفنون- دمشق؛
2. محمد أمين زكي بك؛ خلاصة تأريخ الكرد وكردستان/ من أقدم العصور التأريخية إلى الآن؛ ترجمة: محمد علي عوني؛ الطبعة الثانية- 2005؛ الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد؛
3. د. أحمد محمود الخليل؛ مملكة ميديا؛ الطبعة الأولى- 2011م؛ الناشر: مؤسسة موكريانى للبحوث والنشر؛ أربيل؛
4. د. أحمد محمود الخليل؛ تاريخ مملكة ميتاني الحورية؛ الطبعة الأولى 2013؛ دار موكريانى للبحوث والنشر- اربيل؛
5. د. فرست مرعي؛ كردستان في القرن السابع الميلادي؛ الناشر: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية؛ السليمانية 2006؛ بلا رقم طبعة؛
6. جمال رشيد أحمد؛ لقاء الأسلاف/ الكرد واللان في بلاد الباب وشروان؛ الطبعة الأولى 1994؛ الناشر: رياض الريّس للكتب والنشر- لندن؛
7. حسن كاكي؛ الإمبراطورية الميدية الكردية/ البداية والنهاية؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛
8. د. نعيم فرح؛ موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم/ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي؛ الناشر: دار الفكر؛ بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛
9. نبيل زكي ؛ الأكراد/ الأساطير والثورات والحروب؛ الناشر: مطبوعات كتاب اليوم 1991؛ بلا رقم طبعة؛
10. رافدة عبدالله عبد الصمد القره داغي؛ كردستان العراق في التاريخ القديم في ضوء المصادر المسمارية من الألف الثالث ق.م حتى 612ق.م – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التأريخ القديم من جامعة السليمانية، كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ-2008؛
11. د. حسين قاسم العزيز؛ دراسات عن بعض الأصول الكردية؛ دار اراس للطباعة والنشر؛ أربيل- كردستان العراق؛ الطبعة الأولى 2012؛
12. د. كاظم حبيب؛ الإيزيدية/ ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمن!؛ الطبعة الأولى 2003؛ الناشر: دار ئاراس للطباعة والنشر؛ أربيل- كردستان العراق؛

13. مرشد اليوسف؛ دوموزي (طاووسي ملك)/ بحث في جذور الديانة الكردية القديمة؛ الطبعة الأولى 1999؛ بدون ناشر؛
14. د. أسامة عدنان يحيى؛ تاريخ الشرق الأدنى القديم/ دراسات وأبحاث؛ الطبعة الأولى 2015؛ الناشر: اشور بانيبال للكتاب- بغداد؛
15. د. حسن كريم الجاف؛ موسوعة تاريخ إيران السياسي/ من التاريخ الاسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية؛ المجلد الأول 2008؛ الناشر: الدار العربية للموسوعات- بيروت؛
16. حسن بيرنيا؛ تاريخ إيران القديم/ من البداية حتى نهاية العهد الساساني؛ ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي؛ الطبعة الأولى 2013؛ الناشر: المركز القومي للترجمة- القاهرة؛
17. د. عمار عباس محمود؛ القضية الكردية/ إشكالية بناء الدولة؛ الطبعة الأولى: 2016م؛ الناشر: العربي للنشر والتوزيع- القاهرة.
18. أ.د سفيان لوصيف؛ محاضرة بعنوان (مقياس منهجية البحث التاريخي)؛ جامعة سطيف2/ قسم التاريخ والآثار؛ الجزائر.
19. عامر حنا فتوحي؛ الكلديون/ الكلدان منذ بدء الزمان؛ الطبعة الثانية؛ بلا رقم طبعة وناشر.
20. عبدالله أوجالان؛ مانيفستو الحضارة الديمقراطية/القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية؛ المجلد الخامس/ الطبعة الثالثة؛ ترجمة: زاخو شيار؛
21. عبد الله أوج آلان؛ من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية، الجزء الأول؛ بلا ناشر ورقم طبعة؛
22. فراس السواح؛ مغامرة العقل الأولى/ دراسة في الأسطورة (سوريا وبلاد الرافدين)؛ الطبعة الحادية عشرة 1996؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛
23. إسماعيل بك جول (أمير اليزيدية في سنجار)؛ اليزيدية قديماً وحديثاً؛ الناشر: كلية العلوم والآداب- الجامعة الأمريكية في بيروت- 1934؛
24. د. كارم محمود عبد العزيز؛ أساطير العالم القديم؛ الطبعة الأولى 2007؛ الناشر: مكتبة النافذة؛ الجيزة- مصر؛

الباحثون السوفييت:

1. باسيل نيكتين؛ الكرد/ أصلهم، تاريخهم، موطنهم،.../؛ تدقيق ومراجعة وتقديم: صلاح برواري؛ الناشر: مجلة آسو ASO الثقافية؛ بلارقم طبعة وتاريخ؛
2. صلوات گولياموف؛ آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)؛ ترجمة د. اسماعيل الحصاف؛ الطبعة الأولى 2011؛ الناشر: مؤسسة بحوث والنشر موكريانى- هولير؛
3. م.س لازاريف وآخرون؛ تاريخ كردستان؛ ترجمة: د. عبدي حاجي؛ الطبعة الثانية- 2011؛ النشر: مؤسسة سبيريز للطباعة والنشر- دهوك.
4. ك.ماتفيف و أ.سازونوف؛ حضارة ما بين النهرين العريقة؛ ترجمة د. حنا آدم؛ الناشر: دار المجد- دمشق 1991؛ بلا رقم طبعة
5. ف. دياكوف- س. كوفاليف؛ الحضارات القديمة/ الجزء الأول؛ ترجمة: نسيم واكيم اليازجي؛ الطبعة الأولى 2000؛ الناشر: دار علاء الدين- دمشق؛

هل الكرد ضيوف طارئون حقاً

محمد جزاع / كاتب ومؤرخ

في الربع الأول من القرن العشرين، تشكلت الملامح الجيوسياسية للمنطقة بموجب اتفاقية سايكس بيكو. وحسب ما جاء في اتفاقية لوزان التي ألغت مضمون معاهدة سيفر، والقاضية بترسيم الحدود بين الدولتين المحدثتين على أنقاض الإمبراطورية العثمانية(تركيا-سوريا). وتم اعتماد سكة قطار الشرق السريع الحد الفاصل بين الدولتين وأصبح لدينا ما يعرف اليوم بفوق الخط (سرختي) وتحت الخط (بنختي) هذا الإجراء الذي لم يأخذ بآراء شعوب المنطقة فيه، ,ألحق أضراراً بشعوب المنطقة كلها, خاصةً الشعب الكردي, حيث انقسم الشعب-حتى- على مستوى العائلة الواحدة.

واستحال اللقاء بين الطرفين إلا بإرسال نظرات الحسرة والألم، عبر الأسلاك الشائكة، وحقول الألغام، والأنوار الكاشفة والمخافر الكثيفة لمراقبة الحدود.

وقد تشكلت سوريا الحديثة ديموغرافياً من جميع المكونات الإثنية والدينية والطائفية في ظل علاقات متوازنة ومتعايشة ومتشاركة ومسالمة واندمج الكرد في المجتمع السوري اجتماعياً ووطنياً, ولعبوا دوراً مهماً وبارزاً في الحراك التحرري, ومواجهة المستعمر الفرنسي, ولم يتخلفوا عن مهامهم في حركة البناء والتنمية والتحرير, وساهموا بفعالية في النشاط السياسي بدءاً من المشاركة في المجالس النيابية والتمثيل من خلال الانتخابات البرلمانية وكانوا جزءاً فعالاً في الحراك السياسي شأنهم شأن جميع السوريين متوزعين بين الأحزاب السياسية كحزب الشعب, والحزب الوطني والحزب الشيوعي السوري والحزب القومي السوري الاجتماعي والبعث العربي الاشتراكي, دون إحساس بالغبن أو التمييز رغم عدم تطرّق الدستور السوري والأحزاب السورية للواقع الكردي ولو تلميحاً .

إلا أن النخب السياسية العربية السورية بدأت تنسج أوهاماً بدولة منسجمة قومياً بدلاً من تأسيس وتجذير دولة المواطنة والقانون فبدأوا بنسج أوهام وحكايات وأقاويل بدافع التقليل من شأن المواطنين من المكونات الأخرى وممارسة الضغط عليهم وتهميشهم دون النظر ما يمكن أن تحمله هذه السياسة من آثار وخيمة على المصلحة الوطنية العليا.

ففي بداية الاستقلال لجأت الحكومات التي تصدرت سدة الحكم بإصدار أوامر وقرارات بالجملة بإلغاء كل نشاط ثقافي كردي (كإصدار بعض الصحف المتواضعة وإغلاق الأندية الرياضية والثقافية وفرض الأسماء العربية في الإعلانات وواجهات المحلات التجارية وغيرها).

وشيئاً فشيئاً زادت وتيرة الاستعلاء القومي والنظرة الدونية للآخر مما خلق ضغطاً نفسياً هائلاً على الكرد وإحساسهم بأنهم أبناء هذا الوطن تاريخياً وقد أصبحوا الآن غرباء عنها. هذه السياسة العنصرية لامست شرارتها بقية المكونات الإثنية والطائفية وإن كان بشكل أقل. وهنا اقتضت الحاجة الموضوعية بتأسيس حزب سياسي كردي بعنوان الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا، للدفاع عن الوجود القومي الكردي وحماية الهوية الكردية من الإلغاء والصهر والتهميش والنضال في سبيل انتزاع حقوقه القومية والديمقراطية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومع بروز النزعة القومية الشوفينية التي تبناها حزب البعث العربي الاشتراكي وتبنيه لإيديولوجية الدولة القومية متجاوزاً الدولة السورية كدولة وطنية إنما قطر عربي ضمن خارطة عربية أوسع فبدأ يمارس سياسة النفي والإنكار لكل مكوّن آخر بل أمامه خياران إما الصهر في بوتقة القومية العربية أو الرحيل من البلاد وهذا ما يمكن تلمسّه بشكل مباشر في برنامج الحزب.

لقد ارتفع منسوب الضغط النفسي في خط بياني في عهد الوحدة المصرية السورية بعد صدور قانون حل الأحزاب والتصادم في الموقف السياسي بين حكومة العراق في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم تمس مشاعر الإنسان الكردي بنعوته بأوصاف دونية والتشكيك بإخلاصه الوطني مثال(اسرائيل ثانية, عملاء الاستعمار والصهيونية العالمية، شعوبيون، انفصاليون) ولمّا كان الحزب الشيوعي ملاحقاً نتيجة رفض الحزب حلّ نفسه وكانت نسبة لابأس بها من الكرد شيوعيين وأيضاً رفض الحزب الديمقراطي الكردي حلّ نفسه فأصبحت التهمة جاهزة كل كردي شيوعي وكل شيوعي كردي وبدأت حملة اعتقالات شاملة كاعتقال القيادة الكردية في آب 1960 ولم تبقَ فئة إلا وقد أصابتها شيء من شرارة الديكتاتورية كقرار إغلاق مدارس المسيحيين (سريان, أرمن , الخ) ووضعها تحت إشراف الدولة ولاحقتهم بتهمة شهود يهوا.

في 28 أيلول 1961 قامت كتيبة هجانة بانقلاب على دولة الوحدة بقيادة حيدر الكزبري، وفصل الإقليم الشمالي(سوريا) عن دولة الوحدة وكان ذلك صدمة كبيرة وجرحاً عميقاً لوجدان الإنسان العربي عموماً والقوميين العرب خاصة.

ظهرت حكومة الانفصال حكومة مهزوزة لا تستطيع الصمود أمام ضغط الجماهير العربية من القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي فبدأت حكومة الانفصال الهزيلة تبحث عن خلق قضايا امنية لتوجيه أنظار معارضيها إلى الخطر الخارجي الموهوم.

وأول خطوة أقدمت عليها حكومة الانفصال تجاه الكرد كانت خلال الانتخابات البرلمانية 1962 هو اعتقال المرشَحَين الكرديين نور الدين ظاظا والشيخ محمد عيسى والعشرات من وكلائهم على صناديق الاقتراع.

لما وجدت حكومة الانفصال توحد الكرد وإصرارهم على ايصال مرشحيهم إلى قبة البرلمان أثار ذلك الفزع لديها ففكرت بمشاريع جهنمية منها تفكيك الجغرافيا الإدارية للمكوّن الكردي لتشتيت أصوات الناخبين في كل منطقة مثال فصل ناحية الدرباسية التابعة لقضاء القامشلي وإلحاقها بمنطقة رأس العين المحدثة ووضع المكوّن العربي والكردي في مواجهة بعضهم كأنهم أعداء فاختلقوا قصة التسلل الكردي من تركيا إلى سوريا وكان أبطال الحكاية اللواء فرحان جرمقاني

القائد العسكري للمنطقة الشرقية وسعيد السيد محافظ الحسكة وشقيقه جلال السيد (عضو بارز ومؤثر في قيادة البعث). وبدأت الحكاية في التصاعد.

قام وزير خارجية الانفصال بنشاط دبلوماسي محموم لتسويق قصة التسلل الكردي المزعوم ومن ورائه الإعلام السوري والعربي إلى حد ما بينما الكرد لا سند ولا مدافع سوى بعض مقالات متواضعة كتبها السياسي الكردي عبد الحميد درويش يفند هذه الإدعاءات في جريدة الصرخة الدمشقية فجاءها إنذار في صيغة مقال شديدة اللهجة (أما آن لهذا الشعوبي النزق أن يسكت ؟) وفعلاً أُسكت هذا " الشعوبي " باعتذار من الجريدة بالإغلاق.

لقد كانت تصريحات أسعد محاسن مليئة بانباء كاذبة ومثيرة للمشاعر القومية العربية من خلال التضليل وإيهام الرأي العام الأوربي بالخطر الكردي المزعوم تمهيداً لتطبيق مشاريع عنصرية تهدف إلى تهجير الكرد من مناطق سكناهم ومن ثم تطبيق سياسة التعريب في الجزيرة من خلال التغيير الديمغرافي قسراً وتتويجاً لتلك الحملة أصدر رئيس جمهورية الانفصال ناظم القدسي مشروعاً تشريعياً تحت رقم /93/ تاريخ 13 – 8 – 1962 والقاضي بإجراء إحصاء استثنائي في محافظة الحسكة وليومٍ واحد فقط.

وفعلاً جرى هذا الاحصاء في يوم 5 – 10 – 1962 وكان يوماً أسوداً في تاريخ الشعب الكردي في سوريا لما جرّ هذا الاحصاء الظالم والمزوّر من مآسي للشعب الكردي حيث نام الناس ليلتهم مواطنين سوريين وفاقوا على صباح مشؤوم مجردين من جنسيتهم السورية.

من الوجهة القانونية فاقد الجنسية ميت غير موجود وبموجب ذلك حُكم بالإعدام على 120 ألف مواطن كردي سوري، وصل تعدادهم حسب مصادر الحكومة السورية التي قدمت تقريراً لمنظمة حقوق الإنسان، قسم الشرق الأوسط في الحادي عشر من شهر أيلول عام 1996 أكثر من 200 ألف أو حسب التقرير 142465 شخصاً مجرداً من الجنسية و75 ألفاً مكتوم القيد (رقّن قيدهم من سجلات النفوس). ولهذا الإحصاء ونتائجه أحاديث ذات شجون يندى لها جبين الإنسانية.

مرحلة ما بعد انقلاب 8 آذار1963

وقع انقلاب على حكم الانفصال، جاء بالقوى القومية العربية على سدة الحكم من ناصريين وبعثيين، بعد الإحصاء الاستثنائي في محافظة الحسكة بأشهر وكان المأمول أن تلغي القيادة الجديدة كافة الإجراءات الاستثنائية ذات الصبغة الشوفينية انطلاقاً من أن " انتصار الاشتراكية في سوريا " كفيلة بحل جميع المسائل بما فيها المسألة الكردية حلاً عادلاً ويرفع الغبن عن الشعب الكردي، وأن السلطة الجديدة بصفتها التقدمية ستكون عامل جمع لوحدة الصف الوطني. لكن المؤسف أن السلطة الجديدة لم تلبث أن أمعنت في تطبيق سياسة التمييز العنصري إلى أبعد مدى متجاوزة كافة المعاهدات ومواثيق حقوق الإنسان وجاوزت حكومة الانفصال أشواطاً برسم برامج وخطط أفرزت سياسات لا يمكن أن توصف إلا بأنها تصنف تحت عنوان التطهير العرقي وتهدف إلى اقتلاع المواطنين الكرد من جذورهم والقضاء على هويتهم القومية لغايات عنصرية وادعاءات ملفقة :تشكيل دولة كردية انفصالية (كردستان مفترضة في مخيلتهم) اقتطاع جزء من أرض الوطن

وإلحاقه بدولة أجنبية (لا يتجرؤون ذكر تلك الدولة المفترضة في مخيلتهم) وإلى ما هنالك من الدعاية المضللة للرأي العام السوري خاصة والعربي عامة .

ونتيجة لهذه السياسة العنصرية وحسب ما جاء في المادة 11 من المبادئ العامة من المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي لم يكن امام الكرد إلا طريق ليعيشوا في وطنهم سوريا. إما أن يتخلى الكردي عن هويته الكردية ويرتدي لبوساً مزيفاً بادعاء الانتساب إلى العروبة وينفصل عن كتلته البشرية، وإلا فلا مجال أمامه إلا التهجير إلى خارج الوطن حسب نفس المادة، فإن أي تمسك بالهوية الكردية يعتبر تكتلاً عنصرياً فليس له سوى الخروج من البلاد.

لقد دشن النظام سياسته العنصرية بإرسال لواء من الجيش السوري بقيادة العميد فهد الشاعر قائد لواء اليرموك إلى جنوب كردستان (العراق) للقتال إلى جانب قوات البعث في العراق ضد الثورة الكردية عام 1963/6/9،وتم إرسال هذه القوات عبر قرى ومزارع في المناطق الكردية في الجزيرة متحدياً مشاعر الشعب الكردي وكانت الخطوة الأشد تمزقاً لنسيج المجتمع السوري.

حقيقة لقد كانت المشاريع التي نفذت بعد انقلاب 8 آذار تعتبر أخطر المشاريع العنصرية التي طرحت من قِبل الملازم الأول محمد طلب هلال رئيس الشعبة السياسية في محافظة الحسكة.

إن ما سماه الملازم الأول دراسة عن محافظة الحسكة من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا يعدو إلا أن يكون تقريراً مشوّهاً لواقع الحال، ومقترحات تحريضية مدمرة لبنية مجتمع الجزيرة ومشبع بروح الكراهية والحقد.

لاشك أن المقبور هلال بمشروعه لم يكن يمثل حالة فردية بل كان يمثل تياراً شوفينياً ضاغطاً باتجاه تنفيذ ما يمكن تنفيذه من مقترحات هذا المشروع حسب الظروف الذاتية والموضوعية لهذا التيار، بدليل أن الرجل كوفيء على دراسته الوطنية والقومية جداً بإسناد مهام قيادية في الدولة إليه (وزير تموين, نائب رئيس الوزراء , وزير الصناعة وعضو قيادة قطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي, وعضو أول برلمان معين بعد ما سميت بـ الحركة التصحيحية).

وفي عام 1965 نشرت السلطات النتائج النهائية لعمليات الفرز لبيانات الإحصاء النهائية لمحافظة الحسكة وجاءت النتائج استجابة لمقترحات محمد طلب هلال وحسب البند 3 من مقترحاته: " ابدأ من تصحيح السجلات المدنية " وهذا يجري الآن من خلال الإشارة إلى سجلات الاحصاء الاستثنائي في محافظة الحسكة: " نطالب أن يترتب على ذلك إجلاء كل من لم تثبت جنسيته وتسليمه إلى الدولة التابعة لها أي : تركيا " .

وأثبتت الوقائع أن المعايير التي استندوا إليها في ذلك الإحصاء كانت تحقيقاً لما في ذهن القائمين على العملية وهو عدد من يجب أن يُجردوا من الجنسية لا على التعيين وكمثال(آل إبراهيم باشا الملّي, الذين طردوا الجيش التركي من الشدادة ودير الزور والحسكة وكانوا أعضاءً في البرلمان السوري حتى عام الانفصال 1961 وآل نظام الدين ومنهم رئيس أركان الجيش السوري والأخوين عبد الباقي نظام الدين وزكي نظام الدين أعضاء البرلمان ووزراء في الحكومة، والأنكى

من ذلك أن هذه العشوائية شملت مواطنين عرب تنتهي كنيتهم بواو ساكنة مثال شيخو, رمو, سينو، سيدو!

إن المهتمين بمتابعة السياسة الدولية والإقليمية في ذلك الوقت لعلهم يتذكرون كم أثارت مقولة " أجانب أتراك " غرائز الطورانيين لاستعادة حلمهم القديم، وقد جاء على لسان وزير خارجية تركيا آنذاك تصريحات مفادها أن حدود تركيا الجنوبية جبل سنجار، جبل عبد العزيز، قبر السلطان سليمان شاه في قلعة جعبر.

وفي 20 آب 1966 شنت السلطات الأمنية في محافظة الحسكة حملة اعتقالات واسعة شملت كل فئات المجتمع الكردي وطبقاته من قيادة الحركة الكردية وكبار الملاكين ومواطنين بسطاء، وشملت كافة مناطق ونواحي محافظة الحسكة (ديريك، القامشلي، عامودا، درباسية، رأس العين، الحسكة) وكان عدد المعتقلين في البداية حوالي 91 معتقلاً ثم حصر الاعتقال بـ 56 معتقلاً , كانت الحملة مفاجئة لأنه لم يكن هناك ما يلوح في الأفق ويستوجب القيام بهذه الحملة، لقد جاءت المفاجأة تمهيداً لتمرير قرارات لجنة الاعتماد القاضية بمصادرة الأراضي المحاذية للحدود السورية التركية وتحويلها إلى مزارع دولة (كولوخوزات او سوفخوزات) و بالحقيقة لم تكن هناك مشاريع شبيهة لهذه المزارع في كل الدول الاشتراكية إنما كان ذلك تمهيداً لتمرير مشروع عنصري أشد ايلاماً يهدف إلى التغيير الديموغرافي للمناطق ذات الأغلبية الكردية، ومن أجل اسكات أي صوت احتجاج، وقد صاحب الاعتقالات أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، وقد قيّم القياديان حمزة نويران وعبد الحميد درويش المعتقلين الهدف الجوهري لهذه الحملة هو :

1-نشر الرعب والخوف بين المواطنين الكرد. وأن ليس هناك أحد خارج دائرة الاتهام أو بعيداً لا يطاله الاعتقال والتعذيب والملاحقة والإهانة

2-تمرير وتنفيذ المشاريع العنصرية وعلى رأسها مشروع الحزام العربي تنفيذاً لمقترحات محمد طلب هلال وفعلاً تم تنفيذ هذا المشروع بالتدريج حتى جلب المواطنين العرب من محافظتي حلب والرقة عام 1974 وتوطينهم الشريط الحدودي المحاذي لتركيا والعراق بطول 275 كم وعرض من 10 – 15 كم وتهجير السكان الأصليين من القرى والمزارع ضمن هذا الشريط الحدودي.

وإمعاناً في فصل الإنسان الكردي من كل الروابط التاريخية والذهنية بأرضه أوغل النظام في ابتكار أساليب الفصل والقطع فلجأ النظام إلى سياسة القطع بين الإنسان الكردي ومرابع ذكرياته فقام بشرعنة تغيير أسماء القرى والمزارع والبلدات الكردية وإطلاق أسماء عربية، ومن يمعن النظر في تلك الأسماء العربية يستنتج منها أن أصحاب القرار يعالجون بها مركب النقص الجمعي لديهم تعويضاً لما فقدوه من مدن وأماكن تاريخية خلال حروبهم الخاسرة مع الإسرائيليين أو مزاودة بالارتباط التاريخي والوجداني بأماكن وصَلتها حوافر الخيل العربية، لقد بدلت أسماء 820 قرية و 101 مدرسة .

وكثيرا ما طرح سؤال: وماذا أنتم فاعلون بأسماء آلاف القرى والبلدات والمزارع والمدن السورية والتي ليست عربية الأصل أما تعود تسمياتها إلى اليونانية والآرامية والسريانية. ما أصل

مفردة دوما، زبداني، بلودان، معلولا، جبعدين، صوران تل دو، لاذقية، دمشق أما الأسماء العربية الحالية فقد أطلقت في الغالب بعد قدوم القبائل العربية البدوية إلى سوريا والجزيرة العليا.

وفي هذا السياق دأبت السلطات بكيل اتهامات جاهزة ضد المواطن الكردي وعيشه في حالة قلق دائم واتهامه بـ " إضعاف الشعور القومي، اقتطاع جزء من أرض الوطن، إسرائيل ثانية، خطر على أمن الدولة، ممنوع التكلم بغير العربية ، الخ "

إن الممارسات الشوفينية لا تعد ولا تحصى مثال حرمان الشباب الكرد من المعاهد والكليات العسكرية وحرمان الطلبة الكرد من الزمالات الدراسية، ومنع الكتاب والشعراء من إصدار وطباعة نتاجهم باللغة الكردية وحتى بالعربية إن احتوت النتاجات شيئا من الملامح الكردية بل ومصادرة المكتبات التي حوت كتباً عن الأدب والتاريخ الكرديين.

لم تكتف السلطات الشوفينية بخطواتها الإجرائية والتي ألحقت أفدح الأضرار والغبن بالمكون الكردي بل حشدت أرتالاً من أشباه الكتاب والمؤلفين من ضعاف النفوس وأزلامهم ليثبتوا " علميا وتاريخيا " مزاعم السلطات أن الكرد في سوريا حالة طارئة وضيوف نازحون استقبلتهم الحكومة بترحاب والآن يشكلون خطراً على أمن البلاد، ومن هؤلاء رجل الأمن المشهور محمد طلب هلال من خلال دراسته المزعومة ثم كتاب المدعو منذر الموصللي : "عرب وأكراد " وأسهم زبير سلطان قدوري في كتابه من الضحاك إلى الملاذ وكانت الطامة الكبرى عند سهيل زكار أستاذ في جامعة دمشق وعضو لجنة كتابة التاريخ ونائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب حيث حاضر في المركز العربي للدراسات الاستراتيجية حول مفهوم الأقليات ومدى انطباقها في الوطن العربي, ونشرت جريدة المستقلة نص المحاضرة في عددها 73 تاريخ 2 – 10 – 1995 مركّزاً حديثه عن الوضع في محافظة الجزيرة قبل عام 1925 ثم المدعو محمد جمال باروت في كتابه المؤلف من 1024 صفحة التكوّن التاريخي في الجزيرة السورية وما يزال حتى يومنا هذه بعض صبيان الكتابة يدبجون بهذا الخصوص الكتب والمقالات تحت إشراف الدكتور عزمي بشارة رئيس مركز الدراسات العربية في قطر، أي أن هناك مؤسسة بكامل إمكانياتها في قطر مسخّرة لقيادة حملة مركّزة ضد الكرد،

فالنظام حشد عدداً كبيراً من الانتهازيين والمرتزقة المحسوبين على الوسط الثقافي والعلمي لتزوير وثائق التاريخ والجغرافيا وتدمير القيم الأخلاقية والإنسانية والوطنية، فأول ما تبلور الاتجاه الإقصائي عند النظام لسائر مكونات الشعب السوري غير العربي بادر إلى تكليف ضابط الأمن الصغير بتقديم دراسة ومقترحات بالشأن الكردي في سوريا وخاصة الجزيرة معياره العاطفة والحقد الدفين الذي حقن به تجاه الكرد خاصة وسائر المكونات الاثنية والدينية والسياسية غير البعثية بما فيهم بعض العرب.

لقد تقدم رجل الأمن المذكور سابقا، بتقريره أو دراسته، لمراكز القرار القومي في النظام السوري وتنقسم الدراسة عملياً إلى حقلين الأول تشويه وتحقير المكوّن الكردي بشكل خاص , من قبيل لسنا بواجدين لغة اسمها اللغة الكردية بل لهجات مختلفة وإذا وجدنا من ينكر ذلك فمرده على الاستعمار لهم لهجات خاصة, كلغة النَوَر، ليس هناك أمة ..لا تاريخ لهم ولا حضارة ولا لغة ولا

جنس ونعت الكرد بنعوت شتى(شعوبيون، انفصاليون، إسرائيل الثانية، كل كردي شيوعي وكل شيوعي كردي الخ) ثم يقدم مجمل مقترحات تنفيذية للقضاء على الخطر المزعوم الذي شبهه بالورم الخبيث ما يعني يجب بتره واجتثاثه، وتتلخص مقترحاته في اثنتي عشرة ما جاءت فيها: :

1- أن تعتمد الدولة على عمليات التهجير إلى الداخل (وهذا يتقاطع مع قانون الإبعاد والتشتت التركي عام 1935 الخاص بالكرد أيضاً)
2- سياسة التجهيل بعدم إنشاء مدارس أو معاهد علمية في المنطقة لأن هذا أثبت عكس المطلوب.
3- إن الأكثرية الساحقة من الأكراد المقيمين في الجزيرة يتمتعون بالجنسية التركية فلا بد من تصحيح السجلات المدنية وهذا يجري الآن (إشارة إلى عمليات فرز الإحصاء) فلا بد والحالة هذه أن يعود إلى جنسيته الأولى، المهم ما يترتب على ذلك الإحصاء والتدقيق من أعمال حيث نقوم فوراً بعمليات الإجلاء.
4- سد باب العمل: لابد لنا أيضاً مساهمة في الخطة من سد أبواب العمل أمام الأكراد حتى نجعلهم في وضع غير مستقر وفي وضع المستعد للرحيل وهذا يجب أن يأخذ به الإصلاح الزراعي في الجزيرة بألا يؤجر ولا يملّك الأكراد والعناصر العربية كثيرة وموفورة بحمد الله.
5- شن حملة من الدعاية الواسعة بين العناصر العربية ومركّزة على الأكراد بتهيئة العناصر العربية أولاً لحساب ما وخلخلة وضع الأكراد بحيث يجعلهم بوضع قلق وغير مستقر.

6-نزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين عند الأكراد وإرسال مشايخ بخطة مرسومة عرباً أقحاح

7-ضرب الأكراد ببعضهم وهذا سهل.

8- إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود فهم حصن المستقبل ورقابة بنفس الوقت على الأكراد ريثما يتم تهجيرهم. ونقترح أن تكون هذه العناصر من شمر لأنهم أفقر القبائل بالأرض وثانياً قوميين عرب مئة بالمئة.

9- جعل الشريط الحدودي الشمالي للجزيرة منطقة عسكرية كمنطقة الجبهة بحيث توضع فيها قطعات عسكرية مهمتها إسكان العرب وإجلاء الأكراد وفق ما ترسم الدولة من خطة.

10 إنشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة الشريط الشمالي على أن تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسكرياً كالمستوطنات اليهودية على الحدود تماماً

11-عدم السماح لمن لا يتكلم اللغة العربية بأن يمارس حق الانتخاب والترشيح

12-منع إعطاء الجنسية السورية مطلقاً لمن يريد السكن في تلك المنطقة مهما كانت جنسيته الأصيلة عدا الجنسية العربية.

أما السيد منذر الموصللي (كان مديرا لمكتب الرئيس السوري امين الحافظ ، كما وعين عضوا في مجلس الشعب لدورتين خلال حكم الأسد الأب) يتطرق إلى الوجود الكردي في دولة سوريا الحديثة في كتابه عرب وأكراد ، إذ يقول باختصار إن الوجود الكردي في سورية ما هي إلا حالة طارئة تكونت عبر ظروف تاريخية معينة ويقدم بيانات تأكيداً لرؤيته لا تمت إلى الواقع التاريخي

أبداً إذ يعتمد على التدليس واستغفال القارئ حيث يقول: " إن وجود الأكراد في شمال سوريا إنما بدأ عام 1926 على وجه التحديد بعد ثورة الشيخ سعيد بيران في كردستان تركيا، فاستوطنوها واكتسبوا الجنسية." ويتابع " تتواجد مجموعات كردية تعيش على شكل جيوب وعشائر في أقصى الشمال الشرقي السوري من البلاد في محافظة الحسكة وإن هؤلاء المواطنين من أصل كردي يتفاوت تاريخ قدومهم إلى سورية ولعل أحدثهم محافظة الحسكة الذين قدموا من كردستان تركيا في منتصف العشرينات من هذا القرن (القرن العشرين) إثر ثورة الشيخ سعيد بيران المعروفة" ثم يفبرك في مخيلته دوافع أخرى لنزوح الأكراد حسب زعمه (إن فقراء الأكراد في قطاع الحدود وفي عهد الوحدة وجدوا في تطبيق قانون الإصلاح الزراعي في القطر العربي السوري, ففي عام 1959 في عهد الوحدة تسللت جموعهم على مدى سنتين تقريباً إلى القرى الكردية الكثيفة على الشريط الحدودي من محافظة الحسكة .. لتلقى التشجيع من الحركة الكردية.

أما المدعو زبير سلطان قدوري فيتطرق لنفس الموضوع ولا يأتي بجديد ولا يكاد يخرج من إزار منذر موصللي في كتابه من الضحاك إلى الملاذ (ويقصد بالملاذ الذي تقرر بموجب قرار الأمم المتحدة 688 لحماية الشعب الكردي من الإبادة الجماعية خلال الهجرة المليونية عام 1991 ثم يطل علينا الدكتور سهيل زكار أستاذ التاريخ في جامعة دمشق وعضو لجنة كتابة التاريخ في سوريا ونائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب بأفكار غريبة وعجيبة لم يسبق أن انحط إلى هذا المستوى أي باحث عربي وحتى السلطة الأمنية هذه الأفكار بعيدة عن منطق العلم والتاريخ والجغرافيا وركز في حديثه عن الوضع في محافظة الجزيرة الحسكة قبل عام 1925 هذا التاريخ الذي يحدده سهيل زكار بدايةً للهجرة الكردية إلى الجزيرة حسب زعمه ويمهد في بداية محاضرته بالحديث عن شمائل الأمة العربية والأدوار التاريخية الهامة التي قامت بها ويقفز فجأة فيدخل الموضوع المركزي والأساسي في محاضرته ومع ذلك كثيراً ما شخص لها (الأمة العربية) من الخارج أمراض كثيرة تباينت في تقدير خطورتها كان آخرها ما دعي مشكلة الأقليات .

" في الحقيقة أثيرت مشكلة الأقليات في القرن الماضي (التاسع عشر) من قِبل الدول الاستعمارية نحن كأمة عربية لا نعاني في داخل الوطن العربي من وجود جيوب قومية ويتابع زكار قوله (لاأعلم بماذا أصفه) ويبقى السؤال بـ 3% لا ننكر أنهم ليسوا عرباً في العراق وبعضهم يقول في سوريا بالنسبة لأكراد العراق تحتاج القضية إلى وقفة تاريخية وعلمية متأنية فقسم كبير ما يحتله الأكراد عربي أصيل عربي الأرض والحضارة والثقافة الخ.." ثم ينتقل إلى قضية أصبحت جزءاً من التاريخ لم يعد لها تأثير على الوضع السياسي في هذه المرحلة يتناول مرحلة الحروب الصليبية وبالذات مرحلة صلاح الدين ومن كان معه ويقول:" كان عدد المقاتلين الكرد الذين كانوا بمعية صلاح الدين بل بأمره لم يتجاوز الألف مقاتل وأن هؤلاء المقاتلين كانوا في خدمة صلاح الدين ويصفهم بالمرتزقة ويستطرد في الكلام إلى أن يأتي إلى بيت القصيد من محاضرته يقول لكن الآن في الجزيرة لم يكن في الجزيرة اكراد ولم يستقر الأكراد في الجزيرة قط".

في خضم الأحداث المأساوية يتقدم المدعو محمد جمال باروت بدراسة مطولة تحت عنوان (التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية، الطبعة الأولى عام 2013 اصدار المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية في قطر) بإشراف وإدارة الباحث الفلسطيني د. عزمي بشارة مؤلف

من 1024 صفحة عندما تقرأ الكتاب وتتحقق في مصادر التاريخ والوثائق المعتمدة والشخصيات المساهمة معه في لقاءاته معهم لابد أن يشدك الانتباه ويثير لديك كثيراً من الأسئلة

جاء في ما قاله: إن نتيجة الحروب بعد عام 1693 التي وصمت بسنوات المصيبة و بحسب السجلات العثمانية(أسكنت الحكومة الملية في ديار بكر منذ عام 1711 وفي الرقة وكان هذا الاتحاد مركب الهوية, نعم حقيقة كان الاتحاد مركباً لكن بطبيعة الحال من الغالبية المطلقة كرداً مسلمين وكرداً ايزيديين ثم يليهم المكون المسيحي (كلدو آشور سريان أرمن) ثم قبائل عربية لكن الجسم الرئيسي كان من الكردي وسمي الاتحاد بـ "هزار مل" يحشرجمال باروت نفسه في مغالطات كبيرة من أجل مدخل يقوده إلى الهدف بين كلش عبدي وتيمور باشا ومرة محمود الأول, وحكمت العائلة ماردين وراثياً منذ عام 1735 ويتابع قائلاً هذا التاريخ العشائري في التاريخ الاجتماعي والسياسي اللاحق وحتى الخمسينيات من القرن العشرين للجزيرة الفراتية أواخر الدولة العثمانية, سيبدأ دور جديد للملليين في كل من تركيا الحديثة وفي الجزيرة السورية الانتدابية.

يحاول باروت في بحثه المطوّل أن يوحي وكأنما الجزيرة الفراتية (ميزوبوتاميا) كانت موطن العشائر العربية وفي مراحل أسبق وأن الاتحاد المللي بقيادة آل كلش عبدي وأحفاده باشات الملية قد أزاحوا تلك العشائر العربية من موطنها (الجزيرة السورية الحالية).

ولمناقشة هذه البيانات والآراء نستبعد البحوث والدراسات الكردية المتعلقة بالموضوع ونعتمد فقط المراجع والمصادر العربية أولاً ثم البحوث والدراسات الأجنبية ثانياً لأن هؤلاء يكتبون حصيلة بحوثهم في هكذا موضوعات لا محاباة أو كراهية بأحد، إنهم يكتبون بأمانة ودقة خدمة لاستراتيجيات مراكز القرار في دولهم، كي لا يبنوا مواقفهم على تقديرات خاطئة.

في المناقشة نبدأ من حيث انتهينا عند تصريح رئيس النظام ونفيه لوجود قضية كردية في سوريا كونه عضو في حزب البعث العربي الاشتراكي وقائده حتى اللحظة، ولا إخاله يتنكر لرأي حزبه والالتزام بهذا الرأي.

-جاء في تقرير المؤتمر القطري الحادي عشر المنعقد عام 2012م في الفقرة السابعة ما يلي (إن روح العصر تفترض أن نستفيد من تجارب الشعوب التقدمية ونظرتها إلى حل مشكلة الأقليات حلاً ايجابياً وتحويل قواها الرئيسية إلى خط تقدمي وفق منظور ديمقراطي أثبتت تجارب الشعوب فيما يتعلق بمشكلة الأقليات صحته ونجاحه...لذا كان لابد لنا كحزب قومي اشتراكي ثوري من تحديد موقف مبدئي جريء وصريح من المسألة الكردية إذ لم تحتمل هذه القضية الإهمال والتأجيل وفي واقعة تاريخية يعترف رأس المنظومة الأمنية في سوريا عام 1957م عبد الحميد السراج خلال لقاء مع مام جلال طالباني وعبد الرحمن ذبيحي ود. كمال فؤاد اذ قال لهم: " اشتغلوا في تركيا والعراق وإيران، الكرد في سوريا امتداد لكردستان تركيا لا تعملوا لنا مشاكل" . وفي حوار بين د. نور الدين ظاظا وأكرم الحوراني (من شخصيات حزب البعث) حول إيجاد صيغة تفاهم حول المسألة الكردية في سوريا أجاب الحوراني: " لو كنتم في حمص وحماة لما كانت هناك مشكلة أما أنتم امتداد لكردستان تركيا فمن الصعب البت بذلك" .

-يقول الباحث حسن أمين موطن الأكراد كردستان إيران "غرب إيران- شمال العراق- جنوب شرق تركيا- شمال شرق سوريا".

-أبو ثناء شهاب الدين الآلوسي في كتابه نشوة الشمول في السفر إلى أستانبول الصادر عام 1871 يقول سرنا في طريق وعرة في الساعة التاسعة ونزلنا في قرية تسمى عامودا وتابع طريقه إلى دوكر وفيها 800 بيت وتل شعير وجل آغا فيها 90 بيت.

- يقول العلامة أحمد وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام طبعة 1947 ص 658 على أن السواد الأعظم من العشائر الكردية يقطن محافظة الحسكة ويقطن أقصى شمالها الشرقي قضاء ديريك قرب دجلة، ويتجه غرباً إلى قضاء القامشلي ثم إلى ناحية رأس العين ثم قضاء عين العرب في محافظة حلب، ثم على القضاء المسمى باسمهم وهو جبل الكرد "كرداغ " شمال حلب ثم إلى قضاء الباب شرقي حلب ثم إلى ناحية جبل الأكراد من أعمال اللاذقية، وفي الصفحة 959 يسرد أسماء العشائر الكردية من الشرق إلى الغرب.

-الشخصية العراقية فائق السامرائي " يقول: إن كردستان تعني بأوسع معانيها البلاد التي يسكنها الأكراد...وتنقسم بلادهم بين العراق ونتوءات صغيرة في سوريا والاتحاد السوفييتي.

-يقول سايكس السياسي البريطاني المعروف: بعد زعيمهم عبد الرحمن بقي الكيكيون آخر سكان الحضريين في الجزيرة وقد طردوا نحو الشمال من قبل الشمر.

- بيير روندو: إن الإعمار الكردي في سوريا أبعد كثيراً مما يتصوره المرء إذ أن بعض الجماعات الكردية في الجزيرة العليا كانت منذ الأزمان الغابرة تحتل موقعها الحالي.

- الميجر ادموندز في كتابه أكراد وعرب وأتراك يقول: كردستان تعني الأرض التي يسكنها الأكراد كمجموعة متجانسة أنها مقسمة بين تركيا إيران والعراق ونتوءات صغيرة في سوريا والاتحاد السوفياتي.

- كانت أراضي الجزيرة العليا على طول الحدود الشمالية (السورية التركية) التي تمثل منطقة انتقال من الصحراء العربية إلى جبال طوروس ومازالت حتى اليوم ذات كثافة كردية.

ويعد ابن عرب شاه أن أرض الجزيرة هي جزء من بلاد الأكراد وتؤكد حولية عثمانية تعود إلى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي: إن ايالة كردستان العثمانية كانت تشمل أجزاء واسعة من شمال شرق سوريا الحالية.

-جميل كنة البحري يقول: عينت مديراً لناحية القرمانية (قرية تابعة لناحية الدرباسية) في 29 حزيران 1929 توجهت إلى راس العين ومنها إلى الحسكة ثم قصدنا مركز الناحية(القرمانية) وكان عدد السكان فيها لا يزيد عن 200 دار بعضها يسكنها أصحابها الأكراد وبعضها الآخر الكائن في شمال القرية اللاجئون السريان والأرمن. (وجديربالذكرأن القرمانية قدم إليها حاج موسى أزيزاني من جزيرة بوطان بعد الثورات البدرخانية وكان قبله يسكنها عمر علو سلو ميرخاني وكان ولادة حاج درويش جد السياسي الكردي المعروف عبد الحميد عام 1868 في ذات القرية.

- كارستن نيبور الألماني كان من قوام البعثة الدانماركية المكونة من ستة أعضاء متجهة لدراسة منطقة الشرق مصر العراق بلاد الشام، وكان الوحيد الذي نجا من البعثة...التي عملت مابين 1761 – 1767 وقد مر في رحلته بالجزيرة العليا وقد صادف في طريقه العشائر التالية آشيتية – الطي – ملان- الكيكية ويزيد سنجار وذلك عام 1764.

- الصحفي صبحي عبد الرحمن يسرد في كتابه كاليفورنيا الشرق الصادر عام 1954 وعلى لسان إحدى الشخصيات الشيشانية المعروفة وهو المرحوم عزت سليم بك , (شخصية اعتبارية في منطقة رأس العين عرف بصدقه ونزاهته) وهو من مواليد السفح 1905 وكان على علاقة جيدة مع جميع الأطراف، يقول: كانت ماردين ونصيبين مركزين للحكومة العثمانية ولاتخفى المسافة بين ماردين ودير الزور، كان حوالي 200 كم والمواصلات كانت على بعير أوفرس أوحمار, ولم يكن إذ ذاك بين ماردين ودير الزور إلا بضع قرىً للأكراد في سهل ماردين الجنوبي في أطراف عامودا ونصيبين والدرباسية القديمة, وكان قليلٌ من الأعراب البدو مبعثرين على ضفاف الخابور جنوب الحسكة وضفاف الفرات.

- معركة بياندور 1923 يقول الكاتب أنور عبدالحميد العسكر السباهي في كتابه قبيلة طي وفي موقع بياندور اشتركت العشائر الكردية وستة عشر فرداً جوالياً ضمنهم بعض الثوار من الراشد فنالوا شرف الانقضاض على مقر قيادة الجنرال روكان الفرنسي ص 434 أما العشائر الكردية التي يقصدها الباحث هي الكاسكية والدوركية، الحاج سليمانية , وزيادة على هذه المصادر التي تؤكد بلا شك الوجود الكردي في الجزيرة فهناك الكثير من المعالم المادية التي تؤكد هذا الوجود في أزمان غابرة , فهناك في منطقة ديريك تل كوجك أحد معالم عشيرة كوجر المعروفة حيث مراعيهم إلى جبل سنجار وكراتشوك ودشتا حسنا وإذا توجهنا غرباً نصل إلى كوكب ملان وبين جبل عبد العزيز والخط الحدودي هناك كبز كيكان – قوجا كيكان(قصرك على نهر الخابور) شرق تل تمر وخفسة سينكان وفيضة سينكان جنوب جبل عبد العزيز وسينكا ن فرع من عشيرة كيكان , ثم أَلم يسأل أحدهم مامعنى زركان؟ لقد اشتق اسم زركان من اسم قبيلة زرّكان الكردية وشاعرها خير الدين الزركلي, وكان كِريْ مير- تل أمير مقراً لأميرهم ودفعت العشيرة باتجاه الشمال نتيجة حرب طاحنة بينهم وبين الكيكية , ومازال هناك العشرات من المعالم المادية التي تؤكد على الوجود الكردي في المنطقة.

- أما ما يذهب إليه منذر موصللي أن فقراء الأكراد تسللوا إلى سوريا أيام الوحدة للاستفادة من قانون الإصلاح الزراعي وكان البارتي يشجعهم ويسكنّهم في قرى الأكراد الكثيرة والكثيفة.
- الأشخاص الذين عاصروا تلك الفترة من عهد الوحدة يعرفون تماماً أنه قد مر على البلاد ثلاث سنوات عجاف هلك الزرع والضرع حتى قامت قيامة الماعز وأصبحت تباع بكيلو برتقال وفي هذه المرحلة ارتفعت وتيرة الحساسية بين المالك وفلاحي القرية الذين هم على الأغلب أقرباء، والسيد منذر موصللي أعلم من الجميع كم كانت الحدود منيعة على التسلل بسبب كثافة المخافر الحدودية التركية وحقول الألغام والأسلاك الشائكة والأنوار الكاشفة , خاصة أن السيد منذر كان ضابط أمن ومدير ناحية رأس العين آنذاك, والسؤال المنطقي أيعقل أن يخاطر الإنسان بنفسه في ظل وجود

تلك الموانع الخطرة ويهرب من الفقر إلى مكان أكثر فقراً وتعاسة، ومن ثم يغالط أيضاً بتسويق مبرر واهن فمن أين كان للبارتي تلك القوة الإعلامية وكامل قيادته في السجون.
اصطدم تيمور باشا مع والي بغداد أيضاً سليمان باشا الكبير فوجّه قبيلة العبيد العراقية عليه وكانت مفاجأة لتيمور باشا أن انتصرت قبيلة العبيد على الملية في معركة حوالي تل تمر وأصبحت عشيرة العبيد تتغنى بهذا الانتصار وتنشد قصائد فخر منها هذا البيت الشعري مأثور عنها ومازال متواتراً حتى هذا العصر:
تمرهم مسيناه بالمي راح حلاتو خابورهم جزيناه بالسيف وبان فلاتو
نلاحظ أن تمرهم، خابورهم هذا الضمير الجمعي الغائب يعود على قبائل المللية إذاً هذا اعتراف واضح وصريح أن المنطقة تعود حيازتها لقبائل الملّان وأعقب ذلك معارك عديدة استطاع الملان دحر قبائل العبيد إلى العراق (حويجة العبيد) حتى تمت المصالحة بتوسط قبيلة طي (وهم أخوال قبيلة إبراهيم باشا) ومن ثم زوّج تمر باشا ابنه أيوب بك من ابنة أمير العبيد (فصلة)
بعد خسارة عشيرة العبيد غضب سليمان باشا الكبير والي بغداد فسيّر على تيمور باشا جيوشاً من بغداد والموصل وحلب، وعشائر عربية وكردية لإلحاق الهزيمة بتيمور باشا ويلجأ إلى حلب ويتم التصالح عام 1794 إنما أصبح مقيماً في بغداد تحت جناح الوالي سليمان باشا، كان عام 1799 وجهه الوالي لنجدة أحمد باشا الجزار خلال حصار عكا من قبل جيوش نابليون (وما زالت آثار منازلهم موجودة في الزرقاء بالأردن)
إلى هذه المرحلة لم يكن للقبائل العربية أي تواجد سوى قبيلة الجيس (القيسية) التي أغفلها الكاتب وما زالت قائمة منذ الفتح العثماني، ثم تستمر المنطقة تحت سيادة آل كلش عبدي الجد المؤسس لعائلة باشات الملية، (بشار باشا، تيمورباشا، أيوب بك، تيماوي بك، محمود آغا، إبراهيم باشا المللي).
ظهور القبائل العربية في المنطقة:
1- الطي هي أقدم القبائل العربية في المنطقة وكان أول ظهورهم في الموصل
2- العنزة أول ظهورهم في الشمال بعد عام 1700 حسب البارون أوبنهاين ثم استمرت الهجرة لمدة قرن حسب كلام الشيخ مجحم بن مهيد وانتشروا في البادية وغوطة دمشق
3- الشمر يقول الدكتور محمود اللحلوحي في مقطع فيديو تاريخ 28 – 4 – 2019 قدم الشمر إلى العراق أعوام 1802 – 1803 في عهد الشيخ محمد فارس حميدي الجرباء بشكل غير ممنهج أو مبرمج ولولا قدوم الشمر إلى العراق لاحتلت قبائل الملية (حزار ملَت) العراق ويؤكد سايكس السياسي البريطاني على أن قدوم الشمر إلى العراق كان عام 1802.
حقيقة بعد ذلك تمدد الشمر في البادية بحثاً عن المراعي وكان عام 1808 عام صدام مباشر مع عشائر العنزة في بادية الشام وتلقوا ضربة قوية منهم , أما تمددهم في مواقع العشائر الكردية فلم يكن بالقوة العسكرية أوغزوات أو حروب إنما بسبب حالة الضعف التي كانت تعانيها القبائل الكردية والاتحاد الملي بشكل خاص نتيجة المواجهات المستمرة بين قبائل الملان والسلطات العثمانية منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر, ومن هنا جاء المثل المشهور (سالك ميلا أو سالك فلا) في هذه المرحلة كان إبراهيم باشا المللي يؤسس قوة عسكرية حديثة , وبخلاف سياسة آبائه وأجداده , اندمج مع سياسة الدولة المركزية وخاصة

السلطان عبد الحميد فلما شعر الشمر بازدياد قوة إبراهيم باشا أرادوا إجهاض قوته وتوجيه ضربة استباقية له ففاجأ الشيخ علي شيوخ قبائل الملان في ضواحي ويران شهر إلا أنه أصيب بنكسة مذلة حيث تم أسره من قِبل إبراهيم باشا الملي وإرساله إلى استانبول...بعد ستة أشهر أطلق سراحه وعاد إلى قومه لكن الشيخ الذليل أبى السكوت فهاجم في العام الثاني مرة أخرى قبائل الملان وكان إبراهيم باشا على دراية بتحضيراته فكانت معركة أخرى فاصلة حيث الشمر بقيادة علي الشيوخ و شقيقه محمد الشيوخ, وأنزل الباشا بهم ضربة قاصمة في (هليلية حسين قنجو) لكن الشمر لم ييأسوا وقاموا بتجهيز حملة أخرى وقادوا معهم كل القبائل في طريقهم عرباً وكرداً, وكان شعارهم حسب ما سمعته من الجيل المعاصر لتلك المعركة(اليوم دور برهو وباجر دور بريهو) وكان لدى إبراهيم باشا معلومات واسعة ودقيقة بعضها عن طريق جواسيسه وأخرى أرسلها له وجهاء عشيرة كيكان, وكانت المعركة الثالثة في قرية تل حرمل 1899 وكانت هزيمة أخرى وساحقة للشمر .
المعركة الرابعة والفاصلة في المواجهات كانت عام 1903 في قرية حلكو الملاصقة للقامشلي وأصبح إبراهيم باشا المللي سيد الموقف مابين النهرين من الفرات إلى دجلة ومن أرزنجان شمالاً إلى دير الزور جنوباً.
المؤتمر الوطني السوري المنعقد في 3 حزيران 1919 من قراراته: رسم حدود الدولة السورية بالاستناد إلى حدودها القديمة ولم تتضمن أي إشارة إلى منطقة الجزيرة كجزء من جغرافية سوريا.
إن ما يهدف إليه كتاب السلطة المشبعين بروح التعصب والكراهية تجاه الكرد هوإيجاد مسوغ شرعي لسياسات النظام العنصرية والتي يمكن أن تندرج في إطار سياسة الجينوسايد .
الحقيقة التي كانت تعيشها المنطقة خلال قرون إن هي منطقة خلاء وفيافي تعيش فيها الغزلان والحيوانات البرية ومراعي الرحل، وإذا كنا قد سقنا كل هذه البيانات عن أحوال الجزيرة الفراتية ليس الغرض منها أن نثبت من هو الأحق بهذه الجغرافيا إنما أرى أن للمسألة وجهاً آخر وأن كل مكونات المنطقة شركاء فيها ولايحق لأحد أن ينفي الآخر أو يهمشه ويقصيه بادعاء هذه أرضه التاريخية، وأن الآخر قدم بصفة ضيف؟
أحدث الهجرات إلى سوريا هجرة الأخوة من المكون الشيشاني من قفقاسيا بعد فشل ثورة الشيخ شامل , وانتشروا على ضفاف الخابور من رأس العين حتى مدينة الحسكة واندمجوا مع سائر المكونات وساهموا بفعالية في الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية, وكذلك الأمر بالنسبة الآشوريين الذين خانتهم بريطانيا وتخلت عنهم بعد استخدامهم في حروبها بإيران والعراق وتعرضوا لمذابح انتقامية(مذبحة سيميل) وسدت في وجوههم أبواب الحياة حتى تبنت الأمم المتحدة مشكلتهم وأسكنتهم ضفاف الخابور عام 1933 – 1934 وكانوا خير مواطنين وقدوة في البناء .
هناك مسلّمتان غير قابلة للنقاش: الأولى هي حق جميع مكونات الشعب السوري في الانتماء للوطن السوري وهو يحمل هويته القومية الخاصة اعتزاز طالما يعتز بانتمائه للوطن السوري بنفس المستوى أو أكثر، أما المسلّمة الثانية غير القابلة للنقاش أن المكون السرياني الآشوري الكلداني أسماء لمسمى واحد ينتمون جميعاً للشعب الآرامي العريق يمتد تاريخه إلى عمق ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام وسكناهم يشمل كل سوريا بنظرياتها الجغرافية المختلفة:

- حسب المؤرخ اللبناني الأصل الأمريكي الجنسية فيليب حتي، حدود سوريا الشرقية تنتهي عند الضفة اليمنى لنهر الفرات ومن الضفة الشرقية وما بعد تعتبر بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) ,

الجزيرة العليا تبدأ حدودها الجنوبية من جبل حمرين وجبل سنجار وجبل عبد العزيز فطوال العبا وفي خط مستقيم إلى الرقة واعتباراً من جنوب هذا الخط بلاد الشامية .

-نظرية القوميين السوريين كما ورد في أدبياتهم ورشح من قياداتهم أن حدود سوريا الشرقية تبدأ من جبال زاغروس وبشتكويه ويمتد غرباً حتى جبال ارارات وتشمل منطقة الهلال الخصيب بما فيها الكويت وقبرص وشبه جزيرة سيناء وجنوب شرق تركيا وبلاد الشام والعراق.

- نظرية القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي، سوريا جزء من الوطن العربي الذي يحده جبال طوروس شمالاً وغرباً وشمالاً البحر المتوسط وشرقاً جبال بشتكويه والخليج العربي وجنوباً الصحراء الأفريقية الكبرى وهضاب الحبشة وغرباً المحيط الآطلسي.

-خريطة سايكس بيكو هي الخريطة الجيوسياسية للدولة السورية الحديثة التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918 فحسب الخرائط الثلاثة الأولى يبقى الكرد جزءاً أصيلاً تاريخياً من الشعب السوري أما ما يتذرع به الشوفينيون أن الكرد هاجروا من تركيا إلى سوريا بعد ثورة الشيخ سعيد عام 1925 باعتقادي ما قدمناه من البيانات كافية لتفنيد ذرائعهم.

عندما نقدم البيانات بأصالة انتماء الكرد تاريخياً لأرضهم (في سوريا) إنما نقدمها فقط لتفنيد المزاعم الشوفينية وأزلامها من الكتبة والمتسلقين وأن هذه السياسات الع لا تخدم المصلحة الوطنية العليا، وليس القصد من ذلك بأحقية الكرد عدا غيرهم من المكونات في وطنهم سوريا ومن المعيب الدخول في مساجلات لا فائدة منها سوى المزيد من التمزق. لكن لنوجه أنظار هؤلاء الناس إلى أن المسالة لها وجه آخر هو أن سياسات القهر والظلم والاستبداد ونفي الآخر وتهميشه سياسات مستهجنة منافية لروح القانون ومبادئ العدالة، هي بالضد للمصلحة الوطنية العليا وتقود بالنهاية إلى حالة كارثية وخيمة على الشعب والوطن كما نعيشها اليوم.

إن هذه السياسة وهذا النهج العنصري إن هو إلا أهم وأخطر جذور الأزمة السورية وقد أثبتت الدراسات السيكولوجية والأنتربولوجية أن النزعة العنصرية ليست سوى حالة ذهان يعاني أصحابها مركب نقص جمعي بالعجز عن إنجاز الاستحقاقات الوطنية.

إن النضال العادل للشعب الكردي إلى جانب نضال مكونات الشعب السوري عامة من أجل تحقيق الأهداف المشروعة هو تعزيز لنضال كافة المكونات الوطنية والديمقراطية ضد الاستبداد والديكتاتورية وهو تمتين للوحدة الوطنية السورية والسير قدماً من أجل الوصول إلى عقد اجتماعي حقيقي جديد يقوم على أسس العدالة والمساواة ويضمن حقوق كل المكونات القومية والدينية على أساس دولة لامركزية ديمقراطية تعترف بخصوصية هوية المكون ليرتقي بعدها إلى هوية شاملة هي الهوية السورية الجامعة.

المرأة السورية ومراحل تطورها

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

منذ ان وجدت الهة الخصب والجمال عشتار وحتى ملكة تدمر زنوبيا، كانت المرأة في سورية تلعب دورا فاعلا في حياة المجتمع.

و بدأت مشاركة المرأة السورية في الحياة العامة منذ نهايات القرن التاسع عشر، بعد انتشار فكر النهضة، والدعوة الى تحرر المجتمع والخلاص من الاستعمار العثماني، فقد شهدت دمشق أول مظاهرة نسائية تهتف بسقوط الاحتلال العثماني

للمرأة السورية دور كبير في مقاومة الاحتلال الفرنسي ولا ننسى دور نازك العابد ومشاركتها مع يوسف العظمة، في التصدي للجنرال غورو، وكانت برتبة نقيب في الجيش السوري.

لكن رغم ذلك لم يكن من حق المرأة التصويت او الترشح او الانتخاب، حتى جاء انقلاب حسني الزعيم عام اذ تم 1949 تعديل الدستور السوري وجاء في المادة 7: "لكل سوري وسورية أتم الثامنة عشر من عمرة أول كانون الثاني من السنة التي يجري فيها الانتخاب أن يكون ناخباً."

وفي زمن الوحدة بين مصر وسورية عام 1958 من خلال انتخابات مجلس الأمة في عام 1960 " حصلت امرأتان من أصل 200 عضو من الإقليم الشمالي (سوريا) وهما جيهان الموصلي ووداد الازهري."[1]

وفي عام 1971 شكل مجلس شعب جديد بالتعيين وكان للمرأة فيه 4 مقاعد وكان من أهم أهدافه وضع دستور جديد للبلاد، وقد تطور بعد ذلك دور المرأة في المجالس التشريعية حتى وصل إلى 12% من مجموع المقاعد، أي 30 مقعد من أصل 250 في الوقت الحالي.

أولا: المرأة في الدستور السوري:

نصت المادة 23 من الدستور السوري المعدل والصادر بتاريخ 15 شباط 2012

"توفر الدولة للمرأة جميع الفرص التي تتيح لها المساهمة الفعالة والكاملة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتعمل على إزالة القيود التي تمنع تطورها ومشاركتها في بناء المجتمع." (* الدستور السوري المعدل شباط عام 2012)

[1] موقع التاريخ السوري المعاصر

وبالطبع هذا الدستور وضع بعد اندلاع الثورة السورية، كمحاولة لتخفيف الاحتقان، والالتفاف على الجماهير المنتفضة، فالكل يعرف ان النظام في ظل البعث انما لا يهتم بقدرات المرأة ، بل يقدمها من خلال التعيين ، كجزء من ديكور لاظهار الدولة كدولة علمانية ومدنية.

مكاسب المرأة الدستورية:

حصلت المرأة السورية على مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة مقارنة مع النساء في الدول العربية ولعل ومن بعض هذه المكاسب:

- حصول المرأة على حق الانتخاب والترشيح وزيادة نسبة النساء في مجلس الشعب، ودخول الوزارة لأول مرة في التاريخ عام 1975
- حصولها على حق التعويض العائلي في حال عدم حصول الزوج عليه.
- تمتعت بحق الملكية الخاصة والاحتفاظ باسمها وجنسيتها بعد الزواج.

وكذلك صدور بعض القوانين التي تساوي بين الرجل والمرأة من حيث الحقوق والواجبات كالأجر وساعات العمل.

المرأة في الحياة السياسية السورية:

لقد تمكنت المرأة السورية من الحصول على حق الانتخاب والترشح مبكرا، فمثلا في عام 1950 رشحت ثريا الحافظ نفسها في انتخابات البرلمان وفي عام 1971 أصبح للمرأة أربعة مقاعد في البرلمان من أصل 173 مقعداً، ازداد بعدها عدد المقاعد البرلمانية النسائية حتى وصلت إلى 12% من مجمل مقاعد البرلمان السوري في الانتخابات التشريعية للعام 2012.

كذلك استطاعت المرأة ممارسة العمل السياسي، فعملت كوزيرة، وسفيرة ومستشارة لرئيس الجمهورية، وغيرها من المجالات، ومن المعروف ان العديد من النساء السوريات، دخلن المعتقلات، والسجون في عهد البعث، في فترة الثمانينات بشكل خاص، بسبب نشاطهن السياسي، وحتى الفكري او الثقافي، وبشكل عام كانت المرأة السورية تميل الى التيارات السياسية اليسارية، كالاحزاب الشيوعية بشكل خاص.

ويمكن القول في ختام هذه الفقرة انه لم يكن حال المرأة السورية قبل الحرب جيداً، لا من الناحية المجتمعية ولا الدستورية أو القانونية. ورغم الدعاية التي كانت تُروَّج على أن النساء في سورية يمارسن دورهن المجتمعي والسياسي بشكل جيد؛ إلا أن الواقع كان بعكس ذلك .

المنظمات النسوية ودور المرأة في الثورة السورية:

قبل بدء الثورة السورية لم تكن هناك فعاليات علنية او منظمات حرة ومستقلة للمرأة في سوريا سوى ما كان يسمى : " الاتحاد النسائي العام في سوريا " وكان يشرف عليه حزب البعث العربي الاشتراكي، ولم يكن ذا تأثير يذكر، سوى انه تجمع نسائي للبعثيات.

ولكن وبعد بدء الثورة السورية في آذار 2011، ظهر عدد كبير من منظمات "المجتمع المدنيّ" سواء في سوريا او من قبل السوريين الذين واللواتي تم تهجيرهم الى دول الجوار او الدول الاوربية، وقد تشكّلت العديد من المنظمات التي تُعنى بشؤون المرأة.

والحقيقة تحولت تلك المنظمات او معظمها الى ما يشبه الجمعيات الخيرية او الإغاثية، وصار هم العديد منها الحصول على الدعم المادي او التمويل، وإقامة مشاريع لا علاقة لها بشؤون المرأة، ولم يذكر اننا سمعنا او تلمسنا شيئا من إنجازات تلك المنظمات والمؤسسات التي ظهرت.

هذا بالإضافة الى ان هناك الكثيرمن العقبات التي تواجه المنظمات النسوية، وأهم هذه العوائق هي الذهنية الذكورية التي تسيطر وتعشش في المجتمع السوري عامة.

ولكن وبالرغم من الصعوبات، استطاعت العديد من النساء السوريات كسر القيود والتصدي للمفاهيم التقليدية المعروفة وان تحصل على مكتسبات جديدة تتمثل في مفهومي الاستقلالية والتحرّر.

المرأة والثورة السورية ومؤسسات المعارضة:

منذ الايام الأولى للثورة في آذار 2011، كان للمرأة السورية مشاركة واضحة فيها، على الرغم من العنف والقسوة التي كانت تواجه المنتفضين والمنتفضات من قبل أجهزة النظام الأمنية والعسكرية وجاءت مشاركة المرأة السورية ضدّ الممارسات والقوانين التي أهدرت كرامتها لعقود من حكم البعث ونزعة التسلط لديهم، ولكنها ومع الوقت وجدت نفسها تهمش من جديد، لا سيما بعد ان امسك بزمام الحراك الشعبي او الثورة جماعات الاخوان المسلمين، والجماعات الإرهابية التي لا ترى في المرأة سوى جسد للمتعة والخدمة في المنزل، وهكذا وجدت المرأة السورية نفسها من جديد في نقطة الصفر، بل لعلها بدأت تعاني في أجواء ما سميت بالمعارضة السورية اكثر مما كانت تعانية في ظل نظام البعث.

من هنا يمكن القول ان المرأة من أبرز الخاسرين في هذه الثورة التي سرقتها العصابات المسلحة وحولتها الى مجرد حرب أهلية وطائفية، وبعد ظهور الجماعات المتطرفة تم التعامل مع المرأة كعبدة، وليس هذا فحسب بل تم التنكيل بالمرأة، اذ تعرضت للخطف والاغتصاب والقتل من قبل المجموعات المتحاربة على الأراضي السورية، وفي إحصائية لموقع المرصد السوري لحقوق الانسان فقد أثبتت وبالوثائق عدد النساء اللوات قتلن او غيبن من قبل النظام والمجموعات المسلحة وتركيا ومنذ إنطلاقة الثورة السورية في 15 من آذار 2011 وحتى الأول من آذار 2021 استشهاد 13843 مواطنة فوق الـ 18 سنة[2].

[2] إحصائية المرصد السوري

الاستغلال والعنف والاتجار بالنساء في المخيمات:

ومن ناحية أخرى، وبعد سيطرة الفصائل المسلحة على بعض المناطق كإدلب وريفها مثلا تم إلغاء أي دور للمرأة في جوانب الحياة، سياسيا وثقافيا واجتماعيا بسبب الفكر السلفي والديني الذي يحرم على المرأة أي نشاط، غير الخدمة في المنزل، وانجاب الأطفال، وكان من قبل ولا سيما للمرأة في الريف دورا واضحا في مجال الاعمال الزراعية بشكل خاص، وبعد احتلال الريف من قبل المجموعات المسلحة تم منعهن حتى من هذا المجال أيضا، فازدادت البطالة والفقر بينهن، لاسيما وان العديد من تلك النساء قد فقدن معيلهن سواء كان الزوج او الأبناء.

هذه الظروف كانت أكثر قساوة في المخيمات التي تم تهجير النساء اليها، لا سيما في المخيمات الموجودة في الأردن او في تركيا، حيث تفيد التقارير الصحفية والميدانية عن حالات مرعبة من الاستغلال الجنسي، والاتجار بالنساء وبيعهن من قبل مجموعات تعمل لصالح فصائل مسلحة، او مجموعات من المافيا التركية، تقول الممثلة الخاصة للامين العام والمعنية بالعنف الجنسي في حالات الصراع السيدة زينب بانغورا: "يرتكب العنف الجنسي في سياق الأزمة السورية بشكل استراتيجي، وبطريقة منظمة وواسعة النطاق، ودرجة عالية من التطور من قبل معظم أطراف النزاع".[3]

كما وأضافت السيدة بانغورا قائلة: "سمعت عن الزواج القسري المؤقت والمبكر بما في ذلك من المقاتلين كمساهمة في الجهاد أو كشكل من آلية "الحماية" حيث ليس للعائلات أية وسيلة أخرى لتوفير أو لضمان سلامة الفتيات الصغيرات. سمعت عن بيع ومبادلة النساء والفتيات بين المقاتلين والجماعات كجزء من الاقتصاد السياسي للصراع" *المصدر السابق.

كما وقد كشفت العديد من التقاريرالجرائم و الفظاعات التي ترتكبها مجموعات المعارضة والمسلحين في سجونهم ضد النساء بحجج عديدة، ولأسباب سياسية اغلب الأحيان/ فيتم الاعتداء عليهن جنسيا، كأداة حرب للقمع وكسر الإرادة .

2-المرأة الكردية في سوريا و روج آفا:

- لأن الثورة تتغير نحو الافضل وتكون هادمة لآلة الجهل و التخلف , فالمرأة الكردية اثبتت بجدارة انها تستحق ان يكون لها دور فاعل و مشاركة في الحياة الاجتماعية دون انتقاص من كرامتها , التوجه العام تحول بعد الثورة إلى مؤسسات المجتمع المدني المتمثلة بالجمعيات و المراكز الاجتماعية منها و الانسسانية , فقد كان حضورها لافتا ف كل مجال و كل دور تلعبه و سواء تغيرت نظرة المجتمع للمرأة أم لم تتغير. ما يهم ان الثورة اصبحت تفرض وقائع ملموسة يالنسبة إلى المرأة كما انها لامست جرحها بل كانت هذه الثورة هي الفرصة الافضل لها لإثبات ذاتها في المجتمع و اقناع اكبر شريحة فيه بقبولها كإنسانة فاعلة داخل و خارج المنزل . عندما نقارن بين شحصية المرأة في الوقت الراهن أي في ظل الثورة وما قبل الثورة , نرى هناك تغيير

3 موقع اخبار الأمم المتحدة https://news.un.org/ar/audio/2015/05/329612

واضح وضوح الشمس . نستطيع القول بأن المرأة قبل الثورة كانت جسدا بلا روح فجاءت الثورة وبعثت فيها الروح لتحيا من جديد و ترى نفسها بأنها إنسان ويحق لها العيش كإنسان . قبل الثورة كان دور المرأة منحصر داخل المنزل و تربية الأطفال , و قلة قليلة جدا تعمل في سلك التعليم الذي هو ايضا مرتبط بتربية الاطفال . اما في ظل الثورة طرأ تغير كبير على المرأة و اصبحت فاعلة اكثر و تقوم بدورها فعليا بكونها نصف المجتمع داخل المنزل و خارجه , وهنا لا نقصد العمل فقط , بل القصد هو شخصيتها , تفكيرها و قراراتها التي تخص تطورها و ايضا تطور المجتمع و تسيير شؤونه . حيث لم تكن المراة الكردية في ظل ثورة غربي كردستان ((ثورة 19 تموز)) كما المرأة العادية و مع نهوض الثورة قد فرضت نفسها و بقوة ولتكن هي جسد و روح الثورة من كافة النواحي و المجالات و اعتمدت المرأة في روج افا ان الفلسفة الاوجلانية هي الاساس في بناء ذاتها بالثورة و إثبات نفسها و هي حماية خاصة بها باسم ((وحدات حماية المرأة)) لتلعب الدور الاساسي في الإدارة و الدفاع و تصبح روح الثورة من كافة النواحي الدفاعية و السياسية و الاقتصادية و الإدارية . بعد سنين طويلة من الحرمان و النكران لحقوقها حصلت المرأة على فرصتها التاريخية إبان ثورة روج افا , و استطاعت تحقيق الكثير فيم يخص حريتها مما دفع البعض إلى الإكثار من اللغط بحقها , لكن رغم ما قيل عنها بأنها فهمت الحرية بشكل خاطئ و انه لا يحق لها سوى ان تعمل داخل المنزل و .. , تابعت المسير حتى حققت انجازات تحتاج لطاقات هائلة على مختلف الصعد , فضلا عما حققته في مجال تحرر المراة الذي لا يزال موضع نقاش عند البعض و اللغط عند البعض الاخر . و لعل ابرز ما حققته المرأة هو نظام الرئاسة المشتركة.

- يحث القائد عبد الله أوجلان على النظر في ثورة المرأة على أنها ثورة ثقافية، ويقول في مرافعاته:" لقد أضاع النظام منذ زمن بعيد فرصة تقويم نفسه بالإصلاح، فما يلزم هو "ثورة نسائية " تسيَّر كافة الحقول الاجتماعية، فكما أنّ عبوديةَ المرأة هي أعمق العبوديات، فثورة المرأة أيضًا يجب أن تكون أعمق ثورات الحرية والمساواة"

كان للمرأة مشاركة في الثورات على مرّ التاريخ، ولكن دون إبراز طابعها الخاص، أو تنظيمٍ وحركةٍ تنادي بحقوق وحرية المرأة، وكان دورها ينتهي مع انتهاء الثورة، أيضًا إن ما ميّز ثورة روج آفا عن الثورات السابقة هو تنظيم المرأة في كافة المجالات ، والاستمرارية في تطوير هذا التنظيم والمحافظة على طابعها النسوي خلال الثورة، وهذا ما جعل منها ثورة المرأة. وأبرزت المرأة وجودها في كافة المجالات، ونظمت نفسها في الساحات السياسية والدبلوماسية والعسكرية والمدنية وغيرها، فهناك أكثر من 20 جهة نسائية خاصة تعمل في شمال وشرق سوريا, منها (مؤتمر ستار تأسس عام 2005، مجلس المرأة في شمال وشرق سوريا تشكل عام 2019، مجلس المرأة السورية تأسس عام 2017، منظمة سارا لمناهضة العنف ضد المرأة تأسست عام 2013 ، دار المرأة للتدريب والتوعية 2013، هيئة المرأة في شمال وشرق سوريا 2014، لجان ومجالس المرأة في الإدارات المدنية، وحدات حماية المرأة تشكلت في آذار 2013، أسايش المرأة، علم المرأة (جينولوجي) افتتحت أول أكاديمية لها في مقاطعة عفرين قبل احتلالها في تموز 2017، واتحاد المرأة الشابة، اتحاد إعلام المرأة) عدا عن كومينات المرأة، وفي كل مؤسسة وهيئة وإدارة

لجنة خاصة بشؤون المرأة). ناهيك عن الدور الذي أدته المرأة في المجال السياسي والدبلوماسي، ومشاركتها في المنتديات والمحاضرات العالمية فيما يخص الأزمة السورية، ومناقشة قضايا الشرق الأوسط. بالإضافة إلى ما حققته المقاتلات ضمن وحدات حماية المرأة من مقاومة وبطولات في الحروب الدائرة على المنطقة بدءًا من حرب كوباني وعفرين، ومؤخرًا هجمات الاحتلال التركي على مدينتي كري سبي وسري كانيه في 9 تشرين الأول 2019، والأهم من ذلك قيادتها لحرب القضاء على الإرهاب المتمثل بمرتزقة داعش وتحريرها للآلاف من الإيزيديات. والآن تقاوم المرأة ضد هجمات الاحتلال التركي ومرتزقته، وتقود الحرب الشعبية في شمال وشرق سوريا، وخاصة في المناطق المحتلة في عفرين وكري سبي وسري كانيه، حتى أصبح الاحتلال التركي يخشى من قيادتها للثورة، فأصبح يحاول القضاء عليها، كاستهدافه للأمينة العامة لحزب سوريا المستقبل هفرين خلف في تشرين الأول 2019، ولمنسقيات مؤتمر ستار في الإقليم فرات زهرة بركل، هبون ملا خليل وأمينة ويسي في 23 حزيران 2020، ناهيك عن جرائمه بحق النساء في المناطق المحتلة للنيل من ثورة المرأة. وصلت المرأة بتنظيمها إلى المستوى المطلوب خلال ثورة روج آفا, أعطت المرأة شكلًا وطابعًا خاصًّا للثورة جعلتها مختلفة عن الثورات السابقة، فهناك الآلاف من النساء في مناطق شمال وشرق سوريا يدرن المجالس والمؤسسات المدنية والسياسية والعسكرية والهيئات، ناهيك عن دورهن في الرئاسة المشتركة. ومع مسيرة حافلة بالتنظيم والتضحيات في قيادة ثورة روج آفا، لا بد أن تكون هناك نواقص وعوائق في التنظيم الذاتي، والتطوير الفكري والذهني. يقول القائد عبد الله أوجلان في مرافعة الدفاع عن الشعب:"من الواقعي اعتبار قرننا مرحلة اجتماعية ستتصاعد فيها إرادة المرأة الحرة، لذا يجب التفكير في المؤسسات الراسخة اللازمة للمرأة وتأسيسها، ربما لأجل القرن بأكمله، وقد تتولد الحاجة إلى أحزاب حرية المرأة، حينها ستكون ذرائع تأسيس هذه الأحزاب ومهامها الرئيسة متمثلة في توطيد المبادئ الإيديولوجية والسياسية، وتكون الأولولية فيها للحرية وإدراجها حيز التنفيذ والإشراف على ذلك وتسييره".

تأثير تنظيم المرأة في روج أفا إقليميًّا وعالميًّا, مقاومة المرأة في حرب كوباني عام 2014، وتضحية آرين ميركان وريفانا روج آفا في عمليتهما الفدائية، وظهور المرأة في المحافل السياسية روّج لثورة المرأة في روج آفا، ولفت أنظار النساء من الداخل وكردستان والعالم، للتعرف على سر ثورة روج آفا. وكل هذا سبقه انبعاث المرأة في كافة المجالات، الأمر الذي دفع نساء الشهباء وحلب ومنبج والرقة والطبقة ودير الزور بعد تحريرهن من مرتزقة داعش إلى عدم ترك مجال أو فراغ لسير الحياة في تلك المدن كالسابق، والبدء بتنظيم المرأة وانخراطها في مختلف المجالات، استنادًا إلى ما قدمته في مناطق روج آفا. وعدا عن ذلك، دفعت النساء في روج آفا العشرات من الأمميات من مختلف البلدان العالمية للتوجه إلى المنطقة والتعرف على سر ثورة روج آفا، وانخراط العديد منهن في صفوف العمل التنظيمي والعسكري، إيمانًا منهن بمبدأ حرية المرأة التي تناضل من أجلها نساء شمال وشرق سوريا. بالتوعية الفكرية والذهنية ستؤثر المرأة أكثر في الثورة. نائبة الرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي في مدينة منبج جميلة أحمد، قالت "يمكن أن تؤثر المرأة أكثر في ثورة روج آفا بالتوعية والتطوير الفكري والذهني، واتخاذ مبدأ حريتها أساسًا لها، عليها أن تقضي على الذهنية الثانوية والاقتناع بأنها المسؤولة والمعنية أكثر بإدارة المجتمع فكريًّا

واجتماعيًّا وسياسيًّا وغيره". وبحسب استطلاع في مختلف مناطق شمال وشرق سوريا وخاصة بين النساء اللواتي يعملن في مختلف المجالات، يظهر اتفاق حول افتقار المرأة إلى الوعي الثقافي والفكري، ما يجعلها غير واثقة من الجهود التي تبذلها، أو غير قادرة على التعبير عن قدراتها، نتيجة الكبت الذي مورس عليها على مرّ التاريخ؛ واتحدت مطالبهن حول دراسة خصوصية المرأة ضمن المجتمع، والزيادة في حملات التوعية وتكثيف التدريبات الفكرية.

رغم أنها كانت مغيبة تماما عن السياسة إلا انها عبرت عن نفسها و بقوة في هذا المضمار و برزت الكثير من الشخصيات النسوية اللواتي حققن إنجازات في التاريخ الكردي و تاريخ روج افا عموما، و الكثير من النساء من روج افا برزت اسماؤهن و قدمن جهودا في المجال السياسي و الدبلوماسي . إن بناء و تأسيس وحدات حماية المرأة اعتبر صرخة في وجه الواقع المفروض على المرأة الشرق الاوسطية التي تم اقناعها بانها لا تصلح للعمل في السلك العسكري , و أنه يحتاج لمجهود بدني لا تستطيع المرأة تقديمه لذلك فهو مقتصر على الرجال فقط , إلا أن المرأة الكردية و بتشكيل وحدات حماية المرأة و حملها للسلاح و الوقوف بعزم في وجه وحشية داعش وطغيانه المستبد الإرهابي كسرت هذه القاعدة , حملت السلاح و سهرت الليالي لترابط على حدود الوطن.

لم تكن المرأة تحلم يوما حتى في أحلامها أن تسنح لها الفرصة بان تحمل السلاح بإرادتها وتدافع عن حقوقها و حقوق شعبها و كرامته , و أن يكون لها جيش خاص بها تحمي نفسها وشعبها وأرضها من الظلم و الاضطهاد . ولكن في ظل ثورة روج آفا حققت الكثير من الإنجازات في الساحة السياسية و الدوبلوماسية و العسكرية ,

الرئاسة المشتركة:

ونعني مشاركة المرأة للرجل في إدارة المجتمع بما يناسب المساواة الحقوقية و العدالة الاجتماعية , و هي بذلك تؤمن للمرأة قيادة المجتمع في مركز القرار و رفض كل أنواع التمييز العنصري و الجنسوي كما أنها في الوقت نفسه تساهم في رفع وتيرة الصراع ضد التمييز الجنسوي و الطبقي الذي كان يمنع المرأة من أدارة المجتمع , خاصة و ان التمييز بين الجنسين كان بداية النظام السلطوي القمعي و كان التمييز الطبقي السبب الأساسي في تدهور المجتمعات و اختلال التوازنات بين قوانين الطبيعة و اساسا للاضطهاد . بذلك يتم كسر هذه القاعدة و يتوجه الشكل الإداري في المساواة و العدالة و الحكم الصائب بمشاركة المرأة , أكثر الفئات تفهم لغة الطبيعة و الانسان و بذلك يتم وضع الاساس الصحيح للوصول إلى أكثر اشكال الحياة الديمقراطية ويتم تثبيت صحة النهج و الاسلوب في بناء الإدارة الاجتماعية التي تستند إلى قوة الجنسين في قيادة المجتمع. هذا المصطلح يضمن حق المرأة في قيادة و بناء المجتمع الديمقراطي الجديد, و الذي يمثل المبدأ الأساسي للأمة الديمقراطية . و بأعتبار المرأة من أكثر الفئات التي تم اضطهادها فيحق لها أن تكون من أولى الفئات التي تحرر نفسها و تحرر مجتمعها . ف للمرأة الحق في لعب الدور الفعال في ترسيخ نظام الإدارة الذاتية و ذلك من خلال روح المسؤولية الكبيرة في إنشاء هذا النظام الذي يستند إلى الحرية و المساواة الحقوقية, كما أنها تحافظ و تحمي و تبني النظام بطابع بعيد عن

ذهنية السلطة وطابع الجنس الواحد تماشيا مع توعية ذاتها على ثقافة المرأة الحرة و المجتمع الحر. هذا النظام هو الأنسب لإدارة المجتمع لأنه متمأسس على مبدأ المناصفة بين الجنسين المرأة والرجل في كافة مجالات و ميادين المجتمع , و لأن الحياة لا تستمر بجنس واحد فقط بل تستمر بمشاركة الجنسين . فإذا مضى المجتمع قدما بجنس واحد فقط سينقرض.

و لهذا, و مثلما كانت هذه البلاد هي مهد الحضارات قديما فأنها ستصبح نقطة البداية لنشر ثقافة الإدارة التشاركية في العالم . و ايضا مثلما كانت المرأة الآلهة المقدسة في هذه الجغرافيا , فإنها ستصبح الخلاص لجميع نساء العالم من الظلم و الاضطهاد و تكتسب حقوقها و حريتها . مبدأ الحياة قائم على الثنائيات بين جميع الكائنات و كذلك الانسان ... يعني ب يد واحدة لا يتكون المجتمع ويبقى اعرجا ... لا المرأة لوحدها تستطيع بناء مجتمع ولا الرجل لوحده ... انما يتكون المجتمع بالتشاركية بين الجسين و كلا منهم يلعب دور في بناءه .... كذلك الإدارة يجب ان تكون تشاركية بين المرأة و الرجل للأرتقاء بالمجتمع نحو التطور في ثورة روج افا اتبع نموزج الادارة التشاركية لتعم المساواة و العدل في المجتمع , و لكسر الذهنية الذكورية المركزية , لان هذه الذهنية هي اساس جميع القضايا و المشكلات التي عانى منها المجتمع , وما زال يعاني .

عوائق:

المشكلات التي تواجهها عدم تقبل مبدأ التشاركية بين المرأة و الرجل , عدم ثقة المرأة بقدراتها في الإدارة التشاركية , عدم تقبل الرجل مشاركة المراة في ادارة المجتمع و اتخاذ القرارات , عدم فهم المراة والرجل مبدأ الرئاسة التشاركية بشكل صحيح , و في اطار هذا النظام (النظام التشاركي) بدا يتبين قوة المرأة و دورها الفعال في ساحات الثورة , و بات المجتمع يرى ذلك بوضوح و يعطي اهمية و قيمة للمرأة , كما انه يستطيع ان يعتمد على المرأة مثل الرجل, بل و حتى اكثر منه لانه التمس ذلك في الثورة على ارض الواقع وان المراة معطاءة اكثر , ربما هذا بسبب غريزتها كأم تسمح لها بتقبل الجنس الآخر (الرجل) ,بعكس الرجل الذي لا يقبل سوى بني جنسه , و ايضا لان المراة بطبيعتها مرنة و متجددة الشخصية و طاقتها متدفقة .

المرأة في ميثاق العقد الأجتماعي:

المادة 27:

للمرأة الحق في ممارسة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكافة مجالات الحياة.

المادة 28:

للمرأة الحق في تنظيم نفسها، وإزالة كل أشكال التفرقة على أساس الجنس.

المادة 87:

تحدد نسبة التمثيل لكلا الجنسين في كافة المؤسسات والإدارات والهيئات بنسبة لا تقل عن 40%.

وبعد:

هناك حاجة ملحة لإدماج المرأة والرجل في رسم سياسات واستراتيجيات الحل السياسي في سورية، فلا يمكن أن يبنى سلام مستدام دون أن يكون نابعاً من الداخل وليس مفروضاً من أطراف خارجية، وهذا يتطلب قيام أحزاب سياسية سورية وطنية فاعلة، وتكثيف الجهود لرفع الأداء السياسي للقوى السورية المختلفة وأيضاً رفع مستوى أداء منظمات المجتمع المدني.

وأخيراً يجب دعم المنظمات النسائية العاملة في مختلف مناطق سورية، وخاصة في مناطق النزوح، وإفساح المجال أمامها لتقديم خدماتها وفق الاحتياجات التي تراها ملحة، ومناسبة للمجتمع، وفق خبرتها ومعرفتها للواقع المحلي، وليس وفق تصورات الأمم المتحدة التي تركز على أمور نظرية قد تكون بعيدة عن الاحتياجات الحقيقية للمجتمع وفئاته.

أثر الضرائب على الاقتصاد

علي جمعة

التعريف الأبسط للضريبة هو أنها رسوم إلزامية تفرضها الحكومة على المواطنين بهدف جمع الإيرادات اللازمة لتمويل نفقاتها دون الحصول على منفعة محددة في المقابل، أما عن التعريف القانوني الأكثر تعقيدًا في الظاهر فيمكننا استخدام تعريف منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية .

الضرائب إلزامية: أي أنه يعاقب من لا يدفعها.

تُدفع الضرائب دون مقابل: بمعنى أن الضرائب التي يدفعها المواطنون يجب ألا تكون بالضرورة متناسبة مع المنافع التي يتلقونها من الحكومة، وبالتالي فالمواطنون الذين يدفعون ضرائب أكثر لا يحق لهم أن يطالبوا بمنافع أكثر من التي يتلقاها باقي دافعي الضرائب. و تنقسم الضرائب في هذا التصنيف حسب طريقة جبايتها إلى ضرائب مباشرة وضرائب غير مباشرة.

الضرائب المباشرة

يتم تعريفها ببساطة على أنها الضرائب التي تُدفع مباشرة من قِبل الأفراد والشركات للحكومة، ويستند هذا النوع من الضرائب إلى مبدأ القدرة على الدفع حيث أن من يملك قدرًا أعلى من الموارد (راتبًا أكبر أو أرباحًا أكثر) تُفرض عليه نسبة أعلى من الضرائب، لهذا فالضرائب المباشرة لها عدة ميزات منها: أنها تمكّن من المساهمة في توزيع الثروة بشكل عادل عن طريق أخذ المال من الأغنياء ثم استخدامه من طرف الحكومة في تمويل الخدمات الموجهة للفقراء، كما أنها تستفيد مباشرة من ارتفاع الدخل القومي، حيث تمثل موردًا كبيرًا للحكومة في حالة النمو الاقتصادي الكبير، أما عن عيوب هذا النوع من الضرائب فأهمها: أن هذه الضرائب قد تؤثر بالسلب على إرادة العمل والادخار حيث أن نسب الضرائب المرتفعة على الدخل قد تجعل الأفراد والشركات يعزفون عن العمل الإضافي مخافة نسب الضرائب المرتفعة، كما أن الأفراد والشركات يكونون على علم بالتزاماتهم الضريبية بدقة (وفي بعض الأنواع من الضرائب المباشرة تكون عليهم مسؤولية تحديد الدخل كالشركات مثلًا) مما قد يدفعهم إلى التهرب الضريبي، فمثلا يمكن لأصحاب الشركات إعلان أرباح أقل من الأرباح الحقيقية وذلك لدفع مبلغ أقل للحكومة، أما عن بعض الأمثلة عنها فيمكننا ذكر بعضها بإيجاز:

الضريبة على الدخل: هي الضريبة التي تُفرض على الدخل السنوي للأفراد والمؤسسات، حيث يتوجب على كل فاعل اقتصادي تجاوز دخله السنوي حدًّا معينًا أن يدفع نسبة من دخله للحكومة كضريبة، فالراتب الذي تتلقاه من شركة في آخر الشهر هو راتب صافٍ بعد اقتطاع

الضرائب والرسوم الضريبة على الثروة: وهي ضريبة تُفرض على ثروات (أملاك) الأفراد والشركات فمن تجاوزت أملاكه حدًّا معينًا عليه أن يدفع عنها ضريبة للدولة، أما المثال الأشهر لهذا النوع من الضرائب فهو ضريبة الأملاك العقارية، والتي تُفرض على الأملاك العقارية بشكل سنوي.

الضرائب غير المباشرة

وتعرَّف الضرائب غير المباشرة بأنها الضرائب التي لا يدفعها الأفراد والشركات إلى الحكومة بشكل مباشر لكنها تُفرض على إنتاج السلع والخدمات وبيعها، والفرق الأكبر بين الضرائب غير المباشرة ونظيرتها المباشرة يتلخص في الآتي: أنه يمكن نقل عبئها من شخص إلى آخر، بمعنى أنه إذا افترضنا أنه تم تطبيق ضريبة بنسبة 10% على إنتاج السيارات فيمكن للشركات المنتجة للسيارات أن تقوم ببساطة برفع سعر سياراتها بنسبة قد تصل إلى كامل نسبة الضريبة (10%) وذلك ليحافظ على هامش الربح، وبهذا يكون من يدفع الضريبة حقيقة هو المستهلك وليس المُنتج.

إن من يدفع الضريبة هو المستهلك النهائي، بمعنى أنه إذا تم فرض الضريبة على عجلات السيارات فإن مصنع العجلات سيرفع ثمن العجلات التي يبيعها لمصنع السيارات ليحافظ على هامش الربح، وبنفس المنطق سيرفع منتج السيارات السعر بقدر ارتفاع تكلفتها، وبالتالي يبقى المستهلك النهائي للسيارة هو المتحمل الأكبر لعبء الضريبة. وللضرائب غير المباشرة ميزات منها: أنها تكون مُتضمنة أسعار السلع والخدمات فلا يشعر دافع الضريبة بها كما أنها تقلل فرص التهرب الضريبي إذا تمت إدارتها بشكل سليم، أما عن العيوب فنذكر: أن فرض هذه الضرائب مباشرة على السلع يرفع أسعارها ويؤثر سلبًا على المعدل العام للأسعار وأيضاً هذه الضرائب تُفرض على السلع والخدمات التي يشترك في استهلاكها الغني والفقير وبالتالي فهي لا تستند إلى مبدأ القدرة على الدفع، مما يجعلها غير عادلة للطبقات الأكثر فقرًا، أما عن بعض الأمثلة للضرائب غير المباشرة فنذكر المثالين الأشهر:

ضريبة المبيعات: ضريبة المبيعات يدفعها المستهلك عند شراء بعض أنواع السلع، حيث تتميز هذه الضريبة بأنها تُفرَض على بعض السلع فقط وبنسبٍ متفاوتة، فتكون نسبة الضريبة على السيارات مخالفة لنسبة الضريبة على الملابس مثلًا، والخاصية الأبرز لهذه الضريبة أنها لا تُدفع إلا على السلع التي يشتريها أو يصنعها المُنتج بهدف بيعها، لذلك فهي لا تُدفع على السلع الوسيطة التي تُشترى بهدف صناعة سلع أخرى كإطارات السيارات مثلًا # .

ضريبة القيمة المضافة: على عكس سابقتها التي تُدفع من طرف المستهلك النهائي فضريبة القيمة المضافة لا تُدفع مرة واحدة كضريبة المبيعات بل تدفع في كل مراحل الإنتاج، ففي مثال السيارات الذي ذكرناه فإن مصنع العجلات يبيع العجلات بثمن يضيف إليه نسبة الضريبة، الأمر نفسه يقوم به مصنع السيارات الذي يبيع السيارات إلى الموزع الإقليمي، هذا الأخير يبيع السيارات إلى المعارض المحلية مع احتساب الضريبة وفي النهاية يقوم كل معرض سيارات ببيع السيارات مع إضافة مبلغ ضريبة القيمة المضافة إلى فاتورة البيع، الجدير بالذكر هو أن كل بائع

يقوم بتحويل الفرق بين الضريبة التي دفعها للبائع السابق وبين الضريبة التي فرضها على المشتري.

الضرائب والسياسة الاقتصادية

كل القرارات التي تتخذها الحكومة في المجال الاقتصادي يفترض بها أن تهدف إلى تحقيق أهداف مدروسة بدقة ويمكننا تلخيص هذه الأهداف في أربعة محاور:

-تحفيز النشاط الاقتصادي عن طريق رفع معدلات النمو الاقتصادي.

-إيجاد فرص عمل بتقليل معدل البطالة.

-الحفاظ على ثبات الأسعار بالتحكم في معدل التضخم.

-تحقيق توازن العلاقات التجارية مع الخارج.

هذه المحاور الأربعة وغيرها تهدف في نهاية المطاف إلى تحقيق الرفاه الاقتصادي للمجتمع وتحسين الظروف المعيشية للمواطنين. (1) وتتخذ الحكومة قراراتها الاقتصادية باستخدام وسائل متعددة من أهمها الضرائب لتحقيق الأهداف التي أشرنا إليها فيما يصطلح عليه بالسياسة الاقتصادية، فالسياسة الاقتصادية ببساطة هي مجموع القرارات التي تتخذها الحكومة مستعينة بعدة وسائل (من أهمها الضرائب) لتحقيق أهدافها الاقتصادية ويبقى السؤال الأبرز: كيف يؤثر مقدار الضرائب التي تجمعها الحكومة من المواطنين على الاقتصاد ؟ ولنبقِ الأمور بسيطة دعونا نقسم السياسات الاقتصادية إلى قسمين حسب تأثيرها على الاقتصاد بشكل عام.

سياسات توسعية

تهدف الحكومة من خلال السياسات الاقتصادية التوسعية إلى تحفيز النشاط الاقتصادي برفع معدلات الإنتاج والاستهلاك مما يزيد الطلب العام على السلع والخدمات ويرفع مستوى الأسعار (العلاقة بين الطلب والأسعار طردية، كلما زاد الطلب على سلعة ما ، زاد سعرها) وتقوم الحكومة بسياسة اقتصادية توسعية عن طريق تخفيض الضرائب المباشرة وغير المباشرة على الأفراد والشركات مما يؤدي إلى رفع الطلب العام، كيف ذلك؟ برفع معدلات الاستهلاك عن طريق زيادة الدخل المتاح للمواطنين: حيث أنه بتخفيض الضرائب المباشرة (كضريبة الدخل) سيزيد من المبلغ المتبقي في المرتب وبالتالي يرتفع دخل الأفراد، أما عن الضرائب غير المباشرة فخفضها سيؤدي إلى انخفاض أسعار السلع والخدمات مما يجعلها في متناول عدد أكبر من المستهلكين وبالتالي يرتفع الطلب عليها واستهلاكها برفع معدلات الاستثمار عن طريق زيادة الربح النهائي للشركات: حيث أنه بخفض معدلات الضرائب المباشرة كضريبة الأرباح حيث تتم زيادة الربح النهائي للشركات (الربح النهائي = المبيعات -التكلفة-الضريبة) فإذا خُفضت الضرائب التي تدفعها شركتك للدولة فذلك سيزيد من ربحها مما يمكنها من زيادة الإنتاج، أما عن

الضرائب غير المباشرة فانخفاضها سيقلل من جهة تكلفة المواد الأولية وبالتالي زيادة الأرباح، ومن جهة أخرى فزيادة الطلب على السلع سيؤدي إلى زيادة المبيعات.

سياسات انكماشية

يقتصر مصطلح "الضرائب" من جهة أخرى على أنها المدفوعات الإلزامية دون مقابل والتي يدفعها المواطنون إلى الحكومة العامة في حالة إذا ما ارتفعت الأسعار بشكل كبير حيث تلجأ الحكومة عادة إلى كبح النشاط الاقتصادي باستخدام السياسات الاقتصادية الانكماشية، فتقوم تلك السياسات بتخفيض معدلات الإنتاج والاستهلاك مما يخفِض الطلب العام على السلع والخدمات ويخفض مستوى الأسعار (العلاقة بين الطلب والأسعار طردية، كلما انخفض الطلب على سلعة ما ،انخفض سعرها). والانكماش عكس التوسع، الأمر نفسه يسير على السياسة الاقتصادية، فالحكومة تقوم بسياسة اقتصادية انكماشية عن طريق رفع الضرائب المباشرة على الأفراد والشركات مما يؤدي إلى خفض الطلب العام، بمعنى: إذا فهمت الحكومة ما تقوم به في إطار سياستها الاقتصادية التوسعية فالأمر بسيط جداً، الحكومة تقوم بالعكس تمامًا عندما تطبق سياسة اقتصادية انكماشية، فرفع الضرائب المباشرة على الأفراد سيقلل من دخلهم المتاح مما سيؤدي إلى خفض استهلاكهم، ورفع الضرائب غير المباشرة على السلع سيؤدي إلى ارتفاع أسعارها وبالتالي انخفاض الطلب عليها والتقليل من استهلاكها كما ذكرنا ، أما عن رفع الضرائب على الشركات، فزيادة الضرائب المباشرة على الأرباح ستؤدي إلى انخفاض الربح النهائي، وزيادة الضرائب غير المباشرة على السلع سترفع أسعارها وتؤدي بذلك إلى انخفاض الطلب ثم إلى انخفاض المبيعات ثم إلى انخفاض الأرباح النهائي و تلعب الضرائب دوراً مهماً في اقتصاديات الدول كافة بوصفها أداة من أدوات السياسة المالية في التأثير على الإنتاج والاستهلاك والادخار وتحقيق الاستقرار الاقتصادي، والضرائب لها آثار اقتصادية سلبية وايجابية، وسأتحدث هنا عن تأثير زيادة الضرائب بشكل متكرر ومبالغ فيه على استهلاك الفرد مما يؤثر بالتالي على المنتجين (السلع والخدمات) والموزعين (محليا وخارجيا) ومستوى الأسعار العام.

إن زيادة الضرائب بشكل متكرر ومبالغ فيه يؤثر على تكلفة الانتاج والتوزيع وبالتالي يدفع أصحاب الأعمال الى اتخاذ تدابير مالية داخل تلك المؤسسات والشركات قدر الإمكان لتخفيف تأثير الضرائب على أسعار منتجاتهم وخدماتهم للمحافظة على قدرة تلك البضائع والمنتجات على المنافسة، ولتحقيق ذلك يلجأ أصحاب الاعمال إلى تحميل الأعباء الجديدة من الضرائب على التكاليف الداخلية للإنتاج مثل: # ترشيد استهلاك الطاقة وتكاليف الانتاج، ولكن وبسبب الضغوط الاقتصادية المستمرة فإن معظم المؤسسات والشركات تقوم بعمليات الترشيد منذ وقت طويل وأصبح مجال التحسين والترشيد محدودا جدا، تقليل عدد الموظفين وهذا سيؤثر على نسبة البطالة ، # تقليل التكاليف بتخفيض مستوى الجودة للمنتجات والخدمات، وهذا حل عملي ولكن من شأنه اضعاف القدرة التنافسية للمنتجات والخدمات،

تخفيض رواتب الموظفين والعمال والمتعاقدين، وهذا حل عملي ولكن له آثار سلبية على مستوى الدخل العام للفرد ومستوى جودة الحياة،

التهرب الضريبي وهذا متوقع وبشدة لأن الحلول أعلاه كلها صعبة وسيلجأ معظم أصحاب الاعمال إلى تجنبها قدر الامكان،

خلق بيئة مناسبة لنمو طبقة من الفاسدين داخل الكيان الضريبي للتكسب من هذه الحالة إن فشلت كل الحلول أعلاه وقد يضطر أصحاب الأعمال إلى إنهاء مشاريعهم والخروج من السوق تاركين ورائهم أثراً كبيراً على مستوى البطالة والانتاج والخدمات وعلى صحة الاقتصاد بشكل عام. وللتوضيح العام، يؤدي ارتفاع الضرائب الى انخفاض الميل للاستهلاك وازدياد الميل للادخار مما يؤثر سلبا في الأمن الاقتصادي للبلد. (2).

فالضرائب المباشرة موجهة لأصحاب الدخول المرتفعة وبالتالي فإن الاستهلاك لا يتأثر بشكل كبير، أما الضرائب غير المباشرة فهي موجهه لأصحاب الدخول المنخفضة ويكون تأثيرها على الاستهلاك كبير لأن الميل للاستهلاك لهذه الطبقة كبير، كما أن زيادة الضرائب يخفف المقدرة الاستهلاكية وبالتالي فهي تقلل حجم الاستهلاك في الاقتصاد الكلي، إن تأثير الضرائب على الاستهلاك يتناسب عكسياً مع حجم الدخل، أي أنه كلما كان حجم الدخل كبيرا كان أثر زيادة الضريبة قليلاً على الاستهلاك، وبشكل عام تعمل الضرائب على تحقيق الاستقرار الاقتصادي من خلال معالجة حالة الكساد أو معالجة حالة التضخم، ففي حالة التضخم تعمل الضرائب على امتصاص القوة الشرائية الزائدة، أي العمل على خفض الطلب الكلي ولا يتم ذلك إلا من خلال زيادة الضرائب الحالية أو فرض ضرائب جديدة وهذا صحيح نظرياً، أما في حالة الكساد فيتم خفض الضرائب بهدف رفع الطلب الكلي لزيادة وخلق قوة شرائية، وبالنسبة لجذب الاستثمار فإن الضرائب هي من أهم المؤشرات الاقتصادية التي يدرسها المستثمرون قبل اتخاذ قرار بدخول سوق معين، فإذا كان النظام الضريبي محفزاً للاقتصاد ويساعد البيئة الاستثمارية كان القرار إيجابياً والعكس صحيح، أي إن زيادة الضرائب الغير مدروسة ترفع دخل الدولة ولكن تطرد الاستثمار وتضعف الاقتصاد.. والسؤال الجديد هو: كيف تؤثر الضرائب على الاستقرار في الدول ؟

علاقة طردية:

تصاعد اتجاه الحكومات أو التيارات السياسية أو النقابات العمالية أو الميلشيات المسلحة أو التنظيمات الإرهابية نحو فرض أو تعليق فرض ضرائب وتطبيق رسوم على السلع والخدمات والقيمة المضافة مثلا في بعض الدول العربية خلال الأشهر الماضية ترك تأثيرات على التحولات الداخلية في بعض هذه الدول، وخاصة فيما يتعلق بموضوع الاستقرار، ومنها تفاقم الصدام بين الحكومة والمجلس النيابي، وتزايد احتجاجات بعض الفئات الاجتماعية، واستمرار تنظيم الإضرابات العمالية، وانتشار ظاهرة مقاطعة بعض السلع والخدمات. (3) لكن ذلك لا ينفي في الوقت ذاته أن بعض الدول اتجهت إلى تبني بعض تلك الآليات من أجل الحفاظ على استقرارها الاقتصادي، وذلك من خلال العمل على مواجهة انخفاض أسعار النفط، وزيادة مساهمة القطاعات

غير النفطية في الاقتصاد، فيما استندت إليها دول أخرى بهدف مكافحة التهرب الضريبي في مختلف مجالات القطاع الخاص، وتقليص ممارسات الفساد في التحصيل الضريبي، ومواجهة أعباء اقتصاديات الحرب. وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مجموعة من العوامل تفسر لجوء الحكومات العربية إلى بدء تطبيق رفع قيمة أو تعليق زيادة الضرائب خلال الآونة الأخيرة وذلك على النحو التالي:

استقرار مؤسساتي

الدول العربية كأمثلة:

1- تفادي الصدام بين السلطتين التشريعية والتنفيذية: صادق البرلمان التونسي في 10 ديسمبر 2016 على ميزانية عام 2017 بعد موافقة 122 نائبًا من مجموع 217 نائبًا بعد حذف مقترحين للحكومة يتعلقان بفرض ضرائب تخص المحامين (أقر البند 29 من مشروع قانون المالية لعام 2017 فرض رسم جبائي على كل أعمال المحامين من قضايا وعقود يحررونها، يقدر بـ60 دينارًا، أي حوالي 27 دولارًا، وهو ما لاقى اعتراض المحامين)، وزيادة الرسوم على أصحاب الصيدليات، وقد سعت الحكومة إلى تفادي الصدام مع المجلس النيابي، لا سيما بعد تنامي المعارضة من النقابات، خاصة الاتحاد التونسي للشغل.

تقليص العجز:

2- إصلاح عجز الموازنة العامة: أعلنت الحكومة الأردنية مثلا في 9 فبراير 2017 عن زيادة جديدة في الضرائب والرسوم المفروضة على سلع وخدمات بنسب متفاوتة من أجل تقليص عجز الموازنة بعد تجاوز الدين العام 35 مليار دولار، فقد قررت الحكومة زيادة ضريبة المبيعات المفروضة على خدمات الإنترنت من 8 في المئة إلى 16 في المئة، كما زادت الضريبة الخاصة على السجائر ما بين 0,67 دولار و1,7 دولار، وكذلك زادت الضريبة الخاصة على المشروبات الغازية بنسبة 10 في المئة، فضلاً عن ذلك، رفعت الحكومة أسعار المشتقات النفطية خلال الأشهر الثلاثة الماضية. وتسعى الحكومة من خلال تلك الإجراءات إلى تحصيل ما يقارب 653 مليون دولار لخفض عجز الموازنة في عام 2017 (أقرها البرلمان الأردني في يناير الماضي وبلغت نحو 12,6 مليار دولار) والذي من المتوقع أن يصل إلى 1,1 مليار دولار.

صدمات النفط:

3- مواجهة انخفاض أسعار النفط: اضطرت الحكومة الجزائرية مثلا لمراجعة سياستها الضريبية بعد تراجع أسعار النفط بنسبة تجاوزت 60% مقارنة بما كانت عليه في منتصف عام 2014 وفي هذا السياق، أقرت الحكومة قانون الموازنة لعام 2017، وتضمن ضرائب ورسومًا جديدة، وتقليص المخصصات المالية الموجهة لدعم الصحة والإسكان والمواد الاستهلاكية الأساسية (البنزين، الدقيق، الزيوت الغذائية) بما يقلل عجز الموازنة، وهو ما أشارت إليه تصريحات رئيس الوزراء الجزائري عبدالمالك سلال التي قال فيها: "إن قانون الموازنة العامة

سيتضمن تعديلات على نظام الضرائب والرسوم، لكنها لن تمس القدرة الشرائية للمواطن"، ولأول مرة منذ سنوات تتجاوز نسبة الضرائب في قانون الموازنة الجزائرية الجباية النفطية التي ظلت لعقود المساهم الرئيسي في الموازنة العامة للدولة، ووفق الإحصاءات الرسمية لقانون الموازنة الجزائرية لعام 2017، بلغت 50,49 بالمئة من الإيرادات، بما يعادل نحو 25,8 مليار دولار، في حين كانت نسبة الجباية النفطية 39,04 بالمئة من التعديلات بما يعادل قرابة 19,8 مليار دولار، فالحكومة تبحث عن موارد مالية جديدة لمواجهة عجز الموازنة، ورفضت فرض الضرائب المباشرة مع الاتجاه لزيادة الضرائب غير المباشرة، مثل الرسم على القيمة المضافة والمنتجات البترولية، وكل ما يتعلق بالكحول والتبغ. وينطبق ذلك على دول مجلس التعاون الخليجي التي تخطط لتطبيق ضريبة القيمة المضافة بنسبة 5 في المئة ، وتستهدف تطبيق ضريبة السلع الانتقائية مثل المشروبات الغازية ومكونات الطاقة والتبغ . وقد دعت مديرة صندوق النقد الدولي كريستين لاجارد في تصريحات صحفية في 22 فبراير 2016 دول المجلس إلى فرض ضريبة على القيمة المضافة لمواجهة انخفاض أسعار النفط التي ستبقى على الأرجح على ما هي عليه "فترة طويلة"، وهو ما يتطلب في رؤيتها "تقوية إطاراتها المالية، وإعادة هندسة أنظمتها الضريبية عبر خفض اعتمادها الكبير على عائدات النفط، وتعزيز مصادر الدخل غير النفطي".

4- زيادة مساهمة القطاعات غير النفطية في الاقتصاد: على نحو يجنب بعض الدول مثل الإمارات تقلبات العرض والطلب الخاصة بأسعار النفط في الأسواق العالمية، لا سيما وأن إمارة دبى لديها تجربة رائدة في تنويع مصادر الدخل، وهو ما يتماشى مع فكرة الاستقرار الاقتصادي الذي تنعم به الإمارات على مدى عقود.

وفي هذا السياق، أقر المجلس الوطني الاتحادي الإماراتي في 15 مارس 2017، مشروع قانون اتحادي بشأن الإجراءات الضريبية. وتهدف الحكومة الإماراتية من القانون الجديد إلى زيادة مساهمة القطاعات غير النفطية في الاقتصاد، بحيث تصل إلى 80 بالمئة حتى عام 2021، في ظل تقلبات أسعار النفط في الأسواق العالمية، ووفقًا لتصريحات وزير الدولة للشئون المالية ، يهدف المشروع إلى إنشاء هيئة اتحادية للضرائب تتمثل اختصاصاتها الرئيسية في إدارة وتحصيل الضرائب الاتحادية، وتنظيم الحقوق والالتزامات المتبادلة بين الهيئة ودافع الضرائب.

تصحيح رواتب:

5- رفع أجور العاملين في القطاع الحكومي: كانت الحكومة اللبنانية برئاسة سعد الحريري تسعى إلى زيادة الضرائب في عدد من القطاعات تمهيدًا لإقرار زيادة أجور ورواتب القطاع العام، أو ما بات يُعرف بـ"سلسلة الرتب والرواتب"، وهو ما يأتي في سياق جهود رئيس الوزراء لإقرار أول موازنة رسمية للدولة في 12 عامًا حينما طالب بوقف الهدر والفساد المستشري في الدولة الذي أقر به، واعدًا بمحاربته، كما أقرت اللجان النيابية اللبنانية المكلفة بدراسة مشروع قانون سلسلة الرتب والرواتب تمويل السلسلة من خلال فرض عدد من الضرائب الجديدة، ومنها رفع الضريبة على القيمة المضافة من 10 في المئة إلى 11 في المئة، لكن المجلس النيابي

اللبناني أقر قسمًا منها في جلسة مخصصة لهذا الشأن في 16 مارس 2017، ورفعت الجلسة قبل الانتهاء منها كاملة بسبب خلاف في وجهات النظر بين النواب حول بنود تمويل السلسلة.

تقليص الفساد:

6- مكافحة التهرب الضريبي في مختلف مجالات القطاع الخاص: وهو ما ينطبق على تحرك الحكومة التونسية في إقرارها لمشروع قانون المالية لعام 2017 إزاء رجال الأعمال، وهم أكثر الفئات التي يعتقد أنها تتهرب من دفع الضرائب أو أنهم لا يكشفون بشفافية عن دخولهم. وهنا يسود اتجاه داخل الرأي العام التونسي يرى أنه من الإجحاف فرض نسبة ضرائب تقدر بحوالي 30 في المئة من الأجور على موظفي الدولة، في وقت يرفض فيه أصحاب المهن الحرة دفع الضرائب على الرغم من دخولهم المرتفعة. وفي هذا السياق تشير إحدى الدراسات الصادرة عن البنك الدولي إلى أن التهرب الضريبي قبل "ثورة الياسمين" في عام 2011 كلف الدولة على الأقل 1,2 مليار دولار، وهو ما ينطبق على دول عربية أخرى، فقد يكون الفساد في تحصيل الضرائب ذا تأثير تنازلي، إذ أن شرائح الدخل العليا هي الأكثر استفادة من تقدير الضرائب بأقل من الواقع أو التهرب من الضرائب، كما أنها تتمتع بمراكز السلطة والنفوذ، وعلى النقيض من ذلك، فإن الشرائح الأكثر فقرًا لديها فرص أقل للتهرب من الضرائب، وقد تتعرض في بعض الأحيان وفقًا لاتجاهات عديدة للابتزاز المحتمل من جانب محصلي الضرائب.

7- تقليص ممارسات الفساد في تحصيل الضرائب: طبقت الحكومة السودانية نظامًا جديدًا للتحصيل الإلكتروني لإيرادات الدولة، لا سيما بعد أن أثار تحصيل الضرائب والرسوم الجمركية بإيصالات ورقية غير قانونية جدلاً في أوساط دافعي الضرائب، وهنا يُمثِّل اعتماد نظام إلكتروني موحد خيارًا مريحًا للحكومة ودافعي الضرائب معًا، وإن واجه مقاومة حادة من أصحاب المصالح.

ضريبة الاستقطاع:

8- حماية المنتجات والصناعة الوطنية: قررت وزارة الزراعة العراقية في 1 مارس 2017 فرض ضريبة على الواردات من المنتجات الزراعية القادمة عبر المنافذ الحدودية، في إطار خطتها لحماية المنتج المحلي، وفقًا للمادة (24) من قانون الموازنة الاتحادية لعام 2017وبعبارة أخرى تسعى الحكومة إلى حماية الزراعة بفرض ضرائب على المنتجات المستوردة ، ووفقًا لما أشار إليه الناطق باسم وزارة الزراعة العراقية فإن "ضريبة الاستقطاع تشمل كل المحاصيل المستوردة من كل الدول، كما أن المبالغ المحصلة من هذه الضريبة ستستخدم لدعم المشاريع الزراعية بشقيها النباتي والحيواني، بما يُساهم في تعزيز الخطط المنفذة لتنمية القطاع المصرفي".

9- مواجهة أعباء "اقتصاديات الحرب": أمر الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي في 29 ديسمبر 2016 بمنع الإعفاءات الضريبية والاستثناءات الجمركية خلال اجتماعه بعدد من المحافظين، كما أكد على ضرورة الحفاظ على الموارد وتنميتها بهدف تعزيز إيرادات الدولة التي تُعاني عجزًا ماليًّا بسبب تداعيات الانخراط في حرب مع الحوثيين والقوات الداعمة للرئيس

السابق علي عبدالله صالح على مدى عامين، مع الأخذ في الاعتبار أن إيرادات الضرائب والجمارك تعد من بين أهم مصادر تمويل الموازنة العامة للدولة اليمنية بعد النفط.

ضرائب مضاعفة:

كما يسعى الرئيس الأسد إلى تحصيل أكبر قدر من الضرائب من شرائح التجار في مناطق سيطرته في سوريا، إذ تشير بعض التقديرات إلى أن نسبة الضرائب تتراوح ما بين ستة أضعاف إلى اثني عشر ضعف ما كان عليه الحال في السنوات السابقة، بما يتيح له التحكم في السيولة النقدية المحلية، والحفاظ على استقرار سعر صرف الليرة. فالاعتراض سيؤدي إلى رفع مبلغ الضريبة، خاصة في ظل تعقيدات الصراع الداخلي المسلح الذي تجاوزت مدته عشر سنوات، ونجح خلالها نظام الأسد في الحفاظ على بقائه بدعم شبكات التحالف الداخلية ومساندة القوى الإقليمية (إيران ووكلاؤها) والدولية (روسيا والصين).

ضريبة الانقسام:

10- تراجع العائدات المالية للفواعل المسلحة: اتجهت حركة "حماس" إلى فرض المزيد من الضرائب على قاطني قطاع غزة، في مطلع عام 2016، خاصة على بعض المواد المستوردة كالفواكه والخضروات وقطاع المواشي، والتي يتم استيرادها عبر معبر كرم أبو سالم. كما فرضت ضرائب جديدة على المحلات التجارية والمطاعم والمخابز، ويعود السبب وراء ذلك إلى تأزم أوضاع "حماس" المالية في القطاع، وإغلاق الأنفاق الحدودية منذ سقوط حكم الإخوان في مصر، وقد يكون السبب الدافع لقيادات "حماس" من تطبيق تلك الضرائب ترسيخ حكم الحركة في القطاع، وصرف أموال الضرائب على موظفيها دون وجود مسوغات قانونية. وهنا يشير أحد الخبراء الماليين إلى أن جباية الضرائب في غزة زادت بين عامي 2015-2016 بنسبة 600 في المئة، وتستخدم لتغطية رواتب موظفي غزة الذين تم تعيينهم بعد الانقسام، وترفض السلطة الوطنية الفلسطينية الاعتراف بهم.

دخول "الزكاة":

وينطبق ذلك على التنظيمات الإرهابية كتنظيم "داعش"، حيث تشكل الضرائب جزءًا رئيسيًّا من إيرادات "داعش"، إذ يقوم بجباية الضرائب في مختلف مجالات العمل والخدمات. ومع تراجع العائدات المالية الناتجة عن فقدانه مساحات جغرافية وعائدات نفطية كبيرة، يزيد كوادره وقياداته من الضرائب والغرامات المفروضة على السكان في مناطق سيطرته في سوريا والعراق للحصول على موارد إضافية، وهو ما يدرجها تحت مسمى "الزكاة" لتدبير استلاب أموال الأشخاص تحت غطاء شرعي، وقد نتج عن فرض أو تعليق تطبيق الضرائب أو الرسوم في عدد من الدول العربية مجموعة من التداعيات على النحو التالي:

توسّع الاحتجاج:

1- تنظيم تظاهرات احتجاجية: شهدت بيروت تظاهرات شعبية في 19 مارس 2017 دعا إليها المجتمع المدني والأحزاب المعارضة وعلى رأسها "حزب الكتائب" و"الأحرار" و"التقدم

الاشتراكي" وحركة "التمدد الديمقراطي"، على أثر التخطيط الحكومي لفرض ضرائب جديدة، وهي المظاهرات الأولى من نوعها بعد انتخاب الرئيس ميشال عون. كما تعرض رئيس الحكومة سعد الحريري للرشق بزجاجات المياه الفارغة في ساحة رياض الصلح، ورفع المتظاهرون شعار "لن ندفع"، وردت مجموعة "طلعت ريحتكم" على دعوته بتشكيل لجنة لرفع مطالبهم للمناقشة بالرفض قبل إلغاء الضرائب الجديدة، وحمل المتظاهرون لافتات تطالب بتمويل رفع الرواتب من "جيوب حيتان المال" وأبرزها "نريد الضرائب على المصارف العصية وليس على الفئات الشعبية، ثورة الجوع آتية".

وقد نجحت الحكومة اللبنانية في استيعاب احتجاجات الشارع؛ إذ ألمح وزير المال علي حسن خليل في 20 مارس 2017 إلى إمكانية تخلي الحكومة عن زيادة ضريبة القيمة المضافة، قائلا: "إن التحفظ على ضريبة القيمة المضافة ربما يكون تحفظًا مشروعًا إذا ما استطعنا أن نؤمن واردات من مكان ضريبي آخر، وسنؤمن واردات من أماكن ضريبية أخرى". وأضاف: "التحركات ضد الضرائب مشروعة وهو أمر صحي إذا ما كان في نصابه الصحيح، وإذا ما وُجِّهت السهام فيه بشكل دقيق إلى مكامن الخلل حتى يعالج. لكن التحرك يصبح مضرًّا عندما نستخدم شعارات غير واقعية وغير مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمشكل"، كما قاد المحامون التونسيون مسيرات احتجاجية في العاصمة تونس في 9 ديسمبر 2016 تعبيرًا عن رفضهم للإجراءات الضريبية في مشروع موازنة الدولة لعام 2017 التي تنص على فرض ضريبة على كل المحامين عن كل قضية يكلف بها المحامي، وهو ما اعتبره البعض قانونًا انتقائيًّا وموجهًا ضد كل المحامين لإبرازهم كمتهربين، في الوقت الذي استعمل فيه النظام السابق برئاسة زين العابدين بن علي الجباية لمعاقبة بعض المحامين المستقلين والمعارضين لحكمه.

ضرائب انتقائية:

2- تنفيذ الإضرابات العامة: وهو ما قام به المحامون التونسيون حضوريًّا، أي الحضور بالمحاكم مع غلق المكاتب لمدة ثلاثة أيام، حيث سعت الحكومة في إطار سياسة التقشف لفرض زيادات ضريبية على المهن الحرة ومنها الطب والمحاماة وقطاعات أخرى، بهدف دعم الموارد المالية للدولة، وهو ما رفضته النخبة القانونية من المجتمع، إذ شدد عامر المحرزي عميد المحامين التونسيين في تصريحات مختلفة، على أن "المحامين يرفضون أي مقترح يميزهم عن غيرهم من المواطنين"، وهو ما يشكل خرقًا لمبدأ المساواة والعدالة في الجباية ,

سلاح المقاطعة:

3- مقاطعة السلع والخدمات ذات الضريبة العالية: دشن نشطاء لبنانيون على مواقع التواصل الاجتماعي حملات مقاطعة لشركات الاتصالات اعتراضًا على زيادة ضرائب بطاقات الشحن ليوم واحد، فضلا عن تبلور مقاطعة لعدد من السلع والخدمات التي تنوي الحكومة رفع أسعارها أو رفع الدعم عنها أو رفع الضريبة عليها، وقد جاءت تلك الحملة التي حملت شعار "سكّر خطك" بعد نجاح حملتي مقاطعة البيض والبطاطا التي أطلقها المواطنون بعد غلاء أسعارهما، الأمر الذي دفع التجار إلى خفض الأسعار تجنبًا للخسائر التي قد تحدث جراء المقاطعة، لا سيما أن

حملة المقاطعة هذه نجحت في لبنان، وخسرت شركات الاتصالات ثلاثة مليارات ليرة في يوم واحد وفقًا لأحد التقديرات.

أولويات متغيرة:

4- إعادة النظر في الأولويات الحكومية: قررت معظم الكتل النيابية داخل البرلمان اللبناني إعادة النظر في الضرائب المتعلقة بالقيمة المضافة، رغم أنه ظهرت تحليلات توقعت موافقة البرلمان خلال الأسابيع المقبلة على زيادة عدد من الضرائب الإضافية، قبل أن ترفع إلى رئيس الجمهورية لتوقيع المرسوم قبل نشره في الجريدة الرسمية وبدء العمل به، وسوف تعطي الأولوية في المرحلة الحالية لموضوع قانون الانتخابات النيابية قبل ثلاثة أشهر من انتهاء ولاية المجلس النيابي المجدد لنفسه مرتين.

شعبية متراجعة:

5- فقدان شعبية الحكومات أو الحركات في السلطة: يتحمل مواطنو غزة "فاتورة" سد النقص المتزايد في الموارد المالية لـ"حماس" بعد فرض الضرائب على الأفراد والشركات لدفع رواتب الموظفين، وهو ما أفقدها "بقايا الشعبية" التي كانت تحظى بها منذ تعزيز الانقسام في عام 2007. وينطبق ذلك على الحوثيين في اليمن الذين فرضوا ضرائب مزدوجة على رجال الأعمال الذين يزاولون الأنشطة التجارية في المناطق الخاضعة لسلطتهم، على نحو دفع أعضاء الغرفة التجارية في العاصمة صنعاء إلى التلويح بورقة الرحيل إلى مناطق أخرى تتوافر فيها الاستثمارات الآمنة، أي عدن. (4)

النزاهة الضريبية:

خلاصة القول، يرتبط التوظيف السياسي لمسألة فرض الضرائب في المنطقة العربية في بعض الأحيان بعدم الثقة في الدولة، وضعف أداء الحكومات، وتراجع القدرات الإدارية التي تحول دون التحقق من الدخل، وتشابكات المصالح الخاصة طويلة الأمد، وانعدام الشفافية في تخطيط الموازنة العامة للدولة، وغياب الثقافة الواسعة التي يمكن الاستعانة بها في فترة لاحقة لتوسيع نطاق النظم الضريبية بما يجعل الإصلاح الضريبي أكثر قبولا للجمهور. فالضرائب تحدد حجم إيرادات الدولة، وبالتالي قدرتها على الإنفاق على المجالات الحيوية التي تحدد كفاءة الدول وشرعيتها وقدرتها على الإنجاز، فالعلاقة بين الضرائب والاستقرار ذات منحى طردي في الدول العربية، خاصة خلال المرحلة المقبلة و توفر دولة الإمارات العربية المتحدة خدمات وفيرة لمواطنيها والمقيمين على أرضها، حيث تسعى دوماً إلى توفير نمط حياة مرفه وسخي، ولقاء هذه الخدمات يتم دفع الضرائب لجهة معينة، وهي الهيئة الاتحادية للضرائب التي تسعى إلى تنظيم وتيسير النظام الضريبي في الإمارات وفرضه على الأفراد والشركات كمثال.

مقومات النظام الضريبي:

يمثل النظام الضريبي مجموعة من العناصر التي تعمل بشكل مترابط لتحقيق أهداف معينة حسب قواعد ومقومات وإجراءات محددة، وتتكون مقوماته من الإدارة التشريعية التي تختص

بإصدار القانون الضريبي والإدارة التنفيذية وهي التي تتولى تنفيذ القانون الضريبي الصادر من الإدارة التشريعية وإصدار التعليمات التنفيذية له، والجهاز القضائي الذي يتولى الفصل في المنازعات التي قد تنشأ بين المكلفين والإدارة الضريبية فيما يتعلق بتقدير الضرائب المتوجبة الدفع على المكلفين.

التهرب الضريبي وأثره على الاقتصاد

هو محاولة المكلف الخاضع للضريبة عدم دفع الضريبة كلياً أو جزئياً متبعاً في ذلك طرقاً وأساليب مخالفة للقانون وتحمل في طياتها طابع الغش، ويجب التمييز في هذا المجال بين التهرب الضريبي وبين التجنب الضريبي والذي يقصد به تجنب الواقعة الضريبية عن طريق امتناع الشخص عن النشاط الذي يؤدي إلى خضوعه للضريبة عن طريق الاستفادة من الثغرات القانونية وعدم إحكام صياغة التشريعات الضريبية للتخلص من دفع الضريبة حيث يستطيع المكلف أن ينفذ من إحداها ويجد لنفسه مخرجاً قانونياً يتجنب الضريبة أو يخفف من وعائها. والتجنب الضريبي يعد أمراً مشروعاً لا يؤاخذ عليه القانون، أما التهرب الضريبي فهو من الجرائم الاقتصادية التي فرضت كافة قوانين الضرائب في العالم عقوبات جنائية ومدنية تجاهها، والتهرب الضريبي من الظواهر الشائعة في معظم دول العالم وفي مختلف العصور وإن كانت نسبته في الدول النامية أعلى بكثير من الدول المتقدمة. ومن خلال إحصائية صادرة عن الاتحاد الأوربي تبين أن نسبة التهرب الضريبي محسوبة كنسبة الناتج القومي وبلغت على مستوى الاتحاد الأوربي 16% وتراوحت بين دول الاتحاد بين 4% في فنلندا و35% في اليونان، أما في البلدان النامية فلا يوجد إحصائيات خاصة بها، وقد قدر أحد خبراء الضرائب في مصر أن الفاقد الضريبي بسبب التهرب الضريبي في مصر يقدر بـ20 مليار جنيه مصري.

أسباب التهرب الضريبي:

يرى رئيس لجنة التوظيف التابعة للاتحاد الأوربي أن السبب الحقيقي لتفشي ظاهرة التهرب الضريبي في دول الاتحاد الأوربي هو ما يبقى للعامل الأوربي من النقود التي يتقاضاها من عمل قام به بعد أن يسدد كل الضرائب المدفوعة عليه، فالعامل الأمريكي يبقى له من دخله 80% بعد اقتطاع كافة الضرائب وبالتالي فإنه ليس من المدهش أن تكون نسبة التهرب الضريبي (نسبة من الناتج القومي) أقل من 10% من إجمالي الناتج القومي وهي النسبة الأقل من النسبة الأوربية والتي بلغت في دول الاتحاد الأوربي بالمتوسط بحدود 16% وبالتالي يُرى أن ارتفاع العبء الضريبي هو أهم عامل في التهرب الضريبي، إلا أن عدم اعتدال العبء الضريبي ليس السبب الوحيد وراء التهرب الضريبي وهناك أسباب أخرى نوجزها فيما يلي: - الغموض في النظام الضريبي. - ضعف الوعي الضريبي. - عدم عدالة النظام الضريبي. - سوء استخدام حصيلة الضرائب. - عدم كفاءة الإدارة الضريبية. - ضعف الجزاء على المتهربين. - فقدان المرونة في تطبيق النظام الضريبي. - فقدان الثقة بين الدوائر المالية والمكلف.

آثار التهرب الضريبي:

للتهرب الضريبي كما هو معروف آثار سلبية على الاقتصاد الوطني وعلى المجتمع، من أهمها ما يلي :

1- تخفيض حصيلة الموارد العامة وبالتالي اللجوء إلى اتباع سياسة مالية من شأنها تقليص حجم النفقات العامة، وهذا يؤدي إلى انخفاض الاستثمارات من جهة وتدني مستوى الخدمات التي تقدمها الدول من جهة أخرى.

2- رفع سعر الضرائب الموجودة أو فرض ضرائب جديدة لتعويض الحكومة عن نقص الحصيلة الناتج عن التهرب.

3- اضطرار الحكومة لتغطية العجز المالي عن طريق الإصدارات النقدية أو الحصول على قروض داخلية أو خارجية وهذا يؤدي بدوره إلى خلق مشكلة تتعلق بسداد القروض وفوائدها.

4- الإخلال بقاعدة العدالة الضريبية بحيث يتحمل عبء الضريبة المكلفون الذين لا يستطيعون التهرب منها وينجو منها آخرون حسب مراكز قواهم.

5- الضرر الأخلاقي لانتشار الفساد وانعدام الأمانة.

6- الإعفاءات الضريبية الهادفة إلى تشجيع الاستثمار وتوجيهه:

يستطيع المشرع الضريبي من خلال التحكم بالضريبة على الدخل واستخدامها بصورة مدروسة جيداً أن يؤثر في عملية الاستثمار بما ينسجم مع خطة التنمية الاقتصادية في البلد، ويلاحظ حالياً وجود توجه كبير في الدول العربية نحو استخدام الضريبة لتقديم المزايا والمحفزات الضريبية التي من شأنها أن تحفز الاستثمار وتوجهه وذلك في إطار قوانين خاصة لتشجيع الاستثمار ، وقد أصدرت بعض الدول العربية قوانين تشجيع الاستثمار كالسعودية ومصر والأردن، منها ما اعتمد على الإعفاء الجزئي، أي نسبة من الإيراد، ومنها ما اعتمد على الإعفاء الكلي لمدة محدودة، وقد راعت هذه القوانين المناطق التنموية في هذه الإعفاءات وأدخلت عدة تعديلات على هذه القوانين لمعالجة الثغرات التي ظهرت خلال التطبيق، فالأردن أصدرت القانون رقم /11/ لعام 1987 ثم طورته بموجب القانون قم /16/ لعام 1995، وكذلك صدر في مصر القانون رقم /8/ لعام 1997 تحت عنوان قانون ضمانات الاستثمار وحوافزه. ومما يستحق التوقف عنده هنا هو الإعفاءات الإضافية التي خصصها قانون ضمانات الاستثمار في مصر لشركات الأموال، وكذلك قانون ضريبة الدخل رقم /157/ لعام1981. (6) .

- إعفاء مبلغ يعادل نسبة من رأس المال المدفوع بما لا يزيد على معدل الفائدة التي يقررها البنك المركزي المصري على الودائع لدى البنوك الأخرى بشرط أن تكون أسهم الشركة مقيدة في سوق الأوراق المالية.

- إعفاء أرباح الشركات الصناعية المساهمة التي تستخدم 50 عاملاً فأكثر من الضريبة على الأرباح لمدة خمس سنوات ،ويطالب الاقتصاديون حالياً في مصر بتعميم هذا الإعفاء على الشركات ذات المسؤولية المحدودة وشركات الأشخاص لمعالجة مشكلة البطالة وتنشيط الاستثمار.

7-- المقدرة التكليفية للدخل القومي:

هناك العديد من العوامل التي تؤثر على المقدرة التكليفية للدخل القومي سواء على مستوى الدولة أم على مستوى الفرد من أهمها ما يلي:

- هيكل الدخل القومي حسب القطاعات (زراعة- صناعة- بناء- تجارة- خدمات...الخ) فالمقدرة التكليفية في حال غلبة قطاع الصناعة أكبر من المقدرة التكليفية في حال غلبة قطاع الزراعة.

- نمط توزيع الدخل القومي بين الفئات الاجتماعية فكلما كان التوزيع أكثر عدالة كلما ازدادت المقدرة للدخل القومي، إلا أنه يلاحظ وفي معظم الدول النامية لاسيما في السنوات الأولى من الإصلاح الاقتصادي (مرحلة التثبيت) تكون حصة ذوي الدخل المحدود في الدخل القومي متدنية جداً بالمقارنة مع أصحاب عوائد حقوق التملك حيث انخفضت حصة ذوي الدخل المحدود من الناتج المحلي الإجمالي في مصر من 42.7% خلال السنوات 1986-1990 إلى 27.1% خلال السنوات 1990-1995.

- نصيب الفرد الواحد من الدخل القومي، كلما كان هذا النصيب مرتفعاً كلما كانت المقدرة التكليفية للدخل أعلى، لذلك نجد أن معدل الاستقطاع الضريبي من الدخل القومي مرتفعٌ نسبياً في الدول المتقدمة بالمقارنة مع الدول النامية ،وتشير إحصاءات صندوق النقد الدولي إلى أن مجموع الضرائب المباشرة وغير المباشرة في بلد متقدم كالسويد والدانمارك تتراوح بين (25%-40%) من الدخل القومي، بينما تتراوح في الدول النامية بين (10%-25%). كما تبلغ نسبة الضرائب المباشرة التي تتناول الدخل والأرباح إلى مجموع الضرائب في الدول المتقدمة بين (50%-60%)[2].

وقد تطور معدل الاستقطاع الضريبي (العبء الضريبي) في سورية والمتمثل في حصيلة الضرائب والرسوم منسوبة إلى الناتج المحلي الإجمالي من واقع نتائج قطع حسابات الموازنة العامة للدولة من 12.60% عام 1990 إلى 16.21% عام 1998، مع الإشارة إلى أن هذا العبء هو "عبءٌ ظاهريٌ" ولا يمثل العبء الضريبي الحقيقي في سورية لأنه لم ينزل من الناتج المحلي حجم القطاعات المهمة المعفاة أصلاً من التكليف الضريبي كدخل الاستثمارات الزراعية والدخول السياحية وسائر المداخيل العامة الأخرى المعفاة من التكليف بنصوص خاصة مما يؤدي إلى خروج ما لا يقل عن نسبة تتراوح بين (45%-50%) من الناتج المحلي الإجمالي من دائرة التكليف الضريبي، وكذلك لم يدرج ضمن الضرائب والرسوم فروقات الأسعار التي تورد مباشرة للخزينة والتي في حال احتسابها سوف يصل العبء الضريبي إلى ما يزيد عن 20% من الناتج المحلي الإجمالي. لذلك نجد مما تقدم بأن المقدرة التكليفية للدخل القومي في سورية والتي بلغت عام 1998 16.21% من الناتج المحلي الإجمالي تعد طبيعية وأن أي محاولة لزيادتها في ظل معدلات نمو الناتج القومي الحالي وانخفاض نصيب الفرد من هذا الناتج وسوء توزيع الدخل القومي لصالح فئات أصحاب عوائد حقوق التملك على حساب ذوي الدخل المحدود سوف يؤدي إلى المساس بحد الكفاف لذوي هذا الدخل وسوف تمس بالاعتبارات الاجتماعية لهذه الفئات

وتترك آثاراً سيئة على الاقتصاد القومي حيث تدفع إلى زيادة الركود الاقتصادي، وتدني الاستثمارات وبالتالي الإنتاج وتفاقم مشكلة البطالة وغير ذلك من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، فصدر قانون ينظم الضرائب على الاستهلاك وهو القانون رقم /133/ لعام 1981 حيث حلت الضريبة على الاستهلاك المذكور محل رسم الإنتاج والاستهلاك وفروق الأسعار وقد استمر العمل بهذا القانون عشر سنوات تعرض خلالها لكثير من التعديلات إلا أنه لم يحقق الفائدة المرجوة منه لما فيه من ثغرات كبيرة وتناقضات متعددة كان لها أثرها السيئ على الاقتصاد الوطني وعلى ذوي الدخل المحدود وقد تم إلغاء هذا القانون بإصدار القانون رقم /11/ لعام 1991 والذي يحمل اسم "قانون الضريبة على المبيعات". (7) .

إدارة السياسة المالية والضريبية

يقر الإطار العالمي الجديد لتمويل التنمية بأن الموارد المحلية تشكل ركيزة هامة من أجل إنجاز خطة التنمية المستدامة لعام 2030. وفي هذا السياق، فإن إصلاح وتعزيز النظم المالية والضريبية، سواء من حيث تحسين السياسات أو الإدارة العامة، تبرز كضرورة ملحة لمسارات تمويل التنمية باعتبارهما أولويتين أساسيتين لمجالات العمل التي تنطوي ضمن خطة عمل أديس أبابا. ويشكل الالتزام الراسخ بتعزيز إدارة الإيرادات عبر إقرار سياسة ضريبية حديثة وفعالة بجانب تعزيز كفاءة أنظمة التحصيل الضريبية عناصر أساسية في سبيل تحقيق الانضباط المالي وتوسيع القاعدة الضريبية ولدمج القطاع غير المنظم في الاقتصاد الرسمي، انطلاقا من هذا يقر الإطار العالمي الجديد لتمويل التنمية بالحاجة إلى زيادة التعاون الدولي للحد بدرجة كبيرة، إن لم يكن القضاء على التدفقات المالية غير المشروعة بحلول عام 2030، وذلك بجانب مكافحة الفساد والحد من ممارسات التهرب والتجنب الضريبي من خلال تطوير الأطر والتشريعات الوطنية اللازمة وعبر تعزيز التعاون الضريبي الإقليمي والدولي على حد سواء. وفي حين تمثل الأنظمة الضريبية النسيج الرابط بين الدول ومواطنيها والأداة الفعالة لتحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية، فإن ضمان وجود أنظمة ضريبية عادلة يوفر فرصاً لتعزيز التماسك الاجتماعي، ويقلل من حالة عدم المساواة. كما يمكن لنظام ضريبي غير فعال أو متكافئ أن يقوّد من عملية التحول الهيكلي ومن التدفقات الاستثمارية في البلاد ويعترض النمو الاقتصادي والشمول الاجتماعي. من هنا تتجلى الحاجة الى وضع السياسات الضريبية في مقدمة أولويات النقاش الدولي الدائر حول إعادة توزيع الموارد المحلية وتعبئتها من أجل تمويل التنمية، حيث يمكن لتحسين عمليات تحصيل الضرائب أن يسهم في خلق بيئة مواتية تسمح بتعزيز الموارد المحلية ورفع الحيز المالي والانفاق الحكومي من تأمين وإيصال الخدمات العامة الأساسية، ويترتب على رفع كفاءة تحصيل الضرائب تعبئة تمويل محلي إضافي يصوب لحفز التمويل المختلط أو الجماعي ولتخفيف مخاطر التمويل التي تدعم تنمية القطاع الخاص، ومن جهة أخرى، فإن الأنظمة الضريبية غير اللائقة أو الضعيفة قد تدفع بظهور ممارسات التخطيط الضريبي العدواني ونقل الأرباح، ومن بينها على سبيل المثال قيام بعض الشركات متعددة الجنسيات بتحويل أرباحها مستفيدة من الفجوات في النظم الضريبية المختلفة.

انطلاقا مما سبق، تقوم الأمم المتحدة عبر لجانها الإقليمية جنباً إلى جنب ومنظمات دولية أخرى بتطوير استراتيجيات متعددة لإصلاح النظم والسياسات الضرائبية والتشريعات المتصلة بهما وتعزيز أسلوب تحصيلها. فعلى سبيل المثال، تسلط خطة عمل أديس أبابا الضوء على الجهود التي يبذلها المنتدى العالمي للشفافية وتبادل المعلومات للأغراض الضريبية ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي في مجال منع تآكل الأوعية الضرائبية وللحد من ممارسات نقل الأرباح، كما تبرز خطة أديس أبابا الحاجة الى أشكال أخرى للتعاون ومن بينها التعاون الإقليمي بين المنظمات الإقليمية وفيما بين البلدان تحقيقاً لذات الغرض، كما اعتمدت المنطقة العربية في أعقاب موجة التحولات السياسية التي شهدتها منذ عام 2011 نهجاً قصير الأجل لإدارة المالية العامة، ولذا أصبح من الهام تقليل الاعتماد على التمويل الخارجي ومعالجة مشكلة المديونية الهيكلية اعتماداً على تعبئة الموارد المحلية بوصفه أحد أهم مسارات تمويل التنمية المستدامة.

وفي هذا السياق تدعم الإسكوا الدول الأعضاء في بناء وتحديث أنظمتها الضريبية (السياسات والتطبيق) ومؤسساتها من خلال توفير المساعدة التقنية وبناء القدرات التي تهدف إلى تعزيز إدارة الإيرادات ومعالجة تسرب الموارد الناجمة عن التدفقات المالية غير المشروعة، وتواصل الإسكوا دفع نتائج تحليلاتها المعيارية بغرض التصدي للتهريب غير المشروع للموارد الخارجة من المنطقة وذلك من خلال: تنظيم ورش عمل وطنية وإقليمية متخصصة تستعرض من خلالها الأنظمة والمعاهدات الضريبية، وتوفر فرص لبناء القدرات فيما يتعلق بخطة تآكل الأوعية الضرائبية ونقل الأرباح بما يسهم في تعزيز كفاءة إدارة المالية العامة والنظم الضريبية بفعالية. ومن هنا فان بناءالاقتصاد السليم يجب أن يقوم على نظام ضريبي عادل ومتوائم مع التطور الاقتصادي الحديث في ظل الظروف والتحديات السياسية الكبيرة وفي ظل القفزات النوعية للاقتصاد العالمي .

المصادر:

1- *أحمد سليمان شريف = العرض والطلب 2016 ألف ياء الاقتصاد*
2- *د. وائل البيايضة – خطة التحول الاقتصادي الوطني – جريدة الأنباط 8 | 8|2018*
3- *د. محمد سعيد فرهود – الاقتصاد السياسي – مطبعة الكتاب العربي – دمشق 1991*
4- *سالم الغباري – جريدة الأنباء اليمنية – 5 | 1 | 2020*
5- *محمد عبدالله صوان – الضرائب الحديثة في الإمارات العربية المتحدة = دار الكتاب الجامعي 2019*
6- *مجلة الإيكونوميست |نقلاً عن مجلة الأهرام الاقتصادي – مصر العدد 1617 | 3 | 1 | 2000*
7- *د. محمد خالد مهايني – المالية العامة – دار الملايين 2017*

المحتوى

إيران واستراتيجية الحرب الهجينة 5

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

داعش ومحاولة الانبعاث مجدداً 11

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

نوروز ومعاني الثورة 27

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

هل الكرد ضيوف طارئون حقاً 79

محمد جزاع / كاتب ومؤرخ

المرأة السورية ومراحل تطورها 93

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

أثر الضرائب على الاقتصاد 102

علي جمعة